

رسالة القرآن

نشرة فصلية تعنى بالشؤون القرآنية

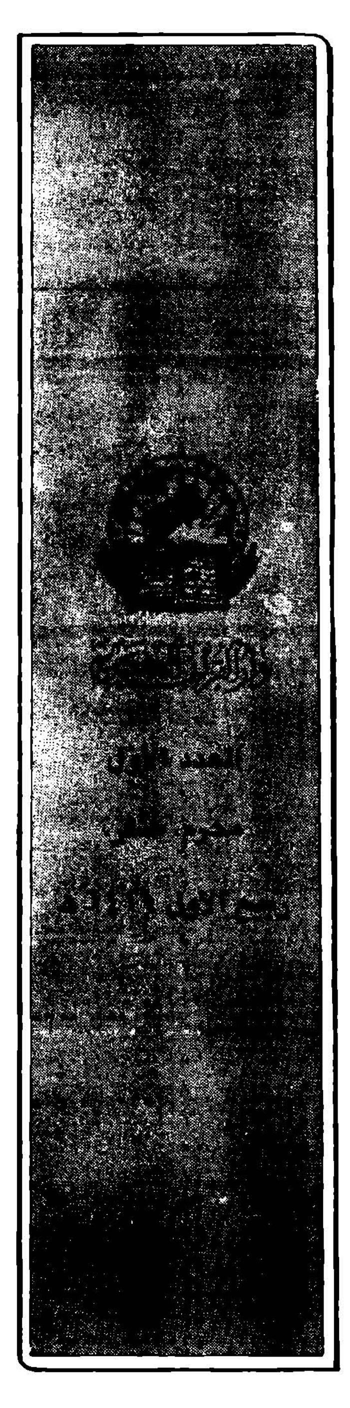
العدد الأول — محرم، صفر، ربيع الأول ١٤١١ هـ



- مستقبل المجتمع الانساني على ضوء القرآن الكريم
- تفسير القرآن بالقرآن عند العلامة الطباطبائي
- رجم اليهوديين ... حقيقة ام خيال ؟
- القرآن الكريم عند أهل البيت
- المذهب التاريخي في القرآن
- مستقبل العالم في القرآن
- نحو ثقافة قرآنية
- المناهج التفسيرية

رسالة القرآن

نشرة فصليّة تُعنى بالشّؤون القرآنيّة
تصدرها دار القرآن الكريم

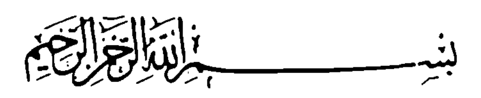


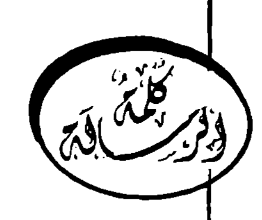
المراسلات:
الجمهورية الاسلامية قم ـ دار القرآن الكريم
ص . ب (١٥١)



- النشرة متخصصة بالدراسات والشؤون القرآنية
- ترحب رسالة القرآن بكل نتاج ينسجم واهتماماتها القرآنية.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ما يرد في المقالات من افكار يتحمل الكاتب مسؤوليتها
- النشرة غير ملتزمة باعادة المواد التي تتلقاها للنشر.

الثمن: ٥٠ توماناً أو مايعادلها





نحو ثقافة قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنَّ هذا القرآن يَهدي لِلّتي هيَ أقْوَم»

ميلاد «رسالة القرآن» جاء تجاوباً مع الحاجة إلى ثقافة قرآنية، تتسم بالنقاء، والعمق، والأصالة... وسدّاً للفراغ العلمي الذي يشعر به الجميع في هذا المجال، والأمل يراودنا ـ كما يراود جميع المعنيين بهذه العلوم والمعارف ـ أن تكون هذه المجلة اداة تبليغية، ووسيلة لتنشيط الحركة الفكرية، والدراسات المتخصصة بعلوم القرآن، ومعارفه، وفنونه، وآدابه.

إنّ العناية بعلوم القرآن ومعارفه، والحرص على تعميم الوعي، والثقافة القرآنية المعطاء لهما من أول مرتكزات التغيير الفكري والحضاري، في المجتمع الإسلامي، وبناء الإنسان والحياة، على أسس إسلامية، ذلك لأنّ القرآن كتاب الله، وهو منبع الفكر والتشريع، ومقياس النقاء، والأصالة، ومصدر الوعي والحركة، فليس بوسع هذه الأمة أن تنهض، أو تتخلّص من التخلّف الحضاري، والفساد الاجتماعي والانحراف الفكري إلّا بالتمسّك بالقرآن، وإلّا بوعي مضامينه، واستيعاب محتواه.

لقد كان هذا الكتاب الإلهي الخالد ـ ولايزال ـ مصدر هداية هذه الأمة، ونبراس مسيرتها، ودليل قيادتها.

إن مسؤولية الكتّاب، والمفكرين الإسلاميين، والمتخصصين بعلوم القرآن ومعارفه لَتُملي عليهم روح الاهتمام بالدراسات القرآنية، والعناية بالتراث القرآني، والإفصاح عن كنوزه، وتعميم ثقافته ومعارفه.

إنه لمن المؤسف حقاً، ان لايستفيد المسلمون من كتاب الله الفائدة المرجوّة، بل ومـمّا يحزّ في نفس المسلم أن يتخذ الناس هذا القرآن مهجوراً، فلا يعتنى بحفظه، ودراسته، والبحث في تراثه وعلومه ومعارفه إلّا بحدود ضيّقه، وأن لايكون منهجه اساساً لمنهج البحث

والتفكير، ولا أفكاره ومفاهيمه قاعدة للثقافة، والمعرفة، والحضارة، والسلوك، ونظم الحياة.

إن هذه النشرة المتخصصـــه في الدراسات والشؤون القرآنية إذ تفتح صفحاتها أمام الكتّـاب، والمفكرين، والباحثين الإسلاميين وتدعوهم إلى الكتابة والمشاركة إنّما تستهدف خدمـة هذا الكتاب الإلهي العظيم، والمساهمة في إغناء المكتبة القرآنية، وتعميم الإنتاج الثقافي هذا، لئلّا تكون علوم القرآن ومعارفه محصورة في أفقها المدرسّي الخاص.

إن المرحلة التي تعيشها الأمة واجيالها بحاجة إلى دراسات وبحوث قرآنية تلبّي حاجة العصر، وتحلّ مشاكل الأنسان القائمة امامه، وبشكل يجعل من هذه الدراسات والأبحاث مشروعـاً فكـرياً واجتماعياً متكاملاً.. بعيداً عن الرّقابة والتّقليد الذي لايسمح بالابتكار، والنموّ، والتصحيح، والتكامل.

كمـا وأنّنـا بحاجة ماسّة ـ اليوم ـ إلى إعادة دراسة ومناقشة بعض مناهج التفسير، وتنظيمها، وبلورتها للحفاظ على المنهج العلمي الواضح للتفسير الذي يستطيع أن يحقّق الأمانة العلمية، ويملك القدرة على كشف مراد اللّه تعالى من كتابه العزيز، والاستخراج من خزين القرآن ما يغني حياة البشرية، ويهديها إلى سواء السبيل. ونحن بحاجة إلى تنقيح التفاسير مما أُدخل عليها من غلوّ، وتجسيم، وتلاعب... الخ، ومـمّا حُمِّلت آيات اللّه من آراء بعض منْ فسّروا القرآن، وفق ميولهم الفلسفية، أو اتجاهاتهم الكلامية وقناعاتهم الشخصية.

ومن هنـا يجب أن تتـوفـر في الباحث، والدارس، والمفسِّر صفات الموضوعية والأمانة العملية. فإنّ من أخطر مايواجهه المفسِّر القرآني هو التلاعب بمعاني القرآن، وتحميل النص أفكار المفسّر والباحث القَبْلِيّة، واخضاعه لمسلَّماته ووجهات نظره.

ومن المشاكل العلمية التي يواجهها التفسير والبحث القرآني هو الاعتماد على الروايات الضعيفة والمراسيل في الفهم والتفسير. فلابُدّ، والحالة هذه، من اخضاع الروايات للتحقيق والتمحيص العلمي، قبل الاعتماد عليها، في فهم وتفسير القرآن.

ومن مشاكل البحث والتفسير القرآني هو قصور الذوق الأدبي والحسِّ اللغوي. عند بعض المفسرين، بشكل يحول دون الفهم السليم لروح النص ، وبنيته، واعرابه، وموقعه... مما يقود المفسر والباحث إلى التخبط، وحمل الألفاظ على غير دلالتها، ولانذيع سراً إذا ماقلنا بأنّ فهم القرآن بحاجة إلى ذوق أدبي، وحسّ لغوي متسام إلى مستوى الإنسان المخاطب به، في عصر النصّ والنزول.

وإذن فنحن بحاجة إلى عناية خاصة بدراسة القرآن، ودراسته بحاجة إلى وعي حضاري عميق، ومنهج علمي ملتزم، وذوق أدبي يرقى إلى مستوى النظام والفن الأدبي الذي يتقوّم

به الإبداع البنيوي لتلك المعجزة اللغوية الخالدة.

ولايخفى أنّنا بحاجة إلى البحث عن تراث القرآن في المكتبات وكنوز الكتب وتحري المخطوطات في المكتبات العالمية، وفي خزانات العلماء والباحثين، وتكوين مكتبة قرآنية نموذجية تحوي كل تراث القرآن وعلومه ومعارفه، لتكون مرجعاً للبحث والتوثيق.

كما وانّنا بحاجة إلى تشكيل مجامع علمية لدراسة القرآن دراسة تخصصية في مجال السياسة، والمال، والاجتماع، والاقتصاد، والأخلاق، والتربية، والتشريع... إلى جانب متخصصين في تاريخ القرآن، وتجويده، وقراءاته، وآدابه... الخ.

ولما كان كتاب الله هو المصدر الأول للتشريع فمن الواجب ان تكون الدراسة القرآنية هو الدراسة الأكثر عناية في حوزاتنا العلمية، وفي جامعاتنا، ومدارسنا.. كما يجب ان تكون ثقافتنا ثقافة قرآنية، ووعينا للكون والحياة وعياً قرآنياً.

إنّ التربية والبناء الذي ينتجه القرآن في نفس الدارس والمتعلّم ليس بوسع الفلسفة، ولا علم الكلام، ولا علوم الفقه وأصوله...الخ ان تمنحه إيّاه.

إنّنا مسؤولون عن ان نعيد للقرآن مجده، ودوره الحضاري. علينا ان نجعل من مساجدنا مدارس لحفظ القرآن وتدارسه.

إنّه لنقص في ثقافة المثقّف وطالب العلوم الدينية أن لايحفظ من كتاب الله مايبتني عليه فكره، وثقافته، ومعارفه.

أيّها القارئ الكريم!

• إنّ رسالة القرآن، لتفتح صفحاتها للكتّاب، والباحثين، والمتخصصين بالدراسات القرآنية، وتستقبل إنتاجهم، وتدعوهم إلى المشاركة بالبحوث والدراسات القرآنية.

كما تستقبل بصدر رحب مايوجهه القراء من تسديد، ونقد علمي بنّاء مؤمنة أن النقد العلمي هو أداة من أدوات التصحيح والتقويم والتكامل.

راجين التعاون مع هذه المجلة، والاستجابة لندائها.

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

التحرير

كيف نزل القرآن ؟

الشيخ محسن الأراكي

لاشكّ أنّ القرآن نزل نجوماً وعلى التدريج، وأنّ آياته تتابعت طبق المناسبات والظّروف التي كانت تمرّ بها رسالة الله في مسيرها الجهادي الظّافر تحت قيادة الرّسول الكريم (ص)، وقد لمحت إلى هذا النّزول التدريجي للقرآن الآية الكريمة:

«**وقرآناً فرقناه لتقراه على النّاس على مكث ونزّلناه تنزيلاً**» (الأسراء/١٠٦)،

وقوله تعالى: «**وقال الّذين كفروا لو لا نُزّل عليه القرآن جملة واحدة، كذلك لنثبّت به فؤادك، ورتّلناه ترتيلاً. ولا يأتونك بمثل إلّا جئناك بالحقّ واحسن تفسيراً**» (الفرقان/٣٢ـ٣٣).

ومع ذلك فإنّ هناك نصوصاً قرآنيّة تشير إلى دفعيّة النّزول القرآني على مايفهم من ظاهرها وذلك كما في الآيات المباركة التالية:

قال تعالى: «**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان**» (البقرة/١٨٥).

وقال تعالى: «**إنّا انزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين**» (الدّخان/٣).

وقال تعالى: «**إنّا انزلناه في ليلة القدر**» القدر/١.

وقد اختلف الباحثون الإسلاميّون في وجه الجمع بين الأمرين وقد ذكروا في ذلك آراء ونظريّات نعرض فيمايلي لأهمّها:

النّظريّة الأولى:

وهي التي تعتبر للقرآن نزولين:

النّزول الأوّل إلى البيت المعمور أو بيت العزّة ـ حسب بعض التعابير ـ وهذا هو النّزول الدّفعي الذي اشارت إليه بعض الآيات السابقة، والنّزول الثاني على النّبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله بالتّدريج وطيلة المدّة التي كان يمارس فيها مهمّته القياديّة في المجتمع الإسلامي.

وقد ورد في هذا بعض النّصوص عن الإمام

الصادق عليه السلام، فقد روي عنه في قوله عزّ وجل: **«شهر رمضان الّذي أنزل فيه القرآن»**، كلام يقول فيه: **«إنّ القرآن نزل جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم أنزل من البيت المعمور في مدّة عشرين سنة»**[٢].

وقد نقل مايقارب هذا عن ابن عبّاس أيضاً، فقد روى عنه أنّه قال: انزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدّنيا ليلة القدر ثمّ انزل بعد ذلك بعشرين سنة[٣].

وقد خالف المحققّون من علماء القرآن هذا الرأي ورفضوا النّصوص التي وردت فيها ورموها بالضّعف والوهن وأقاموا شواهد على بطلانه.

يقول الشيخ المفيد (ره) تعقيباً على هذه النظريّة التي أخذ بها أبو جعفر بن بابويه الصّدوق:

(الذي ذهب إليه أبو جعفر في هذا الباب أصله حديث واحد لا يوجب علماً ولا عملاً، ونزول القرآن على الأسباب الحادثة حالاً فحالاً يدل على خلاف ماتضمّنه الحديث، وذلك أنّه قد تضمّن حكم ماحدث وذكر ماجرى على وجهه وذلك لا يكون على الحقيقة إلّا لحدوثه عند السّبب، الا ترى قوله تعالى: **«وقولهم قلوبنا غُلف بل طبع اللّه عليها بكفرهم»**) (النّساء/ ١٠٠).

وقوله: **«وقالوا: لو شاء الرّحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم»** (الزّخرف/ ٢٠):

وهذا خبر عن ماض ولا يجوز أن يتقدّم مخبره فيكون حينئذ خبراً عن ماض وهو لم يقع بل هو في المستقبل، وأمثال ذلك كثيرة.)[٤]

ثم يستشهد رحمه اللّه ببعض الشّواهد القرآنيّة الأخرى التي تؤكّد النّزول التّدريجي للقرآن وتقوم قرينة على بطلان النّزول الدّفعي له.

ويناقش صاحب المنار هذه النّظريّة أيضاً ويرفضها قائلاً:

«ورووا في حلّ الإشكال ان القرآن نزل في ليلة القدر من رمضان إلى سماء الدّنيا وكان في اللّوح المحفوظ فوق سبع سماوات ثم نزل على النّبيّ (ص) في رمضان منه شيء، خلافاً لظّاهر الآيات، ولا تظهر المنّة علينا ولا الحكمة في جعل رمضان شهر الصّوم ـ على قولهم هذا ـ لأنّ وجود القرآن في سماء الدّنيا كوجوده في غيرها من السّموات أو اللّوح المحفوظ من حيث انه لم يكن هداية لنا، ولاتظهر فائدة في هذا الإنزال ولا في الاخبار به»[٥].

إذن فأهم مايرد على هذه النظريّة يتلخّص في شيئين:

١ـ ورود الآيات القرآنية في بعض المناسبات الخاصّة بحيث لايعقل التكلّم بتلك الآية قبل تلك المناسبة المعينة.

٢ـ عدم تعقّل فائدة النّزول الأوّل للقرآن من حيث هداية البشر فلا وجه لهذه العناية به في القرآن والاهتمام به **«إنّا أنزلناه في ليلة القدر»**..

النّظريّة الثانية:

انّ المراد من إنزاله في شهر رمضان وفي ليلة ابتداء القدر منه ابتداء إنزاله في ذلك

الوقت ثمّ استمرّ نزوله بعد ذلك على الرّسول صلّى الله عليه وآله بالتدريج ووفقاً للمناسبات والمقتضيات».

قال صاحب المنـار: (وأمـا معنى إنـزال القرآن في رمضان مع أنّ المعروف باليقين أنّ القرآن نزل منجماً متفرقاً في مدّة البعثة كلّها فهو أنّ ابتداء نزوله كان في رمضان وذلك في ليلةٍ منه سمّيت ليلة القدر ـ أي الشّرف واللّيلة المبـاركـة ـ كما في آيات أخرى وهذا المعنى ظاهر لاإشكال فيه)[٦].

وقال الشيخ المفيد:

(وقد يجوز في الخبر الوارد بنزول القرآن جملة في ليلة القدر أنّه نزل جملة منه في ليلة القدر ثم تلاه مانزل منه إلى وفاة النّبيّ ـ ص ـ)[٧].

ويبـدو أنّ هذا الرّاي هو الذي استقطب انـظار الأغلبيّـة من محقّقي علوم القـرآن والتفسير نظراً إلى كونه اقرب الآراء إلى طبيعة الأمور وأوفقها مع القرائن وظواهر النّصوص القرآنيّة، فإنّ القرآن يطلق على القرآن كلّه كما يطلق على جزء منـه، ولذلك كان للقليـل من القرآن نفس الحرمة والشّرف الثّابتين للكثير منـه، فنـزول جزءٍ من القـرآن ـ استهلّ به الوحي الإلهي في ليلة القدر من شهر رمضان ـ يصدق معه نزول القرآن في ليلة القدر، وفي شهر رمضان..

وتـأييـداً لهـذه الفكـرة فإنّنـا نحـاول الإستفـادة من التعـابـير الجارية بين عامّة النّاس حين يقولون مثلاً سافرنا إلى الحج في التاريخ الفلاني، وهم لايريدون بذلك إلّا مبدأ السّفـر، أو نزل المـطر في السّـاعة الفلانيّة ويقصد به ابتداء نزوله، فإنّه قد يستمّر إلى ساعات ومع ذلك يصحّ ذلك التعبير.

وبعبـارة أخـرى، اننا نلاحظ صحّة هذا النّوع من الاستعمال في الأسماء التي تطلق على قليـل المعنى وكثـيره على السّواء كالمطر والسّفر وأمثالهما بخلاف ما لا يطلق إلّا على المعنى بكـامله كالبيت مثـلاً فإنّه لايصحّ في العـادة أن يعبّـر عن الشّروع ببنائه بعبارة (بنينـا البيت في الزّمـان الفـلاني)، وكلمـة (القرآن) كما أشرنا سابقاً تطلق على كلام الله مطلقـاً قليله وكثيره، فمن الطّبيعي ـ إذن ـ التعبير عن ابتداء نزوله بـ«إنّا انزلناه في ليلة القدر» وما شاكل ذلك من التّعابير.

ولابُدّ أن نضيف على هذا الرّاي إضافة توضيحيـة هي أنّ المقصود من كون ابتداء النّزول القرآني في ليلة القدر من شهر رمضان ليس إبتداء الوحي على النّبيّ صلّى الله عليه وآله.. فإنّ افتتـاحـة الوحي المحمّدي كانت لسبع وعشرين خلوْن من رجب ـ على الرأي المشهور ـ وكانت الآيات التي شعّت من نافذة الوحي على قلب الرّسول (ص) لأوّل مرّة هي «إقرا باسم... إلخ» كما سيأتي الحديث عن ذلك في فصله، ثمّ إنقـطع الوحي عنـه لمدّة طويلة، ثمّ ابتـداه الوحيُ من جديـد في ليلة القـدر من شهر رمضان ـ وهذا الذي تشير إليه الآية المباركة ـ وإستمرّ الوحي عليه صلّى الله عليه وآله حتى وفاته.. وبما أنّ هذا كان بدايـة استمـرار النّـزول القرآني فقد صحّ اعتباره بداية لنزول القرآن.

النّظريّة الثالثة:

وهي النّظريّة التي اختصّ بها العلاّمة الطّباطبائي، تعرّض لها باختصار مع توضيح، وهي تمثّل لوناً جديداً من ألوان الفكر التفسيري انطبعت بها مدرسة السيد الطّباطبائي في التفسير.

وهذه النّظريّة تعتمد على مقدّمات ثلاث تتلخّص فيما يلي:

أ ـ هناك فرق بين (الإنزال) و(التّنزيل) والإنزال إنّما يستعمل فيما إذا كان المُنْزل أمراً وُحْدانياً نزل بدفعة واحدة والتنزيل إنّما يستعمل فيما إذا كان المنزل أمراً تدريجياً، وقد ورد كلا التعبيرين حول نزول القرآن:

«إنّا أنزلناه في ليلة مباركة» «ونزّلناه تنزيلاً».

والتعبير بـ(الإنزال) إنّما هو في الآيات التي يشار فيها إلى نزول القرآن في ليلة القدر أو شهر رمضان بخلاف الآيات الأخرى التي يعبّر فيا بـ(التنزيل).

ب ـ هناك آيات يستشعر منها أنّ القرآن كان على هيئة وحدانيّة لا أجزاء فيها ولا ابعاض ثم طرا عليه التّفصيل والتّجزئة فجعل فصلاً، فصلاً، وقطعة، قطعة.

قال تعالى: «كتاب أحكمت آياته ثم فصّلت من لدن حكيم خبير» (هود / ٢).

فهذه الآية ظاهرة في أنّ القرآن حقيقة محكمة، ثم طرا عليها التّفصيل والتّفريق بمشيئة الله تعالى والإحكام الذي يقابل التّفصيل هو وحدانيّة الشّيء وعدم تركّبه وتجزّئه.

ج ـ هناك آيات قرآنيّة تشير إلى وجود حقيقة معنويّة للقرآن غير هذه الحقيقة الخارجيّة اللّفيظة، وقد عبّر عنها في القرآن بـ(التّأويل) في غير واحدة من الآيات، قال تعالى: «أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من إستطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، بل كذّبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولم ياتهم تاويله، كذلك كذّب الذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين» (يونس / ٥٢ ـ ٥٣)

وقال تعالى:

«ولقد جئناهم بكتاب فصّلناه على علم هدىً ورحمةً لقوم يؤمنون، هل ينظرون إلاّ تاويله، يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رُسُل ربّنا بالحق» (الأعراف / ٥٢ـ٥٣).

فالتأويل على ضوء الاستعمال القرآني هو الوجود الحقيقي والمعنوي للقرآن وسوف يؤاجه المنكرون للتّنزيل الإلهي تأويله وحقيقته المعنويّة يوم القيامة.

واستنتاجاً من هذه المقدّمات الثلاث فللقرآن إذن حقيقة معنويّة وحدانيّة ليست من عالمنا هذا العالم المتغيّر المتبدّل، وإنّما هي من عالم أسمى من هذا العالم لاينفذ إليه التّغيّر ولايطرؤه التّبديل، وتلك الحقيقة هو الوجود القرآني المُحكم الذي طرا عليه التّفصيل بإرادة من الله جلّت قدرته، كما أنّه هو التأويل القرآني الذي تلمح إليه آيات الكتاب العزيز.

وإذا آمنا بهذه الحقيقة فلا مشكلة إطلاقاً في الآيات التي تتضمّن نزول القرآن نزولا

دفعيّاً في ليلة القدر وفي شهر رمضان فإنّ المقصود بذلك الإنزال هو هبوط الحقيقة المعنويّة للوجود القرآني على قلب رسول اللّه محمّد صلّى اللّه عليه وآله وانكشاف ذلك الوجود التّأويلي الحقيقي للقرآن أمام البصيرة الشّفّافة النّبويّة، فإنّ هذا الوجود المعنوي هو الذي يناسبه الإنزال الدّفعي كما أنّ الوجود اللّفظي التّفصيلي للقرآن هو الذي يناسبه (التّنزيل) التّدريجي.

وليس المقصود ممّا ورد من روايات عن أهل البيت حول النّزول الأوّل للقرآن في البيت المعمور إلاّ نزوله على قلب النّبيّ محمّد (ص) فإنّه هو البيت المعمور الذي تطوف حوله الملائكة، وقد رمز إليها الحديث بهذا التعبير الكنائي.

وهذه النّظريّة مع ما تتّصف به من جمال معنوي لانجد داعياً يدعونا إلى تكلّفها كما لانرى داعياً يدعونا إلى محاولة نقضه وتكلّف ردّه، فليست النّظريّة هذه تتضمّن أمراً محالاً، كما لا لزوم في الأخذ بها بعد أن وجدنا لحلّ المشكلة ماهو أيسر هضماً وأقرب إلى الذّهن.

أوّل مانزل من القرآن الكريم وآخر مانزل:

تعددت الأقوال حول أوّل مانزل من القرآن وأشهر ماقيل في ذلك وأصحّه، إن قوله تعالى «**إقرا باسم ربك الذي خلق ...**» إلى قوله تعالى «**علّم الإنسان مالم يعلم**» أوّل مانزل من القرآن، وقد روى في ذلك أيضاً رأيان آخران:

أحدهما: أنّ سورة الفاتحة هي أوّل مانزل من القرآن.

وثانيهما: أنّ سورة المدّثّر هي أوّل مانزل من القرآن، روى عن جابر وقد جمع بعض الباحثين هذه الآراء الثلاثة، فقال:

وطريق الجمع بين الأقاويل أنّ أوّل مانزل من الآيات «**إقرا باسم ربك**» وأوّل مانزل من أوامر التّبليغ «**ياايّها المدّثّر**» وأوّل مانزل من السّور (**سورة الفاتحة**)[٨].

ومهما يكن من أمر فلم يعد بين علماء القرآن خلاف في أنّ «**إقرا باسم ربك**» هو أوّل مانزل من القرآن، وامّا غير ذلك من الأقوال فبين مرفوض لايعبأ به وبين ما جمع بينه وبين كون (إقرا) أوّل مانزل بوجه من وجوه الجمع.

والذي يهمّنا في هذا الموضع من البحث هو الصّورة التي تمّ بها أوّل نزول للقرآن على النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله كما رسمتها لنا كتب التاريخ والحديث المتداولة بين إخواننا العامّة، ولم يكن يعنينا ذلك كثيراً لولا ما في ذلك من شناعة النّسبة إلى الرسول الكريم وبشاعة المشهد الذي تصوّره لنا تلكم الأحاديث.. وسوف نحاول فيما يلي نقل تلك الصّور والمشاهد مع نقدها على ضوء من العقل ومسلّمات الإسلام وأصوله.

وروى الطّبري في تفسيره: عن عروة، عن عائشة، أنّها قالت: كان أوّل ماابتدىء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصّبح، ثم حبّب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنّث فيه اللّيالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله، ثم يرجع إلى أهله فيتزوّد لمثلها، حتي فجأه

الحق فأتاه، فقال: يامحمّد أنت رسول اللّه، قال رسول اللّه (ص)، فجثوت لركبتي وأنا قائم، ثم رجعت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة، فقلت زمّلوني، حتى ذهب عنّي الرّوْع ثم أتاني فقال: يامحمّد، أنا جبرئيل وأنت رسول اللّه، قال: فلقد هممت بذلك، فقال: يامحمّد أنا جبرئيل وأنت رسول اللّه، ثم قال: إقرأ، فقلت: ما أقرأ؟ قال: فأخذني فغطّني ثلاث مرّات حتى بلغ منّي الجهد، ثم قال: إقرأ باسم ربّك الذي خلق، فقرأت، فأتيت خديجة فقلت لقد أشفقت على نفسي، فأخبرتها خبري، فقالت: أبشر فواللّه لايخزيك اللّه أبداً، وواللّه إنّك لتصل الرّحم وتصدق الحديث وتؤدّي الأمانة وتحلّ الكلّ وتقري الضّيف وتعين على نوائب الحق.

ثمّ انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد، قالت: اسمع من ابن أخيك فسألني، فأخبرته، فقال: هذا النّاموس الذي أنزل على موسى صلّى اللّه عليه وسلّم ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيّاً حين يخرجك قومك، قلت: أو مخرجيّ هم؟ قال: نعم، إنّه لم يجئ رجل قطّ بما جئت به إلّا عُودي، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزّراً»[٩].

هذه هي القصّة، كما روتها لنا كتب التّفسير والتاريخ والحديث لدى إخواننا أهل السّنّة.

والقصّة هذه مختلقة دون ريب، وقد افتعلتها أيادٍ أثيمة عبثت بالتاريخ الإسلامي أيّما عبث وشوّهت حقائق الأحداث أيّما تشويه، وليست هذه القصّة بأكثر خطراً على الإسلام والمسلمين ولا أقل تعبيراً عن الكيد والحنق الذي كان يكنّه مفتعل الحديث للإسلام من قصّة أخرى تقرن في كثير من كتب التاريخ والتّفسير والحديث بهذه القصّة، وإليك نصّها:

عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير: أنّه حدّث عن خديجة رضي اللّه عنها أنّها قالت لرسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم: أيْ ابن عمّ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يصنع، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لخديجة، ياخديجة هذا جبرئيل قد جاءني، قالت: قم يابن عمّ فاجلس على فخذي اليسرى، قال: فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فجلس عليها، قالت: هل تراه، قال: نعم، قالت: فتحوّل فاجلس على فخذي اليمنى، قالت: فتحوّل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فجلس على فخذها اليمنى: فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحوّل فاجلس في حجري، قالت: فتحوّل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم، فجلس في حجرها، قالت: هل تراه، قال: نعم، قال: فتحسّرت والقت خمارها ورسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم جالس في حجرها، ثم قالت له: هل تراه؟ قال: لا، قالت يابن عمّ أثبت وأبشر، فواللّه إنه لملك وماهذا بشيطان.[١٠].

وهذه جريمة أخرى من جرائم الدسّ والإختلاق والتزوير التي بُلي بها الإسلام أشدّ البلاء منذ إنحسرت القيادة المبدئيّة عن

مسرح الحكم وتناولت أمواج الحوادث وتيّارات الأهواء سفينة الإسلام فأخذت بها يميناً وشمالاً.

ولابُدّ هنا أن نلمّح إلى دلائل الاختلاق والانتحال البادية على هاتين القصّتين، ونبدأ بالقصّة الأولى، وفيها من دلائل الاختلاق مايلي

الأوّل: انّ الرّواية تصّرح في أوّل الامر بأنّ أوّل ما ابتدى به رسول الله من الوحيّ الرؤيا الصّادقة.. ثمّ حبّب إليه الخلاء.. ممّا يدلّ على أنّ مسألة النّبوّة المحمّديّة كانت مسبوقة برعاية خاصّة وانها لم تكن حدثاً فجائياً لم تمهّد له الارضيّة ولم تهيّأ له المقدمات.. وإنّما اعدّ الرسول الكريم إعداداً إلهيّا خاصاً تحت رعاية وتربية إلهيّة فريدة تتقبّل الوحي والاتّصال بعالم الغيب، فلم يكن نزول الوحي عليه امراً مرتجلاً ومولود السّاعة.. وإذا كان الأمر كذلك فإنّ الإنسان المتأمّل يقف حائراً أمام المشهد الذي تصوّره الرّواية لنزول الوحي.. رسول الغيب ينزل على النّبيّ ليبتعثه رسول رَحمةٍ للعالمين، فترتجف بوادر هذا ويفقد تماسكه حتى يكاد يطرح نفسه من حالق من جبل.. ثمّ يصّرح له رسول الغيب بالحقيقة مرّة ومرّتين.. أنت رسول الله.. وانا جبرئيل.. ولايغني هذا التصريح في رفع الهول وإزالة الرّوع شيئاً.. أفليس تلك التّربية الإلهيّة والإعداد الربّاني كان كفيلاً بتهيئة الجوّ الرّوحي والنّفسي الذي تزول معه كل أشكال القلق والاضطراب المنبعث عن الارتجال المفاجئ..

الثاني: إنّ الاتّصال بالعالم الأعلى من طبيعته أن يلهم الانسان في حالة الصلاة وامثالها.. ولايمكن ان يكون الوحي ـ وهو ليس إلّا نوعاً خاصاً من الاتّصال بعالم الغيب ـ إلّا باعثاً على هذا السّكون والإطمينان والاستقرار النفسي، بل لابُدّ أن يوجد من الاطمينان أسمى أشكاله في النفس ومن الاستقرار على نماذجه في الرّوح.. امّا أنْ تصيب النفس البشريّة بهذه المسّة المروّعة التي تشبه مسّة العفاريت والاغوال، فتترك الإنسان في قلق صاخب واضطراب ثائر، فهذا ممّا لاتهضمه العقول.

الثالث: انّ قبول هذه الرّواية يعني قبول أحد الأمور التالية:

١ـ أنْ يكون الرّسول ـ والعياذ بالله ـ غير صادق فيما يحدّث به عن حالة الوَحيْ الأوّل.

٢ـ أنْ يكون صادقاً ولكنّ المشاهد التي حكاها عن ظروف الوَحْي الأوّل وملابساته، لم تكن إلّا صوراً خياليّة وأشباحاً وهميّة كالتّي تتراءى للمصابين بالأمراض النفسيّة والرّوحيّة.

٣ـ أنْ يكون صادقاً، والمشاهد التي شاهدها مشاهد حقيقيّة غير خياليّة، وكان الرّسول صلّى الله عليه وآله على سلامة كاملة، ولكنّه مع ذلك لم يؤمن بكل ماراى ولم تكف تلك الحقائق العينيّة التي شاهدها وعاشها أن توجد في قلبه إطميناناً ويقيناً بالوحْي بل ظلّ شاكّاً متردّداً في هذا الذي تراءى له، أهو حقيقة أم خيال، أهو واقع أم وهم.. حتى طَمأنته خديجة بذلك وحتى شهد له ورقة

بصحّة كلّ ماراى وكلّ ماشاهد.

وكلّ هذه الثلاثة باطلة، بحكم العقل والواقع.

امّـا الأوّل والثـاني فهمـا باطلان بحكم العقـل وبحكم الشّـواهد والارقام التاريخيّة التي تنطق بالعظمة التي كانت تتّصف به شخصيّة الرّسول الكريم والكمال الإنساني الذي كان قد تجلّى بأسمى اشكاله في وجوده الطاهر، وهذا بغضّ النّظر عن كونه رسول اللّه وخاتم النّبيين وسيّد الانبياء.

وأمّا الثالث، فهو زائف بحكم الوجدان، أو ليس من شهيد الحقيقة عياناً اولى باليقين بها ممّن لم يعلم بها إلاّ بالسّماع عن مخبر واحد شاكّ في حقيقة ما يخبر عنه، اوليس من الهزل أن يرى امرؤ حدثاً ثم يخبر به إنساناً آخر ثمّ يكون هذا الثاني اكثر منه اطميناناً بما اخبره به، بل يحـاول تطمينه وتسكينه إلى الحدث الذي أخبره به.

ثم لانعلم كيف يرضى مفتعـل الرّواية أن يكون النّبيّ ـ والعياذ باللّه ـ شاكّاً فيما سمعه ورآه، ثمّ ينقلب شكّه هذا إلى يقين بمجرّد أنْ سكّنتـه خديجـة أو اقـرّه ورقة على مـــارآه وأخبر عنه...؟؟.

الرابـــع: والآن لنـعـرف المصـــدر الذي استلهم منه واضع هذه الرّواية هذه الارقام التي نسجهـا حول بدء الوحي، فإنّنـا إذا طالعنـا شيئـاً من كتب العهديْن رأينا فيها صوراً من الوحي على الأنبيـاء تحمل نفس الطّابع الذي تحمله روايتنا هذه، ونذكر على سبيل المثال النّماذج الآتية[11]:

في التّـوراة أنّ إبـراهيم لّما أوحي إليه في شأن نسله وغـربتهم وقـع عليه عند مغيب الشمس سبات ورعبة مظلمة.

(سفر التكوين: الإصحاح ١٥/ الآية١٢ـ١٥).

وأنّ يعـقـوب لما رأى في الحـلم، السـلّم والملائكة وخاطبه الرّبّ واستيقظ خاف وقال: ماأرهب هذا المكان.

(التكوين: الإحصاح ٢٨/١٢ـ١٨).

وعن قول دانيال في بعض رؤياه ومكاشفاته بالوحي، وسمعت صوت إنســان بين أولاى فنادى وقال: ياجبرائيل فهمّ هذا الرّجل فجاء إلي حيث وقفت، ولـا جاء خفت وخرّرت على وجهي وإذ كان يتكلّم معي كنت مسنجاً على وجـهـي إلى الأرض، فلمـسني واوقفني على مقامي.

(كتاب دانيال/ الإصحاح ٨/١٦ـ١٩).

وفي الإنجيل:

إنّ زكريّا لما رأى ملاك الرّبّ عن يمين مذبح البّخور اضطرب ووقع عليه الخوف.

(إنجيل لوقا: ١١/١٢).

فالرّواية إذن إسرائيليّة مدخولة شاء بها اليـوم الحـاقدون ومن شاكلهم من عصابة المختلقين والوضّاعين أن يطفئوا نور الإسلام ويشـوّهوا صورته ويغيّروا معالمه.. ولكنّ اللّه ابى إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون.

ومن الغـريب الذي يؤسف له أن تتناقل كتب الحديث والرّواية والتاريخ هذه الاكذوبة ويعتمـد عليهـا الكتّـاب الإسـلاميّون حتىّ المتجدّدون والمحدّثون منهم.

أمّا الرّواية الثانية فهي مهزلة من مهازل الإختــلاق والوضــع، أو كان الوحي الإلهي ألعـوبـة يتلهّى بها البسطاء؟ أم كان النّبيّ العظيم ـ والعياذ باللّه ـ ذلك الرّجل المتحلّل المـطواع الذي ينتقـل من فخذ إلى فخذ إلى حجر لتقضي خديجة أمنيتها في رؤية الملك؟، أم كانت خديجــة سلام اللّه عليهــا المــرأة الخفيفــة العقل التي تطلب أمراً تعلم أنّ لا سبيل لها إليه؟.

أو كانت النّبوّة ورسالة اللّه العظيم التي تحمل مسؤوليّة إنسان الأرض من أقصاها إلى أقصاها، لتخضع لهذه الأماني والأحلام التي تراود صدر هذا وذهن ذلك..؟.

الهوامش:

(١) البحار ج٩٢ ص ٢٢١.
(٢) الوسائل ج٧ـ ص ٢٢٩.
(٣) الإتّقان ج١ـ ص ٤٠.
(٤) شرح عقائد الصدوق المطبوع مع أوائل المقالات ص ٢٥٢.
(٥) المنار ج٢ ـ ص ١٦١.
(٦) نفس المصدر.
(٧) شرح عقائد الصّدوق ص ٢٥٣.
(٨) البرهان للزّركشي ج١ ص ٢٠٨.
(٩) تفسير الطّبري ج٣٠ ص ١٣٨ الطبعة الميمنيّة بمصر.. وقـد توافقت مصادر أهل السّنّة في نقل هذه القصّة في بدء الوحي مع إختلافات يسيرة.
(١٠) سيرة ابن هشام ج١ ص ٢٥٥.
(١١) إعتمدنا في هذه النّماذج على النّقول التي وردت في كتــاب الهــدى إلى دين المصــطفى للإمــام البلاغي رحمه اللّه، راجع الهدى ج١ ص ١٤ـ١٦.

المناهج التفسيرية

الشيخ جعفر سبحاني

يتميّز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السّماوية بآفاقه اللاّمتناهية كما عبّر عن ذلك خاتم الأنبياء (ص) وقال:

(ظاهرهُ أنيق وباطنه عميق. له تخوم وعلى تخومه تخوم، لاتُحصى عجائبه ولاتُبلى غرائبه)[1]. وقد عبّر سيّد الأوصياء وقال:

(وسراجاً لايخبو توقّده وبحراً لايدرك قعره (إلى أن قال) وبحر لاينزفه المستنزفون، وعيون لاينضبها الماتحون، ومناهل لايغيضها الواردون)[2].

ولأجل ذلك صار القرآن الكريم النسخة الثانية لعالم الطّبيعة الذي لايزيد البحث فيه والكشف عن حقائقه إلاّ معرفة انّ الانسان لايزال في الخطوات الأولى من التوصّل الى مكامنه الخفيّة واغواره البعيدة

وهذا هو المتوقّع من الكتاب العزيز النّازل من عند اللّه الجليل، لأنّه كلام من لايتصوّر له نهاية فيناسب أن يكون فعله مشابهاً لوصفه، ووصفه حاكياً عن ذاته، وبالتّالي يكون القرآن مرجع الأجيال، وملجأ البشريّة في جميع العصور.

ولما ارتحل النّبيّ الأكرم والتحق بالرفيق الأعلى ووقف المسلمون على أنّ فهم القرآن وإفهامه لغير العرب يتوقّف على تدوين العلوم التي تسهّل التعرّف على القرآن الكريم، ولأجل ذلك قاموا بعملين ضخمين في مجال فهم القرآن:

الأول: تأسيس علوم الصّرف والنّحو واللغة والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع وما شابهها لتسهيل التعرّف على مفاهيم ومعاني القرآن الكريم أوّلاً، والسّنّة النّبويّة ثانياً وإن كانت تقع في طريق أهداف أخرى أيضا. لكنّ الغاية القصوى من القيام بتأسيسها وتدوينها هو فهم القرآن وإفهامه.

الثّاني: وضع تفاسير في مختلف الأجيال، حسب الأذواق المختلفة، لاستجلاء مداليله،

ومن هنا لاتجد في التاريخ الإنساني برمّته مثيلاً للقرآن الكريم من حيث شدّة اهتمام أتباعه به وحرصهم على ضبطه وقراءته وتجويده وتفسيره وتبيينه.

وقد ضبط تاريخ التفسير أسماء ما ينوف على ألفين ومائتي تفسير وعند المقايسة يختصُ ربع هذا العدد بالشّيعة الإماميّة (٣).

هذا ماتوصّل إلى إحصائه المحقّقون من طريق الفهارس ومراجعة المكتبات، عدا ما لم يقفوا عليه ممّا ضاع في الحوادث المؤسفة والحرائق والسّرقات.

وعلى ضوء ذلك، يصعب جداً الإحاطة بالمناهج التّفسيرية التي نهجها المفسرون طيلة أربعة عشر قرناً حسب إختلاف بيئاتهم وقابلياتهم وأذواقهم ـ ولا مناص من الإشارة إلى المناهج الرّئيسية المتبعة في التّفاسير المتداولة ولكن بعد تقديم مقدّمة توضّح مفهوم المنهج وتميّزه عن مفهوم الاتّجاه والاهتمام.

المنهج التّفسيريّ غير الاهتمام التّفسيري

وهنا ثمّة نكتة قيّمة، ربّما غفل عنها بعض المهتمّين بتبيين المناهج التّفسيريّة، وهي أنّ هناك بحثين:

الأول: البحث عن المنهج التّفسيريّ لكلّ مفسّر، وهو تبيين طريقه كلّ مفسّر، في تفسير القرآن الكريم، والإداة والوسيلة التي يعتمد عليها، لكشف السّتر عن وجه الآية أو الآيات، فهل يأخذ العقل اداةً للتّفسير أو النّقل؟ وفي الحالة الثّانية هل يعتمد في تفسير القرآن على نفس القرآن أو على السّنّة أو غيرهما؟ وبالجملة مايتّخذه مفتاحاً لحلّ عقد الآيات وغلاقها. وفي هذا يتركّز البحث عن المنهج التّفسيريّ وهذا هو موضوع مقالنا.

الثّاني: البحث عن الاتّجاهات والاهتمامات التّفسيريّة، والمراد منها المباحث التي يهتم بها المفسّر في تفسيره مهما كان منهجه وطريقته في تفسير الآيات ـ فمثلاً تارةً يتّجه إلى إيضاح المادّة القرآنية، من حيث اللغة، وأخرى إلى صورتها العارضة عليها، من حيث الإعراب والبناء، وثالثة يتّجه إلى الجانب البلاغي، ورابعةً يعتني بآيات الأحكام، وخامسة يصبّ إهتمامه على الجانب التاريخي والقصصي، وسادسةً يهتمّ بالأبحاث الأخلاقية، وسابعة بالأبحاث الاجتماعية، وثامنةً يهتمّ بالآيات الباحثة عن الكون وعالم الطّبيعة، وتاسعة يهتمّ بمعارف القرآن وآياته الإعتقادية الباحثة عن المبدأ والمعاد وغيرهما، وعاشرةً بالجميع حسبما أُوتي من المقدرة.

ولاشكّ أنّ التّفاسير مختلفةٌ من حيث الاتّجاه والإهتمام. إمّا لإختلاف أذواق المفسّرين وكفاءاتهم ومؤهّلاتهم أو لإختلاف بيئاتهم وظروفهم، أو غير ذلك من العوامل التي تسوق المفسّر إلى صبّ إهتمامه بجانب من الجوانب المذكورة أو غيرها، ولكنّ البحث عن هذا لايمتّ بالبحث عن المنهج التّفسيريّ للمفسّر بصلةٍ، فمن تصوّر أنّ البحث عن اختلاف الإهتمامات والاتّجاهات راجع إلى البحث عن المنهج التّفسيريّ فقد أخطأ.

وإن شئت أن تفرّق بين البحثين فنأتي

بكلمة موجزة، هي: انّ البحث في المناهج بحث عن الطّريقة والأسلوب، والبحث في الاهتمامات بحث عن الأغراض والأهداف التي يتوخّاها المفسّر، وتكون علّةً غائيةً لقيامه بالتأليف في مجال القرآن.

أنواع المناهج التّفسيريّة

إذا ميّزت الفرق بين البحثين، فنقول إنّ التّقسيم الدّارج في تبيين المناهج هو ماذكره المحقّق الكاشاني، في ذلك المجال، وهو أنّ المفسّر إما أن يعتمد في رفع السّتر عن وجه الآية على الدّليل العقلي أو على الدّليل النّقلي

ونحن أيضا نقتفي في هذا البحث أثر هذا التّقسيم ونقول:

المنهج الأوّل: التّفسير بالعقل وله صورتان:

الصّورة الأولى: تحليل الآيات الواردة في المعارف، على ضوء الأحكام العقليّة القطعيّة الثّابتة لدى (العدليّة)، كالتّحسين والتّقبيح العقليين والثّمرات المترتّبة عليها، من لزوم بعث الأنبياء، وحُسن التّكليف، و قبح العقاب بلا بيان، ولزوم إعداد المقدّمات لايصال الإنسان إلى الغاية التي خُلقَ لها. وحُسن العدل وقُبح الظّلم إلى غير ذلك من الأحكام العقليّة الثّابتة لدى عقلاء العالم، والكلّ يستمدّ من الأصل المعين، أعني أصل التّحسين والتّقبيح العقليين.

وفي هذا القسم من التّفسير لايهتمّ المفسّر بإخضاع الآيات لمنهج عقلّي كلاميّ خاصّ، وإنّما هو من قبيل الاستضاءة بهذه الأصول الثّابتة في تحليل الآيات.

فلو وقف المفسّر على آيات يتبادر من ظهورها الابتدائي الجبر فإنّه يحاول أن يتفحّص في القرآن، ليجد ما يفسر هذه الآية على وجه يكون موافقاً لهذا الأصل المسلّم عند العقل. فتكون هذه الأصول هي المحرّكة للمفسّر على الفحص البالغ في متون الآيات والقرائن المنفصلة عنها حتى يتبيّن الحق. وهذا بخلاف القسم الآخر فإنّه أشبه بالتّفسير بالرّأي. ومن حاول أن يسمّي هذا النّوع من التّفسير، تفسيراً بالرّأي فقد أخطأ خطأً كبيراً لأنّ المفسّر إنّما يقوم بتفسير كلام اللّه، بعد الاعتقاد بوجود الصّانع وصفاته وأفعاله وأنبيائه ورُسله وكُتبه وزبره، وهذه المعارف تعرف بالعقل الذي يستقلّ بالأحكام الماضية، ولا فرق عند العقل بين الاستدلال على وجود الصّانع عن طريق النّظام السّائد في العالم، والحكم بحسن العدل، وقبح الظّلم، ولزوم الوفاء، بالعهد، وقبح مقابلة الإحسان بالظّلم، إلى غير ذلك من الأحكام العقليّة المستقلّة العالميّة، التي يعترف بها جميع عقلاء العالم، إلّا قسماً من الأشاعرة الذين ينكرونها في اللّسان، ويؤمنون بها في القلب.

أ: هل التّفسير الإشاريّ من قبيل التّفسير بالرّأي؟

هناك منهج آخر اصطلحوا عليه بالتّفسير الإشاريّ أو التّفسير الفيضي وعرّفوه بأنّ نصوص القرآن محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفيّة إلى دقائق تنكشف على

أربـاب السّلوك، ويمكن التّطبيق بينها وبين الظّواهر المرادة [٤]

الحاصل أنّه مايظهر من الآيات بمقتضى إشـارات خفيّة تظهر لأرباب السّلوك ويمكن التّطبيق بينها وبين الظّواهر المرادة.

وعلى ضوء هذا فأنّ القائل بالتّفسير الإشاريّ لاينكر كون الظّاهر مراداً ولكن يقول بأنّ في هذه الظّواهر إشارات إلى معاني خفيّة يفهمها عدّة من أرباب السّلوك وأولوا العقل والنّهى وبـذاك يمتـاز عن تفسـير البـاطنيّة (فإنّهم يرفضون كون الظّواهر المرادة ويأخذون بالبواطن).

ويستدلّ البعض بما ورد عن النّبيّ الأكرم من أنّ (للقـرآن ظهـراً وبطناً، وظاهره حكم وباطنه علم، وظاهره أنيق وباطنه عميق) [٥].

وربما يويّد ذلك أيضا قوله سبحانه: «**فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً**» [٦]

وقوله تعالى: «**افلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه إختلافاً كثيراً**» [٧].

وقوله تعالى «**افلا يتدبّرون القرآن امْ على قلوبها أقفالها**» [٨].

فهذه الآيات تشير إلى أنّ القرآن له ظهر وبـطن، وذلك لأنّ اللّه سبحـانه حيث ينعت الكـافـرين بأنّهم لايكـادون يفقهون حديثاً، لايريد بذلك أنّهم لايفقهون نفس الكلام. لأنّ القـوم كانـوا عربـاً، والقـرآن لم يخرج عن لغتهم، فهم يفهمون ظاهره بلا شكّ وإنّما أراد بذلك أنّـهم لايفهمـون مُراده من الخـطاب فحضّهم على أن يتدبّروا في آياته حتى يقفوا على مقصود اللّه ومراده وذلك هو الباطن الذي جهـلوه ولم يصـلوا إليـه بعـقـولهـم [٩]

ولايخفى أنّ الاستدلال بهذه الآيات غير تامّ جداً. فإنّهـا تدعـو إلى التـدبّر في نفس المفـاهيم المستفادة من ظاهر الآيات، وكون القـرآن عربيـاً والقـوم عرباً لايكفي في فهم القرآن الكريم، من دون التدبّر والإمعان. فهل يكفي كون القـوم عربـاً في فهم مغزى قوله سبحانه: «**هو الأوّل والآخر والظّاهر والباطن وهو بكلّ شيءٍ عليم**» [١٠].

أو يكفي في فهم قوله سبحـانه: «**وما كانَ معه من إله إذنْ لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعـضـهـم على بعض سبـحـان اللّه عمّـا يصفـون**» [١١] أو فهم قوله سبحانه: «**لو كان فيهما آلهة إلاّ اللّه لفسدتا فسبحان اللّه ربّ العرش عمّا يصفون**» [١٢]

فالدّعـوة إلى التدبّر لاتدلّ على أنّ للقرآن وراء ماتفيده ظواهره بطناً. أضف إلى ذلك أنّه يمكن أن يكـون الأمـر بالتدبّر لغاية تطبيق العمل على مايفهمونه من القرآن، فربّ ناصح يدلي بكلام فيه نصيحة للأهل والولد، ولكنّهم إذا لم يطبّقوا عملهم على قول ناصحهم يعود النّـاصـح إليهم، ويقـول لماذا لاتتـدبّـرون كلامي؟ لماذا لاتعقلون؟ مشعراً بذلك أنّكم ما وصلتم إلى ماأدعوكم إليه وإلاّ لتركتم أعمالكم القبيحة وصرتم عاملين بما أدعو إليه.

وأمّا ماروي عن النّبيّ الأكرم (ص) بأنّ للقرآن بطناً وظهراً فالحديث فيه ذو شجون وحاصله أنّه يحتمل وجوها على وجه مانعة الخلو.

١ـ المقصود من البطن هو أنّ ماورد في القرآن حول الأقوام والأمم من القصص وما أصابهم من النّعم والنّقم، لاينحصر في أولئك الأقوام بل هؤلاء مظاهر لكلامه سبحانه، وهو يعمّ غيرهم ممّن يأتون في الأجيال القادمة فقوله سبحانه: «**ضرب اللّه مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم اللّه فأذاقها اللّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون**»(١٣).

وإن كان وارداً في قوم خاصّة لكنّها قاعدة كلّية مضروبة على الأمم جمعاء.

٢ـ المراد من بطن القرآن هو الاهتداء إلى المصاديق الخفيّة التي يحتاج الوصول إليها إلى التدبّر أو تنصيص من الإمام، ولأجل ذلك نرى أنّ علياً (ع) يقول في تفسير قوله سبحانه: «**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون**»(١٤). أنّه ماقوتل أهلها منذ نزلت حتى اليوم. وفي رواية قال علي (ع): (عذرني اللّه من طلحة والزّبير. بايعاني طائعين غير مكرهين ثمّ نكثا بيعتي من غير حدثٍ أحدثتُهُ) ثمّ تلا هذه الآية (١٥).

٣ـ وهناك إحتمال ثالث للبطن وهو حمل الآية على مراتب في مفهومها، وسعة معناها، واختلاف النّاس في الاسفادة منها حسب استعداداتهم وقابلياتهم لاحظ قوله سبحانه: «أنزل من السّماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السّيل زبداً رابياً وممّا يوقدون عليه في النّار إبتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب اللّه الأمثال(١٦).

من التّفسير والكلّ يستفيد منها حسب قابليته يستمدّ من الظّاهر ونظيره آية النّور(١٧) فقد خاض المفسّرون في تفسير الآية وتطبيقها على موارد مختلفة وكلّ استفاد من نورها حسب مؤهلاته وكفاءاته.

وحاصل القول في التّفسير الإشاريّ انّما يفهمه المفسّر من المعاني الدّقيقة إنْ كان لها صلة بالظّاهر فهو مقبول، سواء سمّي تفسيراً على حسب الظّاهر، أو تفسيراً إشاريًا. وعلى كلّ تقدير فالمفسّر على حجّة من ربّه في حمل الآية على ماأدركه، وأمّا إذا كان مقطوع الصّلة عن الظّاهر المتبادر إلى الأذهان فلا يصحّ له حمل القرآن عليه، إلّا إذا حصل له القطع بأنّه المراد وعندئذ يكون القطع حجّة له وإن كان مخالفاً للواقع. ولإيضاح الحال نأتي بأمثله:

يخاطب سبحانه أُمّ المسيح بقوله: «**وهُزّي إليكِ بجذع النّخلة تُساقط عليكِ رطباً جنياً**»(١٨) فلو قال أحد انّه سبحانه هيّأ مقدّمات الولادة ومؤخراتها لأُمّ المسيح حتى الرّطب في غير فصله من الشّجرة اليابسة، ومع ذلك أمرها بأن تهزّ بجذع النّخلة، مع أنّ في وسع المولى سبحانه أن يرزقها الرّطب بلا حاجة إلى الهزّ، فما هذا إلّا لتفهيم مريم أنّها مسؤولة في حياتها عن معاشها، وأنّه سبحانه لو هَيّأ كلّ المقدّمات فلا تغني عن سعيها وحركتها ولو بالهزّ بجذع النّخلة.

روي أنّه بعدما نزل قوله سبحانه: «**اليوم**

أكملت لكم دينكم وأتممت عَلَيكم نعمتي ورضيت لكم السلام ديناً» فرح الصّحابة وبكى بعضهم، فقال: الآية تنعي إلينا برحلة النّبيّ[19] والنّماذج الواضحة لهذا النّوع من التّفسير الإشاريّ مايذكره المفسّرون حول الآيتين: آية الرّعد وآية النّور. ترى أنّ المعاني المذكورة في كتب التّفاسير تختلف وضوحاً وخفاءً وبساطةً وعلوّاً، والكلّ يسند المعاني إلى اللّفظ وبينها وبين لفظ الآية صلة، ولعلّ الأمر بالتدبّر في القرآن يعود أيضا لهذا النّوع من التّفسير الذي لايصل إليه المفسّر إلّا بعد الإمعان، وهذا مايقال فيه: (العلم نور يقذفه اللّه في قلب من يشاء).

نعم هناك تفاسير بإسم التّفسير الإشاريّ لايصحّ إسنادها إلى اللّه سبحانه كتفسير (ألمّ) بأنّ الألف إشارة إلى اللّه واللّام إلى جبرئيل والميم إلى محمّد، فإنّه أشبه بالتّفسير بالرّأي إلّا إذا كان هناك نصّ من المعصوم.

ولو صحّ هذا التّفسير، فيمكن تفسيره بوجوه كثيرة بأن يُقال الألف إشارة إلى ألف والوحدانية واللّام لام اللّطف والميم إشارة إلى المُلك، فمعنى الكلمة مَنْ وحّدني تلطّفت له فجزيته بالمُلك الأعلى. وأسوأ من ذلك تفسير قوله سبحانه: **«الجار ذي القربى والجار الجُنُب والصّاحب بالجنب و إبن السّبيل»** بأن يقال الجار ذي القربى هو القلب والجار الجُنُب هو الطّبيعة والصاحب بالجنب هو العقل المقتدى بالشريعة وابن السبيل هو الجوارح المطيعة للّه.

فمثل هذا النوع من التّفسير يلتحق بتفاسير الباطنيّة التي سوف نبحث عنها في المستقبل، وخلاصة الكلام أنّ مايهتدي إليه المفسّر بعد التفكّر والتأمّل في نفس الآية ومفرداتها وسياقها ويستظهر منه معنىً أخلاقياً أو اجتماعياً أو سياسياً نافعاً بحال المجتمع إذا كان له صلة بالظّاهر غير منقطع عنه، فهو تفسير مقبول.

في غير هذه الصورة يكون مردوداً، ولعلّ كون القرآن كتاب القرون والأجيال لاتنقضي عجائبه يلازم قبول هذا النّوع من التّفسير الإشاريّ، ولأجل ذلك لم يزل كتاب اللّه طريّا في غضون الأجيال لم يندرس ولم يطرأ عليه الإندراس بل هو طرى مادامت السّموات والأرض ولازم ذلك وجود معارف وحقايق في القرآن يهتدي إليها الإنسان بالتعمّق في دلالاته اللّفظية المطابقيّة والتّضمّنيّة والالتزاميّة وإن كان السّلف في العصور الماضية غافلين عن هذه المعاني، ولعلّه إلى ذلك يشير الصّادق (ع) في جواب من سأله: ما بال القرآن لايزداد على النّشر والدّرس إلّا غضاضة؟ بقوله: (لأنّ اللّه تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، وهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة)[20]

وعموماً إنّ إيقاف هذا الباب في وجه المفسرين يوجب وقف الحركة العلميّة في فهم الكتاب العزيز، وبالتّالي يكون القرآن كسائر الكتب محدود المعنى ومقصور المُراد لايحتاج إلى تداوم البحث وتضافره.

الصّورة الثّانية: التّفسير بالعقل اي بالرّاي المسبق

المراد من هذه الصّورة هو إخضاع الآيات للعقائد التي اعتنقها المفسّر في مدرسته الكلاميّة، ونجد هذا اللّون من التّفسير بالعقل غالباً في تفاسير المعتزلة والأشاعرة والخوارج والباطنيّة فإنّ لهؤلاء عقائد خاصّة في مجالات مختلفة زعموها حقائق راهنة على ضوء الاستدلال. وفي مجال التّفسير حملوا الآيات على معتقدهم وإن كان ظاهر الآية يأباه ولايتحمّله غير أنّ هذا النّمط من التّفسير بالرّأي والعقل يختلف حسب بعد المعنى عن مدلول الآية فربّما يكون التأويل بعيداً عن الآية ولكن تتحمّلها الآية بتصرف يسير وربّما يكون المعنى بعيداً عن الآية غاية البُعد بحيث لاتتحمّله الآية حتى بالتصرف الكثير فضلاً عن اليسير، ونحن نأتي على كلّ واحد من القسمين بأمثلة:

القسم الأوّل: عبارة عن التأويلات الموجودة في تفسير الكشّاف لعلّامة المعتزلة والتأويلات التي ارتكبها الرّازي علّامة الأشاعرة في مجال العقائد وإليك البيان:

الشّفاعة حطّ الذّنوب او رفع الدّرجة

إنّ الشّفاعة لم تكن فكرة جديدة ابتكرها الإسلام وانفرد بها، بل كانت فكرة رائجة بين جميع أمم العالم من قبل، وخاصّةً بين الوثنيين واليهود. صحيح أنّ الإسلام قد طرحها مهذّبةً من الخرافات وما نسج حولها من الأوهام. ومن يقف على آراء اليهود والوثنيين في أمر الشّفاعة يجد أنّ الشّفاعة الدّارجة بينهم كانت مبنيّة على رجائهم لشفاعة أنبيائهم وأوثانهم في حطّ الذّنوب وغفران آثامهم، ولأجل هذا الاعتقاد كانوا يقترفون المعاصي، ويرتكبون الذّنوب تعويلاً على ذلك الرّجاء، فالآيات النّافية للشّفاعة، والمثبّتة لها بشرائط خاصّة، كلّها راجعة إلى الشّفاعة بهذا المعنى. فلو نفيت فالمنفي هو هذا المعنى، ولو قبلت فالمقبول هو هذا المعنى.

إنّ الآيات الواردة في مجال الشّفاعة على سبعة أنواع، لايصحّ تفسيرها إلّا بتفسير بعضها ببعض، وتمييز القسم المردود منها من المقبول.

ومع ذلك نرى أنّ المعتزلة يخصّون آيات الشّفاعة بأهل الطّاعة دون العُصاة، ويرتكبون التأويل في موردها، وما هذا إلّا للموقف الذي اتخذوه في حقّ العُصاة ومقترفي الذّنوب في أبحاثهم الكلاميّة، فقالوا بخلود أهل العصيان في النّار إذا ماتوا بلا توبة.

قال القاضي عبدالجبار: إنّ شفاعة الفسّاق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا يتنزّل منزلة الشّافع لمن قتل ولد الغير وترصّد للآخر حتى يقتله. فكما أنّ ذلك يقبح، فكذلك هاهنا[٢١].

وماذكره القاضي يعرب عن غفلته عن شروط الشّفاعة فإنّ بعض الذّنوب الكبيرة تقطع العلائق الإيمانية بالله سبحانه، كما تقطع الأوامر الرّوحيّة بالنّبيّ الأكرم. فأمثال هؤلاء العُصاة، محرومون من الشّفاعة. وقد وردت في الرّوايات الإسلامية شروط الشّفاعة وحرمان طوائف منها.

وعلى كلّ تقدير فما ذكره اجتهاد في مقابل نصوص الآيات واخضاع لها لمدرسته الفكريّة.

يقول الزّمخشري في تفسير قوله سبحانه: **«وانفقوا ممّا رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لابيعٌ فيه ولاخلّة»**. قال: **«ولاخلّة حتى يسامحكم اخلاّؤكم به وإنْ أردتم ان يحطّ عنكم ما في ذمّتكم من الواجب لن تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حطّ الواجبات لأنّ الشّفاعة ثمّة في زيادة الفضل لاغير»** [٢٢]

وأنت خبير بأنّ الآية تريد نفي الشّفاعة بالمعنى الدّارج بين اليهود، والوثنيين لأجل أنّهم كفار وانقطاع صلتهم عن الله سبحانه، ولأجل ذلك يثبّته القرآن في حقّ غيرهم مع إذنه سبحانه، ويقول في الآية التالية: **«من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه»** وأمّا أنّ حقيقة الشّفاعة زيادة الفضل لا حطّ الذّنوب، فهو تحميل العقيدة على الآية. فلو استدلّ القائل بها على نفي الشّفاعة بتاتاً لكان أولى من استدلاله على نفي الشّفاعة عن الكفّار لأجل أنّ الشّفاعة بمعنى زيادة الفضل لا حطّ الذّنوب، وهؤلاء لايستحقّون الثّواب فضلاً عن زيادته.

ب: هل مرتكب الكبيرة يستحق المغفرة أو لا؟

إتّفقت المعتزلة على أن مرتكب الكبيرة مخلّد في النّار إذا مات بلا توبة[٢٣] وفي ضوء ذلك إلتجأوا إلى تأويل كثير من الآيات الظّاهرة في خلافه نذكر منها آيتين:

الاولى: يقول سبحانه: **«وإنّ ربّك لذو مغفرةٍ للنّاس على ظلمهم وإنّ ربّك لشديد العقاب»** [٢٤]

فالآية ظاهرة في أنّ مغفرة الرّبّ تشمل النّاس في حال كونهم ظالمين ومن المعلوم أنّ الآية راجعة إلى غير صورة التّوبة وإلاّ لايصحّ توصيفهم، فلو أخذنا بظاهر الآية فهو يدلّ على عدم خلود مرتكب الكبيرة في النّار إذا مات بلا توبة لرجاء شمول مغفرة الرّبّ له. ولما كان ظاهر الآية مخالفاً للأصل الكلامي عند صاحب الكشّاف، حاول تأويل الآية بقوله: (وفيه أوجه:

١ـ أن يريد السّيّئات المكفّرة لمجتنب الكبائر.

٢ـ أو الكبائر بشرط التّوبة.

٣ـ أو يريد بالمغفرة السّتر والإمهال)[٢٥]

ومن الواضح أنّ كلّ واحد من الاحتمالات مخالف لظاهر الآية او صريحها.

الثّانية: لقول سبحانه: **«إنّ الله لايغفر ان يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»** [٢٦]

والآية واردة في حقّ غير التّائب لأنّ الشّرك مغفور بالتّوبة أيضاً، فيعود معنى الآية أنّ الله سبحانه يغفر ما دون الشّرك لمن يشاء وإنْ مات بلا توبة فتكون نتيجة ذلك عدم الحكم القطعيّ بخلود مرتكب الكبائر في النّار. ولما كان مفاد الآية مخالفاً للمدرسة الكلاميّة للمعتزلة حاول صاحب الكشّاف تأويل الآية. فقال:

الوجه أن يكون الفعل المنفي والمثبت جميعاً موجّهين بقوله تعالى **«لمن يشاء»** كأنّه قيل: إنّ الله لايغفر لمن يشاء الشّرك ويغفر لمن

يشاء ما دون الشّرك. على أنّ المُراد بالأوّل من لم يتب وبالثّاني من تاب نظير قولك: إنّ الأمير لايبذل الدّينار ويبذل القنطار لمن يشاء،.تريد لايبذل الدّينار لمن لايستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله [٢٧].

ولايخفى أنّ ما ذكره خلاف ظاهر الآية. ساقته إليه مدرسته الكلاميّة فنزّل الأولى مورد عدم التّوبة والثّانية موردها حتى تتّفق الآية ومعتقده، مع أنّه لا دلالة في الآية على تقييد الثّانية بالتّوبة، لأنّه تفكيك بين الجملتين بلا دليل بل هما ناظرتان إلى صورة واحدة، وهي صورة عدم اقترانهما بالتّوبة، فلا يغفر الشّرك لعظم الذّنب، ويغفر ما دونه.

إمتناع رؤية اللّه او إمكانها

ذهبت الأشاعرة إلى جواز رؤيته سبحانه يوم القيامة، وهذا هو الأصل البارز في مدرستهم الكلاميّة. ثمّ انّ هناك آيات تدلّ بصراحتها على امتناع رؤيته، فحاولوا إخضاع الآيات لنظريتهم، وإليك نموذجاً واحداً. يقول سبحانه: **«ذلكم اللّه ربّكم لا إله إلّا هو خالق كلّ شيء فاعبدوه وهو على كلّ شيء وكيل. لاتُدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير»**[٢٨]

ومن المعلوم أنّ الإدراك مفهوم عامّ، لايتعيّن في البصريّ، أو السّمعيّ، أو العقليّ، إلّا بالإضافة إلى الحاسّة التي يراد الإدراك بها. فالإدراك بالبصر يراد منه الرّؤية بالعين. والإدراك بالسّمع يُراد منه السّماع. هذا هو ظاهر الآية.

ولّما حاول الرّازي (تفسير) الآية رأى أنّ ظاهرها، صريحها، لايوافق أصله الكلامي. فقال: «إنّ أصحابنا (الأشاعرة) إحتجّوا بهذه الآية على أنّه يجوز رؤيته، والمؤمنون يرونه في الآخرة وذلك بوجوه:

- إنّ الآية في مقام المدح، فلولم يكن جائزاً الرّؤية لما حصل التمدّح بقوله: «لاتُدركه الأبصار ألا ترى أنّ المعدوم لاتصحّ رؤيته، والعلوم والقدرة و الإرادة والرّوائح والطّعوم لايصحّ رؤية شيء منها ولايمدح شيء منها في كونها لاتدركه الأبصار. فثبت أنّ قوله: لاتدركه الأبصار، يفيد المدح ولايصحّ إلّا إذا صحّت الرّؤية».

يلاحظ عليه: أنّ الرّازي توغّل في مدرسته وغفل عن أنّ المدح ليس بالجزء الأوّل فقط وهو لاتدركه الأبصار. بل بمجموع الجزئين المذكورين في الآية كأنّه سبحانه يقول: واللّه جلّت عظمته يدرك أبصارهم ولكن لاتدركه أبصارهم. فالمدح بمجموع القضيّتين لا بالقضيّة الأُولى.

٢- إنّ لفظ «الأبصار» صيغة جمع دخل عليها الألف واللّام فهي تفيد الإستغراق بمعنى أنّه لايدركه جميع الأبصار وهذا لاينافي أن يدركه بعض الأبصار.

يلاحظ عليه أنّ الآية تفيد عموم السّلب لا سلب العموم، بقرينة كونه في مقام مدح نفسه. كأنّه سبحانه يقول: لايدركه أحد من جميع ذوي الأبصار من مخلوقاته، ولكنّه تعالى يدركهم، وهذا نظير قوله سبحانه: **«كذلك يطبع اللّه على كلّ قلب متكبّر جبّار»**[٢٩] وقوله: «إنّ

اللّه لايحبّ كلّ مُختال فخور»[٣٠]

إلى غير ذلك من الوجـوه الواهية التي ما ساقه إلى ذكرها إلّا ليُخضع الآية إلى معتقده، وبهذا القدر نكتفي بالكلام عن القسم الأوّل.

* * *

القسم الثّاني: تأويلات الباطنيّة المتصوّفة

إنّ الباطنيّة وضعوا لتفسير المفاهيم الإسلامية ضابطة ما دلّ عليها من الشّرع شيء وهو أنّ للقرآن ظاهراً وباطناً، والمراد منه باطنه دون ظاهره المعلوم من اللغة ونسبة الباطن إلى الظّاهر كنسبة اللبّ إلى القشر، وأنّ باطنه يؤدي إلى ترك العمل بظاهره، واستدلّوا على ذلك بقوله سبحانه «**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**»[٣١]

فإذا كانت تلك الضّابطة في فهم الشّريعة والعمل بالقرآن صحيحة، إذن أصبحت الشّريعة غرضاً لكلّ نابل وفريسة لكلّ آكل، فلا يبقى منها شيء. وفي هذه الحالة يدّعي كلّ مؤوّل أنّ الحقّ معه، وأنّ المراد ما اختاره من التأويل، على الرّغم من اختلاف تأويلاتهم.

إنظر إلى ما يقولون حول المفاهيم الاسلاميّة وإنّهم كيف يتلاعبون بها، فالصّلاة عبارة عن النّاطق الذي هو الرّسول لقوله سبحانه: «**إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمُنكر**» والغسل عبارة عن تجديد العهد ممّن أفشى سّراً من أسرار الباطنيّة من غير قصد، والاحتلام عبارة عن إفشائه والزّكاة هي تزكية النّفس بمعرفة ما هم عليه من الدّين، والجنّة راحة الأبدان من التكاليف ومشقّتها بمزاولتها[٣٢]

فإذا كان ما ذكره حقيقة الدّين والتّكاليف فلم يبق بين الدّيانة والإلحاد حدّ فاصل. هذه نماذج من تأويلات الباطنيّة. اقتصرنا بهذا المقدار.

تأويلات المتصوّفة

من القسم الثّاني أيضاً ما جاء به (إبن العربي) شيخ الصّوفيّة في عصره، فقد قام بتأويل المفاهيم القرآنية على وجه لا دليل عليه، فيقول إنّ جبرائيل هو العقل الفعّال، وميكائيل هو روح الفلك السّادس، وإسرافيل هو روح الفلك الرّابع، وعزرائيل هو روح الفلك السّابع[٣٣]

هذا وهو يفسر قوله سبحانه: «**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخٌ لايبغيان**» بأنّ مرج البحرين هو بحر الهيولي الجسمانيّة الذي هو الملح الأُجاج، وبحر الرّوح المجرّد الذي هو العذب الفُرات، يلتقيان في الموجود الإنساني، وإنّ بين الهيولي الجسمانيّة والرّوح المجرّد، برزخ هو النّفس الحيوانيّة التي ليست في صفاء الرّوح المجرّدة ولطافتها، ولا في كثرة الأجساد الهيولانية وكثافتها، ولكن مع ذلك لايبغيان، أي لايتجاوز أحدهما حدّه فيغلب على الآخر بخاصيته. فلا الرّوح المجرّدة تجرّد البدن، وتخرج به، وتجعله من جنسه، ولا البدن يجسّد الرّوح، ويجعله

ماديّاً[٣٤]

التأويل باسم التّفسير العلمي

وهناك تفسير بالعقل باسم التّفسير العلمي وقد نهجه كلّ من الشّيخ (محمّد عبده)، السيّد أحمد خان (الهندي)، و(الطّنطاوي الجوهري) ونحن نكتفي هنا بنماذج من تفسير (المنار) الذي جمعه محمد رشيد رضا تلميذ الشّيخ محمّد عبده.

١ـ كتب الأستاذ في تفسير قوله سبحانه: **«ولقد علمتم الّذين إعتدوا منكم في السّبت فقلنا لهم كونوا قِردةً خاسئين فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمُتّقين»**[٣٥] كتب مايلي:

(إنّ السّلف من المفسّرين ـ إلاّ من شذّ ـ ذهب إلى أنّ معنى قوله كونوا قردة خاسئين أنّ صورهم مسخت فكانوا قردة حقيقيين).

وإنّما نسب هذا المعنى إلى السّلف لأنّه يصطدم بالإتّجاه المادّيّ ولايصدّقه انصار الحضارة المادّيّة الذين ينكرون إمكان صيرورة إنسان قرداً حقيقياً دفعة واحدة، ولأجل ذلك مالَ الأستاذ إلى رأي (مجاهد) الذي قال ما مُسخت صورهم لكن مُسخت قلوبهم فمثّلوا بالقردة كما مثّلوا بالحمار في قوله تعالى: **«مثل الّذين حُمّلوا التّوراة ثمّ لم يحملوها كمثلِ الحمار يحمل اسفاراً»**[٣٦]. ثمّ **أخذ في نقد قول الجمهور إلى أن قال فما قاله** المجاهد هو الأوفق بالعبرة والأجدر بتحريك الفكرة)[٣٧]

ولايُخفى أنّه إذا صحّ هذا التّأويل فيصحّ لكلّ منكر للمعاجز والكرامات وخوارق العادات هذا النّمط من التّأويل، وعندئذ تبطل المعارف، ويكون الكتاب العزيز لعبة بيد المحرّفين.

٢ـ نقل صاحب (المنار) عن بعض المفسّرين مذهباً خاصّاً في معنى الملائكة وهو أنّ مجموع ما ورد في الملائكة من كونهم موكّلين بالأعمال من إنماء النّبات وخلقة الحيوان وحفظ الإنسان وغير ذلك فيه إيماء إلى الخاصّة، بما هو أدقّ عن ظاهر العبارة، هو أنّ هذا النّموّ في النّبات لم يكن لا بروح خاصّ نفخه اللّه في البذرة، فكانت به هذه الحياة النّباتيّة المخصوصة، وكذلك يقال في الحيوان والإنسان، فكلّ أمر كلّي قائم بنظام مخصوص تمّت به الحكمة الإلهيّة في إيجاده فأنّما قوامه بروح إلهي سمّي في لسان الشّرع ملكاً. ومن لم يُبال في التّسمية بالتّوقيف يسمّي هذه المعاني القوى الطّبيعية إذا كان لايعرف من عالم الإمكان إلاّ ما هو طبيعة أو قوّة يظهر أثرها في الطّبيعة.

وقال الأستاذ (عبده) بعد نقل نظير هذه التأويلات ولو أنّ نفساً مالت إلى قبول هذا التّأويل لم تجد في الدّين ما يمنعها من ذلك والعمدة على اطمئنان القلب وركون النّفس على ما أبصرت من الحقّ[٣٨].

ولايُخفى أنّ هذا التّأويل لو صحّ في بعض الأحاديث لما صحّ في الملائكة الواردة في قصّة آدم وغيرها، وما هذا التّأويل إلاّ للخضوع للاتّجاه المادّيّ الذي كان يسيطر على مصر وأطرافه يوم ذاك.

ولنكتف بهذه النّماذج من التّفسير بالعقل غير المرضي. والمراد بالعقل ما يقابل التّفسير بالنّقل سواء اعتمد على العقل الفلسفي، أو على الأصول العلميّة الحديثة، أو غير ذلك.

إنّ التّفسير بالعقل، وإن صحّ ببعض صوره، لكنّه غير وافٍ في إيقاف الإنسان على حقائق الكتاب العزيز، ولا غنى لمن يستند بالعقل عن الاستناد إلى النّقل أيضاً.

كلمة في التّفسير بالرّاي

التّفسير بالرّاي الذي يدخل تحته أكثر ماتقدّم من التّفسير بالعقل الذي أجمع الفريقان على منعه تبعاً للأثر المتضافر عن النّبيّ (ص) حيث قال: (إتّقوا الحديث إلاّ ما علمتم فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوّا مقعده من النّار ومن قال في القرآن برأيه فليتبوّا مقعده من النّار»[٣٩].

وعلى ضوء هذا الحديث ـ المتّفق عليه ـ يجب على المفسّر أن يتجرّد من الآراء المسبّقة، ويوطّن نفسه على قبول ماتفيده الآية وتدلّ عليه، ولايخضع القرآن لعقيدته، بل تعرض عقيدته على القرآن، لانّه حجّة اللّه على خلقه، وعهده إلى عباده. إليه يتحاكمون، وعن حكمه يصدرون، ولأجل ذلك لايجوز له تأويل الآية، وإخراجها عن ظاهرها، ليوافق عقيدته، ويلائم مذهبه، فإنّ موقف المتصدّي لتفسير كلام اللّه موقف المتعلّم من المعلّم، ومجتني الثّمرة من الشّجرة، فيجب أن يتربّص إلى أن ينطلق المعلّم فيأخذه خطّةً وقاعدةً، ويجتني الثّمرة في أوانها وفي إيناعها.

من البدع الذّائعة في بعض التّفاسير طلب الوجوه البعيدة في الإعراب، أو حمل اللّفظ على المعاني التي لاتتّفق وسياقها، أو سبب نزولها، وتطبيق الآيات على موارد ومصاديق بعيدة كلّها، لأجل أغراض، ودعايات، وأهداف طائفيّة، أو سياسيّة، أو شخصيّة عصمنا اللّه من ركوب الهوى والعصبيّة.

التّفسير بالنّقل

يعتمد المفسّر على العقل تارة، وأخرى على النّقل، وقد تقدّم الحديث عن أقسام التّفسير بالعقل مقبوله ومردوده، فحان حين البحث عن التّفسير بالنّقل، وبيان أقسامه:

١ـ تفسير القرآن بالقرآن

إنّ هذا المنهج من أسمى المناهج الصّحيحة الكافلة لتبيين المقصود من الآية، كيف وقد قال سبحانه: **«ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلّ شيء»** (النّحل / ٨٩) فإذا كان القرآن موضّحاً لكلّ شيء، فهو موضّح لنفسه أيضا، كيف والقرآن كلّه (هُدى) و (بيّنة) و (فرقان)، و (نور) كما في قوله سبحانه **«شهرُ رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن هُدى للنّاس وبيّنات من الهُدى والفرقان»** (البقرة/ ١٨٥).

وقال سبحانه: **«وانزلنا إليكم نوراً مُبيناً»** (النّساء/ ١٧٤) وقال النّبيّ الأكرم (ص): (إن القرآن يصدّق بعضه بعضاً) وقال علي (ع) في كلام له يصف فيه القرآن: (كتاب اللّه تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على

بعض، ولا يختلف في الله، ولا يخالف بمصاحبه عن الله)[٤٠]

وهذا نظير تفسير المطر الوارد في قوله سبحانه: «**امطرنا عليهم مطراً فساء مطرُ المُنذرين**» (الشّعراء/١٧٣) بالحجارة الواردة في آية أخرى في هذا الشّأن: «**وامطرنا عليهم حجارة من سجّيل**» (الحجر/٧٤).

وفي الرّوايات المأثورة عن أهل البيت نماذج كثيرة، من هذا المنهج، يقف عليها المتتبّع في الآثار الواردة عنهم، عند الاستدلال بالآيات على كثير من الأحكام الشّرعيّة الفرعيّة وغيرها.

وقد قام أحد الفضلاء باستقصاء جميع هذا النّوع من الأحاديث، المتضمّنة لهذا النّمط من التّفسير.

ولنذكر بعض النّماذج من هذا المنهج:

١ـ سأل زرارة ومحمد بن مسلم أبا جعفر عن وجوب القصر في الصّلاة في السّفر، مع إنّه سبحانه يقول: « **ليس عليكم جناح** » ولم يقل: افعلوا.

فأجاب الإمام عليه السلام بقوله: (أوليس قد قال الله عزّ وجلّ في الصّفا والمروة: «**فمن حجّ البيت او اعتمر فلا جُناح عليه ان يطوف بهما**» الا ترون انّ الطّواف بهما واجب مفروض)[٤١]

٢ـ روى المُفيد في الإرشاد انّ عمر أُتِيَ بامراةٍ قد ولدت لستّة أشهر فَهَم برجمها فقال له أمير المؤمنين: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إنّ الله تعالى يقول: «**وحَمْله وفصالُه ثلاثون شهراً**» (الأحقاف/١٥) ويقول: «**والوالداتُ يرضَعْنَ أولادهنّ حولين كاملين لمن أراد أن يتمّ الرّضاعة**» (البقرة/٢٣٣) فإذا تمّ أتمّت المراة الرّضاع لسنتين وكان حمله وفِصالُه ثلاثين شهراً. كان الحمل منها ستّة اشهر، فخلّى عمر سبيل المرأة [٤٢].

وهذا النّمط من التّفسير كما يتحقّق بالتّفسير الموضوعي، أي تفسير القرآن حسب الموضوعات، يتحقّق بالتّفسير التّجزئي أي التّفسير حسب السّور، سورة بعد سورة وهذا تفسير الميزان، قد كتب على تفسير القرآن بالقرآن، لكن على حسب السّور، دون الموضوعات، فبيّن إبهام الآية بآية أخرى.

ولكنّ الصّورة الكاملة لهذا القسم من التّفسير يستدعي الإحاطة بالقرآن الكريم، وجمع الآيات الواردة في موضوع واحد، حتى تتجلّى الحقيقة من ضمّ بعضها إلى بعض واستنطاق بعضها ببعض، فيجب على القائم بهذا النّمط، تفسير القرآن على حسب الموضوعات، وهو نمط جليل يحتاج إلى عناء كثير... وقد قام العلاّمة المجلسي برفع بعض مشاكل هذا النّمط، فجمع الآيات الواردة في كلّ موضوع حسب السّور.

ولو صدر هذا القسم من البحار في جزء مستقل رُبّما يكون مفتاحاً للتّفسير الموضوعي، فهو قدّس الله سّره قد استخرج الآيات حسب الموضوعات، وشرحها بوجه إجمالي.

ولكنّ النّمط الأوسط منه هو قراءة القرآن من أوّله إلى آخره، والدّقّة في مقاصد الآيات ثمّ

تصنيفهـا، حسب ما ورد فيها من الأبحاث والمـوضـوعات، ففي هذا النّوع من التّفسير تستخرج الموضوعات من الآيات، ثمّ تصنّف الآيات حسب الموضوعات المستخرجة، وهذا بخلاف ما قام به العلاّمة المجلسي، فهو صنّف الآيـات حسب المـوضـوعات التي جادت بها ذاكرته، أو جاءت في كتب الأحاديث والأخبار.

وهـذا النّمـط من التّفسـير لايعني قول القـائـل: (حسبنـا كتـاب اللّه) المجمع على بطلانه من عامّة المسلمين لاهتمامهم بالسّنّة مثـل إهتمـامهم بالقـرآن، وإنّمـا يعني أنّ مشاكل القرآن ومبهماته ترتفع من ذلك الجانب.

وأمّـا أنّـه كافٍ لرفـع جميع المبهمات في مجمـلات الآيـات ومـطلقـاتها، فلا شكّ أنّ المجمـلات كالصّـلاة والزّكـاة يبيّن بالسّنّة، والعمـومـات تُخصّص بهـا، والمطلقات تُقيّد بالإخبار إلى غير ذلك من موارد الحاجة إلى السّنّة.

هذا بعض الكـلام في هذا المنهج، الذي حظي بالإهتمام في هذا العصر، فقد إتّبعنا هذا المنهـج في تفسيرنا للذّكر الحكيم فخرج فيه باللغة العربية أجزاء خمسة باسم (مفاهيم القرآن) وباللغة الفارسيّة أجزاء ستّة، وانتشر باسم (منشور جاويد) ولاننكر أنّ هذا العبء الثّقيـل يحتـاج إلى لجنـةٍ تحضـيريّـة أوّلاً وتحريريّة ثانياً، وإشراف من الأساتذة ثالثاً، رزقنا اللّه تحقيق هذه الأمنية.

إنّ تفسير ابن كثير يستمدّ من هذا النّمط ـ أي تفسـير الآيـات بالآيـات ـ بين الحين والآخـر كمـا أنّ الشّيـخ محمّـد (عبده) في تفسـيره الذي حُرّر بقلم تلميـذه اتّبـع هذا المنهج في بعض الأحايين.

والأكمـل من التّفسـيرين في اتّبـاع هذا المنهج هو تفسير السيّد العلاّمة الطّباطبائي، فقد بنى تفسيره على تفسير الآية بالآية.

غير أنّ هذه التّفـاسير الثّلاثة كما عرفت كتبت على نحو التّفسير التّجزيئي، أي تفسير القرآن بسورة بعد سورة، لا على نحو التّفسير حسب الموضوعات.

وعـلى كلّ تقـدير، فتفسير القرآن بالقرآن يتحقّق على النّمط الموضوعي، كما يتحقّق على النّمـط التّجزيئي، غير أنّ الأكمل هو إقتفاء النّمط الأوّل.

٢ ـ التّفسير البياني للقرآن

هذا المنهج الذي ابتكره ـ حسب ماتدّعيه الدّكتورة عائشة عبدالرّحمن (بنت الشّاطئ) ـ (أستاذها أمين الخولي) عبارة عن استقراء اللّفظ القرآني، في كلّ مواضع وروده للوصول إلى دلالته، وعرض الظّاهرة الأسلوبية على كلّ نظائـرهـا، في الكتاب المحكم، وتدبّر سياقها الخاصّ في الآية والسّورة، ثمّ سياقها العامّ في المصحف كلّه إلتماساً لسّره البياني.

وحاصل هذا المنهج يدور على ضوابط وهي:

أ ـ التّنـاول الموضوعي لما يراد فهمه من القرآن ويبدأ بجمع كلّ ما في الكتاب المحكم، من سور وآيات الدروس.

ب ـ ترتّب الآيات فيه حسب نزولها، لمعرفة

ظروف الزّمان والمكان، كما يُستأنس بالمرويّات في أسباب النّزول، من حيث هي قرائن لابست نزول الآية، دون أن يفوت المفسر أنّ العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب الذي نزلت فيه الآية.

ج ـ في فهم دلالات الألفاظ يقدّر أنّ العربيّة هي لغة القرآن فتلتمس الدّلالة اللّغوية الأصلية التي تعطينا حسّ العربيّة للمادّة في مختلف استعمالاتها الحسّيّة والمجازية، ثمّ يخلص للمح الدّلالة القرآنية بجمع كلّ ما في القرآن، من صيغ اللّفظ، وتدبّر سياقها الخاصّ في الآية والسّورة وسياقها العامّ في القرآن كلّه.

د ـ وفي فهم أسرار التّعبير يحتكم إلى سياق النّصّ في الكتاب المحكم ملتزمين ما يحتمله نصّاً وروحاً، ويعرض عليه أقوال المفسّرين، فيقبل منها ما يقبله النّصّ.

هذا هو خلاصة هذا المنهج الذي ابتكره (الأستاذ الخولي) واقتفت أثره تلميذته وقرينته (بنت الشاطئ) فخرج من هذا المنهج كتاب باسم (التّفسير البياني للقرآن الكريم) في جزئين تناول تفسير السّور التّالية في الجزء الأوّل: الضّحى، الإنشراح، الزّلزلة، النّازعات، العاديات، البلد، التّكاثر كما تناول في الجزء الثّاني تفسير السّور التّالية: العلق، القلم، العصر، اللّيل، الفجر، الهُمزة، الماعون.

ولا شكّ أنّه نمط بديع بين التّفاسير، إذ لايماثل شيئا ممّا أُلّف في القرون الماضية، من زمن الطّبري إلى العصر الأخير، الذي عُرف فيه تفسير الإمام (عبده) وتفسير (المراغي) فهذا النّمط لايُشابه التّفاسير السّابقة، غير أنّه لون من التّفسير الموضوعي أولاً، وتفسير القرآن بالقرآن ثانياً، والنّقطة البارزة في هذا النّمط هو استقراء اللّفظ القرآني في كلّ مواضع وروده في الكتاب.

وبعبارة أخرى، يهتمّ المفسّر في فهم لغة القرآن بالتتبّع في جميع صيغ هذا اللّفظ الواردة في القرآن الكريم، ثمّ يخرج من ضمّ بعض إلى بعض بحقيقة المعنى اللّغوي الأصيل، وهو لايترك هذا العمل، حتى في أوضح الألفاظ.

فمثلًا يتتبّع في تفسير قوله سبحانه: «**ألم نشرح لك صدرك**» كلّ آية ورد فيها مادّة (الشّرح) بصُوَرِها، أو كلّ آية ورد فيها مادّة (الصّدر) بصيغه المختلفة، وهكذا في كلّ كلمة حتى وإن كان واضحاً معناه عندنا، لكنّه لايعتني بهذا الوضوح بل يرجع إلى نفس القرآن، ثمّ يطبّق عليه سائر الضّوابط، من تدبّر سياق الآية، وسياق السّورة، وسياق الآية العامّ، في القرآن كلّه.

والذي يُؤخذ على هذا النّوع من التّفسير أنّه أمر بديع قابل للاعتماد، غير أنّه لايكفي في تفسير الآيات الفقهية بلا مراجعة السُّنّة، لأنّها عموميّات فيها مخصّصها، أو مطلقات فيها مقيّدها، أو مجملات فيها مبيّنها. ورغم ذلك فانّ هذا النّمط من التّفسير يغني عن كثير من الأبحاث اللّغوية التي طرحها المفسّرون، لأنّ المفسّر في هذا النّمط يريد أن يستخرج معنى اللّفظ من التدبّر في النّصّ القرآني. امّا معاجم العربيّة وكتب التّفسير فتعينه في بداية الأمر.

وما ورد في روايات أهل البيت في مواضع، يشبه بهذا النوع من النمط وهو الدّقة في خصوصيّات الآية وجملها ومفرداتها وإليك نماذج.

١ـ روى الصّدوق بإسناده عن زُرارة قال: قلت لأبي جعفر ألا تخبرني من أين علمت وقلت انّ المسح ببعض الرّاس وبعض الرّجلين، فضحك فقال: يازُرارة قاله رسول اللّه (ص) ونزل به الكتاب من اللّه عزّ وجلّ، لأنّ اللّه عزّ وجلّ قال: **«فاغسِلُوا وُجُوهكم»** فعرفنا أنّ الوجه كلّه ينبغي أن يُغسل، ثمّ قال: **«وأيديكم إلى المرافق»** فعرفنا انّه ينبغي لهما أن يُغسلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلامين فقال: **«وامسحوا بروؤسكم»** فعرفنا حين قال: (بروؤسكم) أنّ المسح ببعض الرّاس لمكان (الباء) ثمّ وصل الرّجلين بالرّاس، فعرفنا حين وصلهما بالرّاس أنّ المسح على بعضها، ثم فسّر ذلك رسول اللّه (ص) للنّاس فضيّعوه[٤٣]

٢ـ روى الكليني بسند صحيح عن حمّاد بن عيسى عن أبي عبداللّه انّه سئل عن التيمّم فتلا هذه الآية: **«والسّارق والسّارقة فاقطعوا أيديهما»** وقال: **«فاغسلوا وجوهكم وايديكم إلى المرافق»** قال فامسح على كفّيك من حيث موضع القطع[٤٤].

فقد استظهر الإمام في التيمّم كفاية المسح على الكفّين بحجّة انّه أطلق الأيدي في آية السّرقة والتيمّم وقال: **«فإن لم تجدوا ماء فتيمّموا صعيداً طيّباً فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه»** فعلم أنّ القطع والتيمّم ليس من المرفقين.

٣ـ سأل أبو بصير أحد الصّادقين (ع): هل كانت صلاة النّبيّ إلى بيت المقدس بأمر اللّه سبحانه أو لا؟، قال: نعم. ألا ترى أنّ اللّه تعالى يقول: **«وما جعلنا القبلة الّتي كنت عليها إلّا لنعلم من يتّبع الرّسول»**[٤٥].

٣ـ تفسير القرآن باللغة والقواعد العربيّة

ففي هذا المنهج يهتمّ المفسّر إهتماماً شديداً بالقراءة حتّى يقف على الصّحيح منها لأنّه ينبعث عن تحريف اللّفظ القرآني المنزّل، ومن ثمّ تحريف المعنى

فالحرص على سلامة النّطق حرصٌ على سلامة معنى النّصّ القرآني، وصيانته من شبهة أو تحريف.

والاهتمام بالقراءة يستدعي منطقيّاً الاهتمام بالصّنعة النّحويّة، في النّصّ القرآني إذ إنّ هذا الإهتمام بضبط أواخر الكلمات إنّما يقصد أساساً إلى المعنى، فعلى المعنى يدور ضبط الكلمة وإعرابها فالفاعل يُرفع والمفعول به يُنصب وما فيه سبب من أسباب الجرّ يجرّ.

فالتفات النّحويين إلى إعراب القرآن كان التفاتاً طبيعيّاً لأنّ الغاية من وضع النّحو هي خدمة معنى القرآن، وتحليته. ففي ضوء القراءة ثمّ ضبط الإعراب القرآني يتّضح مفاد الآية في هذا الإطار الخاصّ، مضافاً إلى تحقيق مفردات الآية لغوياً، وتوضيح معانيها الأصليّة.

وعلى هذا النّمط تجد التّفاسير الآتية:

١ـ (معاني القرآن) تأليف أبي زكريّا يحيى بن زياد الفرّاء (م ٢٠٧) ففسّر مشكل إعراب القرآن ومعانيه على هذا المنهج وقد طبع الكتاب في جزئين، حقّقهما محمّد علي النجّار وأحمد يوسف نجاتي. ويبدو من ديباجة الكتاب أنّ الفرّاء أخذ في التأليف سنة ٢٠٤.

والكتاب قيّم في نوعه، وإن كان غير وافٍ لعامّة مقاصد القرآن الكريم.

٢ـ (مجاز القرآن) لأبي عُبيدة معمّر بن المثنّى (م ٢١٣) وقيل غير ذلك.

يقول في مقدّمة الكتاب: (قالوا: إنّما أنزل القرآن بلسان عربي ومصداق ذلك في آية من القرآن وفي آية أُخرى: «**وما ارسلنا من رسول إلّا بلسان قومه**» فلم يحتجّ السّلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النّبيّ ان يسألوا عن معانيه لأنّهم كانوا عرب الألسن فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعمّا فيه ممّا في كلام العرب من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني).

وهذا يعرب عن أنّه كان معتقداً بأنّ الإطاحة باللّغة العربيّة، كافية في إخراج معاني القرآن وهو كما ترى.

نعم القرآن نمط من التّعبير العربي لكن ليس كلّ تعبير عربي غنيّاً عن البيان خصوصاً في مجال التّشريع والتّقنين الذي نرى تفصيله في السّنّة.

ويظهر من سبر كتاب مجاز القرآن أنّه لايقصد من المجاز ما يقابل الحقيقة، بل يريد ما يتوقّف فهم الآية على تقدير محذوف، وما شابه ذلك، وهو على غرار (مجازات القرآن) للشّريف الرّضي رضوان اللّه عليه، ولكنّ الشّريف خصّص كتابه بالمجاز بشكله المصطلح، مثلاً يقول أبو عبيده: ومن المحتمل من مجاز ما اختصروا فيه مضمر. قال: «**وانطلق الملأ منهم: أن امشوا واصبروا**» فهذا مختصر فيه ضمير. مجازه: وانطلق الملأ منهم ثمّ اختصر إلى فعلهم وأضمر فيه: وتواصوا أنّه امشوا. أو تنادوا أن امشوا أو نحو ذلك.

وفي آية أخرى: «**ماذا اراد اللّه بهذا مثلاً**» فهذا من قول الكفّار، ثمّ اختصر إلى قول اللّه، وأضمر فيه: قل يامحمّد، نضلّ به كثيراً، وهذا من كلام اللّه.

وقد طبع الكتاب وانتشر.

٣ـ (معاني القرآن) لأبي إسحاق الزّجّاج (م ٣١١) يحدّد (ابن النّديم) تاريخ تأليف هذا الكتاب في نصّه: قرأت على ظهر كتاب المعاني: إبتدأ أبو إسحاق إملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة ٢٨٥ وأتمّه في شهر ربيع الأوّل سنة ٣٠١.

والكتاب بعد مخطوط ومنه نسخ متفرّقة في المكتبات.

٤ـ (تلخيص البيان في مجازات القرآن): تأليف الشّريف الرّضي أبي الحسن محمد بن الحسين (ت: ٣٥٩، م: ٤٠٦).

يقول في أوّله: إنّ بعض الأخوان جاراني، وذكر ما يشتمل عليه القرآن من عجائب الإستعارات وغرائب المجازات التي هي أحسن من الحقائق معرضاً، وانفع للعلّة معنىً ولفظاً، وإنّ اللّفظة التي وقعت مستعارة

لو أوقعت في موقعها لفظة الحقيقة لكان موضعها نابياً بها، ونصابها قلقاً بمركّبها، إذ كان الحكيم سبحانه لم يورد ألفاظ المجازات لضيق العبارة عليه، ولكن لأنها أجلى في أسماع السّامعين وأشبه بلغة المخاطبين، وسألني أن أُجرّدَ جميع ما في القرآن في ذلك على ترتيب السّور ليكون اجتماعه أجلّ موقعاً وأعمّ نفعاً، وليكون في ذلك أيضا فائدة أخرى.

(إلى أن قال) وقد كنت أوردت في كتابي الكبير الموسوم بـ(حقائق التّأويل في متشابه التّنزيل) طرفاً كثيراً من هذا الجنس أطلت الكلام والتّنبيه على غوامض العجائب التي فيه من غير استقصاء[٤٦]

وبهذا البيان إمتاز هذا التأليف عمّا ألّفه أبو عبيدة وأسماه (بمجاز القرآن).

فالشّريف يروم من المجاز القسم المصطلح، ولكنّ أبا عبيدة يروم الكلام الخارج على غير النّمط العاديّ من حذف وتقدير وتأخير، وإضمار وغير ذلك.

٤ـ تفسير القرآن بالأثر عن النّبيّ والأئمة

ومن التّفسير بالمنقول هو تفسير القرآن بما أثر عن النّبيّ والأئمة المعصومين أو الصحابة والتّابعين وقد ظهر هذا النّوع من النّهج بعد رحلة النّبيّ ومن المعروفين في سلوك هذا المنهج بعد عهد الرّسالة (عبدالله بن عبّاس) وهو القائل ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب[٤٧] وحسبك هذه الشّهادة من ترجمان القرآن.

نعم روى عن النّبيّ (ص) انّه دعا له بالفقه والحكمة وتأويل القرآن[٤٨] ولكن للتردّد في صحّة ذلك الحديث مجال لأنّ عبدالله بن عبّاس ولد في عام الهجرة فكان عند رحلة النّبيّ (ص) صبيّاً لايتجاوز عمره عن عشرة أعوام.

وقد ذاع هذا المنهج من القرن الأوّل إلى أعصارنا هذه فظهر بين المفسّرين من يكتفون في التّفسير بالأثر المرويّ ولايتجاوزون عنه حتّى انّ بعض المفسّرين لايذكر الآية التي لايجد حولها أثراً من النّبيّ والأئمة كما هو ديدن تفسير (البرهان) للسيّد البحراني. ولنأت بأشهر التّفاسير الحديثيّة بين الفريقين.

فأشهر المصنّفات على هذا النّمط عند أهل السّنّة عبارة عن تفسير أبي جعفر محمّد بن جرير الطّبري (ت: ٢٢٤، م: ٣٠١) وهذا الكتاب أوسع ما ألّف في هذا المجال، ومن مزايا هذا التّفسير ذكر الرّوايات مسندة أو موقوفة على الصحابة والتّابعين وقدسَهَّل بذلك طريق التّحقيق والتثبّت منها وممّا فيها من الإسرائيليات والمسيحيّات ما لايحصى كثرة.

٢ـ ويليه في التبسّط تفسير الثّعلبي (م ٤٢٧) باسم (الكشف والبيان) وهو تفسير مخطوط ونسخه قليلة عسى أن يقيّض اللّه رجال التّحقيق لإخراجه إلى عالم النّور ومؤلّفه من المعترفين بفضائل أهل البيت فقد روى نزول كثير من الآيات في حقّ العترة الطّاهرة، وينقل عنه كثيراً السيّد البحراني في كتبه مثل (غاية المرام) و (تفسير البرهان).

٣ـ تفسير (الدّرّ المنثور) تأليف السّيوطي (م ٩١١) نقل فيه مارواه الطّبري في تفسيره مضافاً إلى ما وقف عليه شخصيّاً وغيره ويبدو من كتابه (الإتقان) انّه جعله مقدّمة لذلك التّفسير وقد ذكر في خاتمة الإتقان نبذة من التّفسير بالمأثور المرفوع إلى النّبيّ (ص) من أوّل الفاتحة إلى سورة النّاس.

هذه مشاهير التّفاسير الحديثيّة عند أهل السّنّة. إكتفينا بذلك. هذا ما لدى أهل السّنّة.

وأمّا التّفسير بالمأثور عند الشّيعة فأشهرها مايلي:

١ـ تفسير محمّد بن مسعود العيّاشي المعاصر للكليني الذي تُوُفِّيَ عام ٣٢٩ هـ وقد طُبع في جزئين، غير أنّ ناسخ الكتاب في القرون السّابقة جنى على الكتاب جناية علميّة لاتغتفر حيث أسقط الأسانيد، وأتى بالمتون، وبذلك سدّ على المحقّقين باب التّحقيق.

٢ـ تفسير علي بن إبراهيم القمّي الذي كان حيّاً عام ٣٠٧ وتفسيره هذا مطبوع قديماً، وحديثاً غير أنّ التّفسير ليس لعليّ بن إبراهيم القمّي وحده، وإنّما هو تفسير ممزوج من تفسيرين فهو ملفّق ممّا أملاه علي بن إبراهيم على تلميذه أبي الفضل العبّاس، وما رواه تلميذه بسنده الخاصّ عن أبي الجارود عن الإمام الباقر (ع).

وقد أوضحنا حاله في أبحاثنا الرّجاليّة[٤٩].

٣ـ وقد ألّف في أواخر القرن الحادي عشر تفسيران بالمنهج المذكور هما: البرهان في تفسير القرآن للسيّد هاشم البحراني المتوفى (١١٠٧). ونور الثّقلين للشّيخ عبد علي الحويزي من علماء القرن الحادي عشر.

والإستفادة من التّفسير بالمأثور يتوقّف على تحقيق إسناد الرّوايات لتطرّق الإسرائيليات والمسيحيّات والمجوسيّات المرويّة من مسلمة أهل الكتاب إليها.

وهناك كلمة قيّمة (لابن خلدون) يقول: (إنّ العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأمّيّة، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتوق إليه النّفوس البشريّة في أسباب المكوّنات، وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدون منهم وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه، وعبدالله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التّفاسير من المنقولات عنهم وتُلُقّيت بالقبول، وتساهل المفسّرون في نقل ذلك، ومَلَأوا كتب التّفسير بهذه المنقولات، وأصلها كلّها كما قلنا من التّوراة أو ممّا كانوا يفترون)[٥٠].

ولأجل ذلك ترى أنّ ما أتى به الطّبري في تفسيره حول قصّة آدم وحوّاء تطابق ماجاء في التّوراة.

والعجب انّ كتب التّفسير مملوءة من اقاويل هؤلاء (أي مسلمة أهل الكتاب) ومن أخذ عنهم من المسلمين أمثال عكرمة ومجاهد وعطاء والضّحّاك.

فهؤلاء مضافاً إلى ما ورد فيهم من الجرح والطّعن في كتب الرّجال المعتبرة عن أهل السّنّة كانوا يأخذون ماأثر عنهم من التّفاسير من اليهود والنّصارى)[٥١].

وأمّا مايتراءى من نقل أقوالهم في تفاسير الشّيعة كالتّبيان لشيخ الطّائفة الطّوسي، ومجمع البيان للشّيخ الطّبرسي، فعذرهم في نقل أقوالهم هو رواجها في تلك العصور والأزمنة، بحيث كان تجاهلها يعدّ نقصاً في التّفسير، ويوجب عدم الاعتناء به.

وعلى كلّ تقدير فالتّفسير بالمأثور يتوقّف على توفّر شرائط الحجّيّة فيه، إلّا إذا كان الخبر ناظراً إلى بيان كيفية الإستفادة من الآية، ومرشداً إلى القرائن الموجودة فيها، فعندئذ تلاحظ كيفية الإستفادة، فعلى فرض صحّة الاستنتاج يؤخذ بالنّتيجة وإن كان الخبر غير واجد للشّرائط.

وأمّا إذا كان التّفسير مبنيّاً على التّعبّد فلا يؤخذ به إلّا عند توفّر الشّرائط.

* * *

هذه هي المناهج التّفسيرية على وجه الاقتصار، قد عرفت المقبول والمردود منها غير أنّ المنهج الكامل عبارة عن المنهج الذي يعتمد على كلّ المناهج الصّحيحة فيعتمد في تفسير القرآن على العقل القطعيّ الذي هو كالقرينة المنفصلة، كما يفسّر القرآن بعضه ببعض ، ويرفع إبهام الآية بأختها، ويستفيد من الأثر الصّحيح الذي يكون حجّة بينه وبين ربّه إلى غير ذلك من المناهج المرضيّة التي مرّ بيانها .

الهوامش:

(١) الكافي/ الجزء٢/ ص ٢٣٨.
(٢) نهج البلاغة/ الخطبة ١٨٩.
(٣) لاحظ (معجم المفسّرين) لعادل نويهض و (طبقات المفسّرين) للحافظ شمس الدّين الدّاوودي المتوفى عام ٩٤٥، وما ذكرنا من الإحصاء مأخوذ من (معجم المفسّرين). كما أنّ ما ذكرنا أنّ ربع هذا العدد يختصّ بالشّيعة مأخوذ من ملاحظة ما جاء في كتاب (الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة) من ذكر ٤٥٠ تفسيراً للشّيعة.
ولكنّ الحقيقة فوق ذلك. فإنّ ما قام به علماء الشّيعة في مجال التّفسير باللّغات المختلفة في العصر الحاضر لم يذكر في الذّريعة، ولأجل ذلك يصحّ أن يُقال انّ ثلث هذا العدد يختصّ بالشّيعة كما أنّه فات صاحب (معجم المفسّرين) عدة كتب للتّفسير لدى الشّيعة الإمامية، وإن كان تتبّعه قابلاً للتّقدير.
(٤) شرح العقائد النّسفية لسعد الدّين التّفتازاني/ ص ١٤٢.
(٥) الكافي/ ج٢/ ص ٢٣٨.
(٦) النّساء/ ٧٨.
(٧) النّساء/ ٨٢.
(٨) محمّد (ص)/ ٢٤.
(٩) التّفسير والمفسّرون، نقلاً عن الموافقات/ ج٣/ ص ٣٨٢_٣٨٣
(١٠) الحديد/ ٣.
(١١) المؤمنون/ ٩١.
(١٢) الأنبياء/ ٢٢.
(١٣) النّحل/ ١١٢ و ١١٣.
(١٤) التّوبة/ ١٢.
(١٥) البرهان في تفسير القرآن/ ج١/ ص ١٠٥.
(١٦) الرّعد/ ١٧.
(١٧) سورة النّور/ ٣٥.
(١٨) مريم/ ٢٥.
(١٩) تفسير الآلوسي: ج٦/ ص ٦٠.
(٢٠) البحار ج٩٢/ باب فضل القرآن/ الحديث ٨، نقلاً عن عيون اخبار الرّضا عن أبيه موسى الكاظم (ع)

(٢١) شرح الأصول الخمسة/ ص ٦٨٨.
(٢٢) الكشّاف: ج١/ ص ٢٩١. في تفسير الآية رقم ٢٥٤ من سورة البقرة.

(٢٣) لاحظ: أوائل المقالات ص ١٤. وشرح الأصول الخمسة ص ٦٥٩.
(٢٤) الرّعد/ ٦.
(٢٥) الكشّاف: ج٢/ ص ١٥٩.
(٢٦) النّساء/ ٤٨.
(٢٧) الكشّاف: ج١/ ص ٢٠١، في تفسير الآية المذكورة.
(٢٨) الأنعام/ ١٠٢ و ١٠٣.
(٢٩) غافر/ ٣٥.
(٣٠) لقمان/ ١٨.
(٣١) الفرق بين الفرق/ ص ١٨.
(٣٢) المواقف/ ج٨/ ص ٣٩٠.
(٣٣) تفسير إبن العربي/ ج١/ ص ١٥٠
(٣٤) تفسير إبن العربي/ ج٢/ ص ٢٨٠.
(٣٥) البقرة/ ٦٥ـ٦٦.
(٣٦) الجمعة/ ٥.
(٣٧) تفسير المنار/ ج١/ ص ١٣٤٣ إلى ١٣٥٤.
(٣٨) المنار، ج١ ص
(٣٩) سنن التّرمذي/ أبواب التّفسير/ ج٢/ ص ١٥٧.
(٤٠) نهج البلاغة/ الخطبة ١٢٩.
(٤١) الوسائل/ ج٥٥/ الباب ٢٢، من أبواب صلاة المسافر/ الحديث ٢.
(٤٢) نور الثّقلين/ ج٥/ ص ١٤. الدّرّ المنثور للسيوطي/ ج٥/ ص ؟
(٤٣) الوسائل/ ج١/ الباب ٢٣، من أبواب الوضوء الحديث ١.
(٤٤) الوسائل/ ج٢/ الباب ١٣، من أبواب التيمّم الحديث٢.
(٤٥) الوسائل/ ج٣/ الباب ٢، من أبواب القبلة/ الحديث ٢.
(٤٦) تلخيص البيان/ مقدّمة المؤلف/ ص ١ـ٢.
(٤٧) مناهل القرآن/ ج١/ ص ٤٦٨.
(٤٨) تنقيح المقال/ ج٢ ص ، وأسد الغابة/ ج٣/ ص ١٩٣.
(٤٩) كلّيات في علم الرّجال/ ص.٢١١ـ٢١٥.
(٥٠) مقدّمة إبن خلدون/ ص ٤٣٩.
(٥١) لاحظ: آلاء الرّحمن ١/٤٦، الملل والنّحل ١/٧١ـ٩٥.

تفسير القرآن بالقرآن عند العلاّمة الطباطبائي

الدكتور خضير جعفر.

الفكرة

أجمع العلماء والمفسّرون على أنّ أعظم وأفضل ما يُفسّر به كتاب الله هو القرآن نفسه، باعتباره المصدر الأوّل للتفسير، وقد برزت فكرة تفسير القرآن بالقرآن في وقت مبكّر من عمر الرّسالة الاسلامية، فبالأضافة إلى ماورد من الكتاب العزيز، من تفسير لبعض آياته، وبشكل جلّي وواضح، لدى عامّة المسلمين، فضلاً عن علمائهم، فإنّ النّبيّ الأكرم (ص) والصّحابة من بعده كانوا قد مارسوا هذا اللّون من التفسير، واستخدموه في معرفة معاني بعض الآيات القرآنية الكريمة، كما استفاد التّابعون، ومن جاء من بعدهم من المفسّرين، من هذا المنهج التّفسيري، وخاصّة أولئك المفسّرين، من أصحاب الاتّجاه الأثري، حيث طبّقوا فكرة تفسير القرآن بالقرآن بشكل واسع

وقد شهد القرنان الخامس والسادس بعد الهجرة النّبويّة الشّريفة نشاطاً ملموساً، في حركة التفسير بشكل عام، وتفسير القرآن بالقرآن بشكل خاص، حيث شملت تفاسير كلّ من البغوي[١] وابن عطيّة[٢] من مفسّري أهل السّنّة. والطّوسي[٣] والطّبرسي[٤] من مفسّري الشيعة مزيداً من العناية بهذا اللّون من التفسير القرآني، وبما مهّد لمن تابعهم من المفسّرين أن يتنافسوا في هذا المجال.

هذا بالاضافة إلى ماورد من روايات تفسيريّة عن النّبي(ص) وأئمة أهل البيت عليهم السلام تؤكّد تبنّيهم لمثل هذا المنهج التّفسيري:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عمر[٥]، قال لّما نزلت: ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم... قام رجل فقال: والشّرك يانبيّ الله؟ فكره ذلك النّبي(ص) فقال: إنّ الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك[٦].

وممّا يعني أنّ رسول الله (ص) قد فسّر

الإسراف على النفس بما هو دون الشرك بالله

وفي تفسير قوله «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلّا هو»[7].

روي عن ابن عمر: انّ رسول الله (ص)، قال: مفاتح الغيب خمس لايعلمها إلّا الله: لايعلم مافي غد إلّا الله، ولا يعلم متى تغيض الأرحام إلّا الله، ولايعلم متى يأتي المطر أحد إلّا الله، ولاتدري نفس بأيّ أرض تموت إلّا الله، ولايعلم أحد متى تقوم السّاعة إلّا الله تبارك وتعالى[8].

والتدبّر البسيط في ما ذكره رسول الله (ص) من تعداد لمفاتح الغيب الخمسة يجدها مستفادة من آيات الكتاب العزيز التي حصرت معرفة مثل هذه الأمور بالله سبحانه حيث يقول تعالى «**إنّ الله عنده علم السّاعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وماتدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بايّ ارض تموت**»[9].

* قصة التفسير عند العلاّمة الطّباطبائي:

والسيّد الطّباطبائي ذلك المفسّر الكبير الذي يرى في أهل البيت عليهم السلام مصاديق واقعيّة للرّاسخين في العلم[10] حيث لا شبهة عنده في ظهور الآيات في أنّ المطهّرين من عباد الله الذين اذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً هم الذّين يمسّون القرآن.بنيل فهمه ومعرفة أسراره وعلومه حيث يقول تعالى «**إنّه لقرآن كريم في كتاب مكنون لايمسّه إلّا المطهّرون**»[11] إذن فمن الطّبيعي جدّاً للمفسّر الموالي لهؤلاء أن يسلك ما سلكوه من نهج تفسيري وهم يفسّرون القرآن بالقرآن ويشرحون الآية بالآية.

وقد اطّلع العلاّمة الطّباطبائي على حشد كبير من النّصوص الرّوائية، التي تثبت.أنّ أهل البيت عليهم السلام قد انتهجوا هذا المنهج التّفسيري، وقد ثبّت مفسّرنا قسماً لابأس به، من تلك الرّوايات عنهم عليهم السلام في تفسيره «الميزان» ولهذا فقد تابعهم في السّير على هذا النهج، ليجعل من كتاب الله تعالى محوراً لتفسيره، فيبدع في ذلك أيّما إبداع، خاصّة وأنّه يعتقد بأنّ التفسير الواقعي للقرآن هو التّفسير الذي ينبع من التدبُّر من الآيات الكريمة وضمّ بعضها إلى بعض [12] حيث يفترض العلاّمة الطّباطبائي وجود ثلاث طرق للتّفسير هي:

(١) تفسير الآية لوحدها بالمقدّمات العلميّة وغير العلميّة التي نملكها.

(٢) تفسير الآية بمعونة الأحاديث عن المعصومين عليهم السلام.

(٣) تفسير الآية بالتدبّر والدّقّة فيها وفي غيرها والإستفادة من الأحاديث.

والطريقة الثّالثة ـ عند المفسّر ـ هي المنهج الصّحيح الذي حثّ عليه النّبيّ وأهل بيته عليهم السلام. إذ القرآن (نزل ليصدّق بعضه بعضاً) كما قال رسول الله(ص)، وإنّه (ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض)[13] كما روي عن علي عليه السلام. وإنّ هذه الطريقة غير الطريقة المنهيّة في الحديث النّبوي المشهور (من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده

من النّار) لأنّ الطّريقة المذكورة تفسير القرآن بالقرآن لا بالرّأي)[١٤].

والطّريقة الأولى من الطّرق الثّلاث لايمكن الاعتماد عليها، وهي في الحقيقة من قبيل التّفسير بالرّأي الذي لايجوز إلاّ ما وافق منه مع الطريقة الثالثة، وأمّا الطريقة الثانية فهي التي كان يتّبعها علماء التّفسير من الصّدر الأوّل، وكان العمل عليها عدّة قرون، وهي الطّريقة المعمولة حتّى الآن عند الاخباريين من الشيعة والسّنّة.

وهذه الطّريقة محدودة لاتفي بالحاجات غير المحدودة، لأنّ ستّة الآف وعدّة مئات من الآيات التي نقرؤها في القرآن الكريم تقابلها مئات الألوف من الأسئلة العلميّة وغير العلميّة. وليس في أيدينا ما يمكن تسميته بالحديث النّبويّ في التّفسير غير ما يقرب من مائتين وخمسين حديثاً مرويّة عن طريق السّنّة، مع العلم انّ كثيراً منها ضعيفة الأسانيد وبعضها منكرة[١٥].

صحيح أنّ الأحاديث المرويّة عن أهل البيت (ع) من طريق الشيعة، تبلغ عدة آلآف حديث، وفيها مقدار كثير من الأحاديث التي يمكن الإعتماد عليها، إلاّ أنّها مع هذا لاتكفي للاجابة على الأسئلة غير المحدودة، التي نواجهها تجاه الآيات القرآنية الكريمة.

هذا بالإضافة إلى انّ هناك آيات لم يَردْ فيها حديث أصلاً لا من طريق السّنّة ولا من طريق الشيعة.

إذن ماالعمل إزاء مثل هذه المشاكل خاصّة وانّ الأحاديث الصّحيحة، التي كانت قد حثّت على الرّجوع إلى القرآن، عند حدوث الفتن وظهور المشاكل؟ومن ذلك يقول رسول اللّه (ص):

إذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفع وما حلّ مصدّق من جعله امامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النّار، وهو الدّليل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم، وظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لاتحصى عجائبه، ولاتبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصّفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصّفة نظره. ينج من عطب ويتخلّص من نشب[١٦].

ومن هنا كان لابُدّ من الرّجوع إلى القرآن واستنطاقه، وعلى هذا الأساس، ووفق هذه الرّؤية بنى العلاّمة الطّباطبائي منهجه التّفسيري، فصار القرآن مرجعه، وآياته دليله، وعلى هذا النّحو مضى في الميزان يفسّر الآية بالآية، ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

وكيف لايكون كذلك، وهو الذي يرى بأنّ الآيات القرآنية قد سمّيت «مثاني» لأنّ بعضها يوضّح حال البعض، ويلوي وينعطف عليه وكما يشعر به قوله «**كتاباً متشابهاً مثاني**» حيث جمع بين كون الكتاب متشابهاً يشبه بعض آياته بعضاً، وبين كون آياته مثاني[١٧].

ويبدو أنّ العلاّمة الطّباطبائي قد تأثر

كذلك، في هذا المجال، بمنهجيّة أستاذه آية الله القاضي، والذي كان له باع طويل في تفسير القرآن وشرح معانيه، وفق منهج تفسير القرآن بالقرآن، والآية بالآية، وإلى هذا المعنى أشار مفسّرنا قائلاً: وإنّ ماسلكناه في تفسيرنا الميزان هو ذات المسلك الذي سلكه المرحوم القاضي[١٨].

وقصّة تفسير القرآن عند العلاّمة الطّباطبائي تعود إلى أيّام إقامته في تبريز، بعد عودته إليها من النّجف الأشرف، حيث بدأ بكتابة تفسير مختصر للقرآن الكريم من بداية القرآن وحتّى سورة الأعراف، وكان إلى جانب كتابته هذه يباشر التّفسير، ويلقيه على طلاّبه أثناء الدّرس، حتّى تبلورت لديه فكرة كتابة تفسير موسّع للقرآن الكريم، يستوعب متطلّبات العصر، ويتضمّن الجوانب الفلسفية، والتاريخية، والأخلاقية، والبحوث الاجتماعية، والرّوائية وبطريقة حديثة. وقد وفّقه الله لهذا حيث إنتهى من كتابه تفسير الميزان في الليلة الثّالثة والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٢هـ. ق.[١٩]

* منهجه في التّفسير

وضمن هذا المنهج التّفسيري الرّائع «تفسير القرآن بالقرآن» كان العلاّمة الطّباطبائي يوظّف كلّ الممكنات في هذا السّبيل، ليفسّر القرآن ببعضه عبر ضمّ الآيات القرآنية الكريمة إلى بعضها، فيستخرج منها ما تتضمّنه الآيات القرآنية من معانٍ ومفاهيم، فهو في:

(١) التّفسير الموضوعي: كان يجمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدّث عن موضوع واحد وهدف مشترك، ثمّ يرتّبها، ليتناولها بالشّرح والتّفصيل، مبيّناً حكمة الشّارع في شرعه وقوانينه، مع الاحاطة الشّاملة بكلّ جوانب الموضوع، حيث يستدعي هذا اللّون من التّفسير تقسيم آيات الكتاب العزيز إلى مجموعات، كلّ مجموعة منها تندرج تحت عنوان يشملها جميعاً، بحيث تكون هذه الآيات المتفرّقة بحثاً مستقلاً متميّزاً عن غيره، ذا موضوع واحد وهدف واحد[٢٠].

ولهذا فالتّفسير الموضوعي هو عمليّة حوار مع القرآن الكريم واستنطاق له، وليست مجرّد استجابة سلبيّة بل استجابة فعّالة، وتوظيف هادف للنّصّ القرآني، في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى[٢١] وهذا ما أكّده الإمام علي (ع) في حديثه عن القرآن قائلاً: ذلك القرآن فاستنطقوه[٢٢].

وقد وجد السيّد الطّباطبائي «رحمه الله» في التّفسير الموضوعي أرضاً خصبة لتتفتق بها عبقريته التّفسيرية، وبما ينسجم مع اتّجاهه التّفسيري، إذ التّفسير الواقعي عنده:

هو التّفسير الذي ينبع من التدبّر في الآيات الكريمة وضمّ بعضها إلى بعض [٢٣] وقد فسّر السيّد الطّباطبائي آيات في الجهاد والرّوح ومرض القلب وغيرها ضمن هذا اللّون من التّفسير الموضوعي وأبدع في بيانها أيّما إبداع.

(٢) السّياق: حيث يعتبر السّياق أحد أهمّ

القرائن الحاليّة في فهم الكلام - والقرآن الكريم باعتباره كلاماً - فإنّ الإحاطة بسياق آياته وسوره تضع المفسّر في جوّ النّصّ القرآني، وتعينه على فهم المراد منه والوقوف على معاني الآيات منه، ذلك أنّ السّياق هو كلّ مايكشف اللّفظ الذي يراد فهمه من دوال أخرى سواءأكانت لفظية كالكلمات التي تشكّل مع اللّفظ الذي يراد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً أو حاليّة كالظّروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع[٢٤].

وحينما يغفل المفسّر سياق الآيات القرآنية وطريقة نظمها وتسلسلها الذي جاءت به الآيات، فانّ احتمالات الوقوع في الخطأ تتزايد أثناء تفسيره للنّصوص القرآنية، وكما حصل للمجبرة حينما اقتطفوا النّصوص وفسّروها[٢٥] دون الأخذ بمبدأ السّياق فقالوا في تفسير قوله تعالى «**والله خلقكم وما تعملون**» إنّ ذلك يدلّ على أنّ الله خالق لأفعالنا[٢٦].

في حين أنّ الملاحظ من السّياق أنّها جاءت حكاية لقول إبراهيم مع قومه واستنكاره لعبادتهم الأصنام والتي هي أجسام (الله تعالى هو المحدث لها)[٢٧]، وقد اهتم العلاّمة الطّباطبائي بالسّياق اهتماماً بالغاً حيث اعتمده مبدأً مهمّاً في فهم النّصوص القرآنية وبيان مداليلها بشكل واسع وإلى الحدّ الذي يصفه بأنّه (أدلّ دليل لبيان المعنى وفهم المراد)[٢٨]، ولهذا رأينا الطّباطبائي يعتمد السّياق في:

١- الكشف عن معاني الآيات القرآنية ومعرفة مضامينها.

٢- اعتماده السّياق في قبول الروايات أو رفضها.

٣- اعتماده السّياق في مناقشة المفسّرين وقبول أو ردّ آرائهم.

٤- اعتماده السّياق لمعرفة المكّيّ والمدنيّ في الآيات.

٥- اعتماده السّياق في معرفة طبيعة ترتيب الآيات ونظمها.

٦- اعتماده السّياق في بيان الأحكام.

٧- اعتباره الآيات تفسّر ما قبلها ضمن السّياق[٢٩].

*** تفسيره الآية بالآية:**

تفرّد العلاّمة الطّباطبائي من بين المفسّرين بأن خصّص بعض آيات القرآن الكريم وأسماها غرر الآيات أي خصّها بميزة كونها مفتاحاً للدّخول إلى بوّابات المعرفة والمعاني التي تضفيها لمعرفة مضامينها، إذ إليها تعود باقي الآيات، وبها ترتبط، وعلى أساسها تتوضّح، وهي عنده آيات نموذجيّة[٣٠] وأساسيّة في كتاب الله، وبذلك يكون مفسّرنا قد أضاف لأدوات التّفسير أداة جديدة من شأنها حلّ العقد والإشكالات التي بدونها قد يقع المفسّر في الخلط والتّناقض، ومن تلك الآيات التي عدّها المفسّر من غرر الآيات، قوله تعالى: «**إنّما امره إذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه ترجعون**»[٣١] حيث قال إنّها من غرر

الآيات[٣٢]

وقوله تعالى: «ويعلمون انّ اللّه هو الحقّ المبين»[٣٣] فقال: والآية من غرر الآيات القرآنية حيث تفسّر معنى معرفة اللّه[٣٤] عن تفسيره (قوله تعالى) «قل ادعو اللّه او ادعو الرّحمن ايّاً ما تدعو فله الاسماء الحُسنى»[٣٥].

قال الطّباطبائي: والآية من غرر الآيات القرآنية تنير حقيقة ما يراه القرآن الكريم من توحيد الذّات وتوحيد العبادة قبال ما تراه الوثنيّة من توحيد الذّات وتشريك العبادة[٣٦]

وعند تفسيره لقوله تعالى: «وإنْ من شيء إلاّ عندنا خزائنه» في سورة الحجر قال وهي من غرر الآيات القرآنية المشتملة على حقائق جمّة من السّورة[٣٧]

وعند تفسيره لقوله تعالى: «انزل من السّماء ماءً فسالت اودية بقدرها فاحتمل السّيل زبداً رابياً وممّا يوقدون عليه من النّار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب اللّه الحقّ والباطل فامّا الزّبد فيذهب جفاءً واما ماينفع النّاس فيمكث في الارض كذلك يضرب اللّه الأمثال»[٣٨] قال مفسّرنا: (والآية الكريمة من غرر الآيات القرآنيّة تبحث عن طبيعة الحقّ والباطل فتصف بدء تكوّنهما وكيفيّة ظهورهما والآثار الخاصّة بكلّ منهما وسنّة اللّه الجارية في ذلك ولن تجد لسنّة اللّه تحويلاً ولن تجد لسنّة اللّه تبديلاً)[٣٩].

* ضمّ الآيات لبعضها والجمع فيما بينها وبين الأشباه والنّظائر:

١ـ إستفاد السيّد الطّباطبائي من ضمّ الآيات لبعضها والجمع فيما بينها لأن يدلّل على مفهوم العلّيّة، فقال: إنّ اللّه تعالى جعل بين الأشياء جميعها ارتباطات واتّصالات له أن يبلغ إلى كلّ مايريد من أيّ وجه شاء وليس هذا نفياً للعلّيّة والسّببيّة بين الاشياء بل إثبات إنّها بيد اللّه سبحانه يحوّلها كيف يشاء وأراد. ففي الوجود علّيّه وارتباط حقيقي بين كلّ موجود وما تقدّمه من الموجودات المنتظمة غير انّها ليست على ما تجده بين ظواهر الموجودات بحسب العادة (ولذلك نجد الفرضيات العلميّة الموجودة قاصرة عن تعليل جميع الحوادث الوجوديّة) بل على ما يعلمه اللّه تعالى وينظّمه.

وهذه الحقيقة هي التي تدلّ عليها آيات القدر كقوله تعالى: «وإنْ من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلاّ بقدر معلوم»[٤٠].

وقوله تعالى: «إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر»[٤١]

وقوله تعالى «وخلق كلّ شيء فقدّره تقديرا»[٤٢].

وقوله تعالى: «الّذي خلق فسوّى والّذي قدّر فهدى»[٤٣].

وكذا قوله تعالى «ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم إلاّ في كتاب من قبل ان نبراها»[٤٤].

وقوله تعالى: «ما اصاب من مصيبة إلاّ بإذن اللّه ومن يؤمن باللّه يهد قلبه واللّه بكلّ شيء عليم»[٤٥].

فإنّ الآية الأولى ـ على حدّ تعبير السيّد المفسّر ـ وكذا بقيّة الآيات تدلّ على أنّ الأشياء

تنـزل من ساحـة الإطلاق إلى مرحلة التعين والتشخيص بتقدير منه تعالى وتحديد يتقدّم على الشّيء ويصـاحبه، ولامعنى لكون الشّيء محـدّداً مقـدّراً من وجـوده، إلاّ أن يتحـدّد ويتعـينّ بجميـع روابـطه التي مع سائـر المـوجودات والموجود المادّيّ مرتبط بمجموعة من المـوجـودات المـادّية الأخرى، التي هي كالقـالب الذي يقلب به الشّيء، ويعيّن وجوده ويحدّده ويقدّره، فما من موجود مادّيّ إلاّ وهو مقـدَّر مرتبط بجميع الموجودات المادّيّة التي تتقدّمه وتصاحبه، فهو معلول لآخر مثله لامحالة.

ويمكن أن يستدلّ أيضاً على ذلك بقوله تعالى:

«ذلكم اللّه ربّكم خالق كلّ شيء»[٤٦].

وقـوله تعـالى: **«مـا من دابّـة إلاّ هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم»**[٤٧] فإنّ الآيتين بانضمام ما مرّت الإشارة إليه من أنّ الآيـات القرآنية تصدّق قانون العلّيّة العامّ تنتـج المـطلوب، وذلك أنّ الآية الأولى تعمّم الخلقة لكلّ شيء فما من شيء إلاّ وهو مخلوق للّه عزّ وجلّ والآية الثّانية تنطق بكون الخلقة والإيجـاد على وتيرة واحدة ونسق منتظم من غير اختلاف يؤدّي إلى الهرج والجزاف[٤٨].

٢- إعتمد السيّد الطّباطبائي منهج ضمّ الآيات لبعضها وجمع الأشباه والنّظائر منها للتدليل على كون مجيء لفظة الوحي بمعنى الإلهـام، وفي ذلك يقـول: واستعمال الوحي في[٤٩] مورد الإلهام جاء في القرآن الكريم في غير مورد، كقوله تعالى: « **وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيـه**» وقـوله تعالى: «**وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً**»[٥٠] وقوله تعالى في الأرض : «**بأنّ ربّك أوحى لها**»[٥١].

٣- وفي عمليّة جمع منظّم للآيات القرآنية الكـريمـة لفت مفسّرنا الأنظار إلى حالة ربط رائـعـة بين ألفـاظ (الرّجـفـة والصّيحـة والصّاعقة) وهو يفسّر قوله تعالى: «**فأخَذَتْهُم الرّجفة فاصْبَحوا في دارهم جاثِمين**»[٥٢] حيث قال: الرّجـفـة هي الإضـطراب والاهتـزاز الشّديد، كما في زلزلة الأرض وتلاطم البحر، والجثوم في الإنسان والطّير كالبروك في البعير.

وقد ذكر اللّه هنا في هلاكهم أنّه أخذتهم الرّجفـة، وقـال في موضع آخر «**واخذ الّذين ظلموا الصّيحة**»[٥٣].

وفي موضـع آخـر: «**فـأخـذتهم صاعقـة العـذاب الهـون**»[٥٤] والصّـواعق السّماويّة لاتخلو من صيحة هائلة تقارنها ولاينفكّ ذلك غالبـاً عن رجفـة الأرض التي هي نتيجـة الإهتزاز الجوّي الشّديد إلى الأرض، وتوجف من جهـة أخـرى القلوب وتـرتعـد الأركان، فالظّاهر انّ عذابهم إنّما كان بصاعقة سماويّة اقترنت بصيحة هائلة ورجفة في الأرض أو في قلوبهم فأصبحوا في بلدهم جاثمين ساقطين على وجوههم وركبهم[٥٥].

والسيّـد الطّبـاطبائي بهذا الرّبط المحكم والجمع الواعي للآيات القرآنية حقّق غرضين:

أوّلهمـا: توضيـح للصّورة الشّاملة التي عليهـا عاقرو ناقة صالح وما أحاط بهم من عذاب مهين جراء ظلمهم، إذ اقترنت الرّجفة والصّـاعقـة بالرّجفـة التي صاروا معها في

دارهم جاثمين، وفي ذلك تصوير حسّي رائع لمشهد العذاب.

والغرض الثاني:

إزاحة للتّناقض البدوي الذي يتوهّم معه البعض بما آل إليه قوم صالح فيلتبس الأمر في طريقة الإستئصال، هل كان بالرّجفة أو بالصّاعقة أم بالصّيحة. في حين بيّن السيّد المفسّر أنّ لاتناقض في الوصف القرآني لهلاك القوم وإنّما هو كلّ مجتمع لاتفاوت فيه ولاتناقض أو تضاد.

إذ كلّ آية من هذه الآيات المباركات تبين وجهاً للمشهد وصفة من صفاته وأحداثه.

٤ـ إستعان السيّد المفسّر بمنهج ضمّ الآيات لبعضها لبيان فصول القصّة القرآنية وأحداثها وتفاعلات وقائعها، وكما فعل مع قصّة يونس عليه السلام حيث جمع مفسّرنا كلّ الآيات المبثوثة في كتاب الله والمفرّقة في عدد من سوره ليجعل منها أساساً لفهم أحداث القصّة القرآنية حيث يقول:

«وإنّ يونس لَمِنَ المرسلين * إذ ابقَ إلى الفُلك المشحونِ فساهم فكان من المُدحضين * فالتقمه الحوتُ وهم مُليم * فلولا انّهُ كان من المسبّحين * للبثَ في بطنه إلى يوم يُبعثون * فنبذناه بالعراءِ وهو سَقيم * وانبتنا عليه شجرةً من يقطينٍ * وأرسلناه إلى مائة الفٍ او يزيدون * فآمنوا فمتّعناهم إلى حينَ»[٥٦].

وفي سورة الأنبياء: لتسبيحه في بطن الحوت وتنجيته قال تعالى: **«وذا النّون إذ ذهب مُغاضِباً فظنّ ان لَنْ نقدر عليه فنادى في الظُلمات أن لا إله الاّ انت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين فاستجبنا له ونجّيناه من الغمّ وكذلك نُنجي المؤمنين»**[٥٧].

وفي سورة (ن): لندائه مكظوماً وخروجه من بطنه واجتبائه قال تعالى: **«فاصبر لحكم ربّك ولاتكن كصاحب الحُوتِ إذ نادى وهو مكظوم * لولا ان تداركه نعمة من ربّه لنبذ بالعراء وهو مذموم * فاجتباه ربّه فجعله من الصالحين»**[٥٨].

وفي سورة يونس : لآيمان قومه وكشف العذاب عنهم قال تعالى: **«فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلاّ قوم يونس لّما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا ومتّعناهم إلى حين»**[٥٩] وبعد هذا الجمع والتّرتيب لآيات القرآن الكريم يقول السيّد المفسّر شارحاً لفصول القصّة:

وخلاصة ما يستفاد من الآيات بضمّ بعضها إلى بعض واعتبار القرائن .

فلمّا أشرف عليهم العذاب وشاهدوه مشاهدة عيان، إجمعوا على الإيمان والتّوبة إلى الله سبحانه، فكشف عنهم عذاب الخزي في الحياة الدّنيا.

ثمّ انّ يونس عليه السلام إستخبر عن حالهم، فوجد العذاب إنكشف عنهم وكأنّه لم يعلم بإيمانهم وتوبتهم، فلم يعد إليهم، وذهب لوجهه على مابه من الغضب والسّخط عليهم، فكان ظاهر حاله حال من يأبق من ربّه مُغاضِباً عليه ظانّاً إنّه لايقدر عليه، وركب البحر في فلك مشحون، فعرض لهم حوت عظيم لم يجدوا بُدّاً من أن يلقوا إليه واحداً منهم يبتلعه وينجو الفلك بذلك، فساهموا وقارعوا فيما بينهم فأصابت يونس عليه السلام، فألقوه في

البحر فابتلعه الحوت ونجت السّفينة. ثمّ انّ اللّه سبحانه وتعالى حفظه حيّاً سويّاً في بطنه أيـاماً وليالي، ويونس عليه السلام يعلم انّها بليّـة ابتـلاه اللّه بهـا مؤاخذة بما فعل وهو ينـادي في بطنه أن «لا إله إلّا انت سبحانك إنّي كنت من الظّالمين» فاستجاب اللّه له فأمر الحوت أن يلفظه فنبذه في العراء وهو سقيم، فأنبت اللّه سبحـانه عليه شجرة من يقطين يستظل بأوراقها، ثمّ لمّا استقامت حاله ارسله إلى قومه فلبّوا دعوته وآمنوا به فمتّعهم اللّه إلى حين[٦٠].

٥ـ إستعـان السيّـد الطّبـاطبائي بضمّ الآيـات لبعضها في بيان المعنى المتشابه في الآيات بردّها إلى الآيات المحكمات وبما من شأنه إزالة أوجه اللّبس والغموض كما فعل حينما فسّر قوله تعالى: **«وجاء ربك والملك صفاً صفاً»**[٦١].

فقال: نسبة المجيء إليه تعالى من التّشابه الذي يحـكـمـه قوله تعـالى: **«ليس كمـثله شيء»**[٦٢]. ومـا ورد من آيـات القيـامـة من خواص اليـوم كتقـطع الأسبـاب وارتفـاع الحـجـب عنـهم وظهـور انّ اللّه هو الحقّ المبين[٦٣]. إذ انّ المراد بمجيئه تعالى مجيء أمره قال تعالى: **«والامر يومئذٍ للّه»**، ويؤيّد هذا الوجه بعض التأييد قوله تعالى: **«هل ينظرون إلّا ان ياتيهم اللّه في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر»**[٦٤]

اذا انضم إلى قوله: **«هل ينظرون إلّا ان تاتيهم الملائكة او ياتي امر ربك»**[٦٥]. وعليه فهناك مضاف محذوف والتقدير جاء أمر ربك أو نسبة المجيء إليه تعالى من المجاز العقلي[٦٦].

* في رحاب الآية القرآنية

إعتمد المفسّر على الآيات القرآنية، لبيان وجـوه المعـاني للمفردة القرآنية، حيث كان يعمـد العـلّامة الطّباطبائي إلى جمع الآيات القـرآنية وترتيبها، وبما من شأنه أن يضع القـارئ أمـام جملة من المعـاني للمفـردة الواحـدة، وبمـا يوحي بإحاطة المفسّر لآيات القـرآن ووجـوه المعـاني لألفاظها، وفي ذلك وجدناه يقول في معنى (الكلمة) عند تفسيره لقوله تعالى: **«وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لامبـدّل لكلماته وهو السّميع العليم»**[٦٧].

الكلمة: وهي مايدلّ على معنى تام وغيره. وربّما استعملت في القرآن في:

١ـ القول الحقّ الذي قاله اللّه عزّ من قائل من القضاء والوعد كما في قوله: **«ولولا كلمة سبقت من ربك لقُضي بينهم»**[٦٨]. يشير بذلك إلى قوله تعـالى لآدم عنـد الهبـوط: **«ولكم في الارض مستقرّ ومتاعٌ إلى حين»**[٦٩] وقوله تعالى لإبليس: **«لاملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم اجمعين»**[٧٠] وكقوله تعالى: **«وتمّت كلمة ربك الحُسنى على بني إسرائيـل بما صبروا»**[٧١] يشير إلى ماوعدهم انّه سينجيهم من فرعون ويورثهم الأرض كما يشير إليه قوله: **«ونريد ان نمنّ على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين»**[٧٢].

٢ـ وربّمـا استعملت في العـين الخارجي

كالإنسان مثلاً كقوله تعالى: «**إنّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم**»[٧٣] والعنايـة فيـه أنّه عليه السلام خرق عادة التدريج وخلق بكلمة إلهية موجدة قال تعالى: «**إنّ مثـل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون**»[٧٤].

* عطف التّفسير:

ضمن منهجـه الرّامي إلى تفسير القرآن بالقرآن لم يترك السيّد الطّباطبائي باباً في هذا المجال يؤدّي إلى الهدف إلّا وطرقه وكأنّ المفسّر يريـد بهذا التكريس المقصود لمحورية الآية المفسّرة لآيـة آخـرى كأنّمـا يريـد أن يقرع أسمـاع البـاحثـين في القـرآن والدّراسـات التّفسـيريّـة إلى أن السّبـل المؤدّية إلى هذا المنهج القرآني كثيرة وغير منحصرة بلون معيّن خاصّ وبهذا وجدناه في تفسيره الميزان يوظّف أدوات العـطف التـي اشـار المـفسّر، وفي مناسبات عديدة، إلى أنّ العطف أحياناً يأتي مفسّراً ومبينـاً، وكمـا بيّن ذلك من جملة من الآيات نذكر هنا بعضاً منها:

١ـ عند تفسيره لقوله تعالى: «**وإذا اراد الله بقـوم سوءً فلا مردّ له ومـالهم من دونـه من وال**»[٧٥]. وقـال: قوله: «**ومالهم من دونه من وال**» عطف تفسيري على قوله: «**إذا اراد الله بقوم سوء فلا مرّد له**»، ويفيد معنى التّعليل له، فإنّه إذا لم يكن لهم من وال يلي أمرهم إلّا الله سبحانه لم يكن هناك أحد يردّ ما أراد الله بهم من سوء[٧٦].

٢ـ وعنـد تفسيره لقوله تعالى: «**ولاتحزن عليهم ولاتكن في ضيق ممّا يمكرون**»[٧٧] قال: أي فلا يحزنك إصرارهم على الكفر والجحود ولايضيـق صدرك من مكـرهم لإبطال دعوتك وصدهم النّاس عن سبيل الله فإنّهم بعين الله وليسوا بمعجزيه وسيجزيهم بأعمالهم.

فالآيـة مسوقة لتطيب نفس النّبيّ (ص) وقـوله: «**ولاتكن في ضيق**»...الخ معطوف على ماقبله عطف التّفسير[٧٨].

* نفي التنافي بين الآيات القرآنية:

إنّ من تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين مايتوهّم انّه مختلف[٧٩] من الآيات القرآنية الكـريمـة، وكمـا يتبـادر للفهم السّاذج من اختلاف من خلق آدم عليه السلام، إذ تصرح بعض الآيـات بأنّـه مخلوق من تراب، فيما تذكر آيات أخرى، بأنّ خلقه من طين، وتؤكّد ثالثة بأنّه من حمإٍ مسنون، فيما تذكر رابعة بأنّه من صلصال، إلّا أنّ جمع الآيات والتدبّر فيهـا كفيل بإزالة اللّبس والغموض وإزاحة اشكال الإختلاف من الآيات لأنّ التدبّر سوف يهـدي بالضّرورة إلى أنّ ذلك كلّه ليس إلّا أطواراً لعمليّـة تدرّج طبيعي مرّ بها التكوين المادّي لآدم عليه السلام بدء من خلقه وانتهاء إلى نفـخ الرّوح فيـه. وقـد جهـد السيّـد الطّبـاطبـائي في تفسـيره لأن يعالج مواضع الإشكـال الظّاهـري الذي قد يعلق في ذهن البعض جراء التّوهّم في تصوّر الإختلاف بين الآيـات التي تحدّثت عن موضوعات واحدة وبـألفـاظ وتعابير متباينة مشيراً لذلك بعبارة لاتنافي بين ماتدلّ عليه الآية وبين ماتدلّ عليه

آيـات أخـر وأمثـال هذه العبارة قد يجدها قارئ الميزان في أكثر من موضع للدّلالة على نفي الإختلاف والتّنافي بين الآيات، وفيما يلي بعض التّطبيقات والنّماذج:ـ

١ـ عند تفسيره لقوله تعالى: **«فاتّقوا الله ماستطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون»**[٧٩].

قال مفسّرنـا: فاتّقوا الله ماستطعتم اي مبلغ استطاعتكم ولاتدعوا من الاتّقاء شيئاً تسعه طاقتكم وجهدكم فتجري الآية مجرى قوله: **«فاتّقوا الله حقّ تُقاته»**[٨٠] وليست الآية ناظرة إلى نفي التّكليف بالاتّقـاء فيمـا وراء الإستـطاعـة وفـوق الطّاقـة كمـا في قوله: **«ولاتحمّلنـا مالاطاقـة لنا به»**[٨١] ولهذا فإنّ العـلاّمـة الطّباطبائي يرى أن لا منافاة بين الآيتين، أعني قوله تعالى:

«فـاتّقـوا الله ماستـطعتم» وقوله تعالى: **«اتّقوا الله حقّ تُقاته»** وانّ الإختلاف بينهما كالإختـلاف بالكميّة والكيفيّة. فقوله: فاتّقوا الله ماستطعتم أمر باستيعاب جميع الموارد التي تسعها الاستـطاعـة بالتّقـوى، وقوله **«اتّقـوا الله حقّ تُقـاته»** امر بالتلبّس في كلّ موارد التّقـوى بحقّ التّقـوى دون شبحهـا وصـورتهـا، وعلى هذا الأساس كان السيّد الطّباطبائي يقول بفساد قول بعض المفسّرين ممّن قالوا: إنّ قوله: **«فاتّقوا الله ماستطعتم»** ناسخ لقوله: **«اتقوا الله حق تقاته»**.

٢ـ وعنـد تفسيره لقوله تعالى: **«وما ادري مايفعل بي ولا بكم ان اتّبع إلاّ مايوحى إليّ وما انا إلاّ نذير مبين»**[٨٢].

يقـول السيّـد المفسّر: ونفي الآيـة العلم بالغيب عن النّبيّ (ص) لاينافي علمه بالغيب من طريق الوحي كما صّرح به تعالى في مواضع من كلامه كقوله: «**ذلك من انباء الغيب نوحيها إليك**»[٨٣] وقوله تعالى: **«تلك من انباء الغيب نوحيهـا إليـك»**[٨٤] وقـوله: **«عالم الغيب فلا يظهـر على غيـبـه احـداً إلاّ من ارتضى من رسول»**[٨٥] ومن هذا الباب قول المسيح عليه السلام: **«وانبّئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيـوتكم»**[٨٦] وقـول يوسف عليـه السـلام لصـاحبيّ السّجن: **«لاياتيكما طعام ترزقانه إلاّ نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما»**[٨٧]

ووجـه عدم المنـافاة ـ عند مفسّرنا ـ إنّ الآيـات النّـافية للعلم بالغيب عنه عن سائر الأنبيـاء عليهم السـلام، إنّمـا تنفيـه عن طبيعتهم البشريّة بمعنى أن تكون لهم طبيعة بشريّة أو طبيعة هي أعلى من طبيعة البشر من خاصّـتهـا العلم بالغيب بحيث يستعمله في جلب كلّ نفـع ودفع كلّ شرّ كما نستعمل ما يحصـل لنا من طريق الأسباب وهذا لاينافي انكشـاف الغيب لهم بتعليم إلهي من طريق الوحي كما أنّ إتيانهم بالمعجزات فيما أتو بها ليس عن قدرة نفسيّة فيهم يملكونها لانفسهم بل بإذن من الله تعالى وأمر. قال تعالى: **«قل سبحـان ربّي هل كنت إلاّ بشراً رسـولاً»**[٨٨] جواباً عمّا اقترحوا عليه من الآيات وقال: **«قل إنّما الايات عند الله و إنّما انا نذير مبين»**[٨٩] وقال: **«وما كان لرسول انْ ياتي بآية إلاّ بإذن الله فإذا جاء امر الله قضي بالحقّ»**[٩٠].

ويشهد بذلك قوله بعده متّصلاً به «**إنْ أتّبع إلّا ما يوحى إليّ**» فإنّ اتّصاله بما قبله يعطي أنّه في موضع الأضراب، والمعنى: انّي ما أدري شيئاً من هذه الحوادث بالغيب من قبل نفسي وإنّما اتّبع ما يوحى إليّ من ذلك[٩١].

* العام والخاص:

وقد اعتبر الباحثون حمل العام على الخاصّ من باب تفسير القرآن بالقرآن[٩٢]، وعلى هذا النّهج مضى العلّامة الطّباطبائي في تفسيره يلاحق الآيات القرآنية الكريمة ليحدّد العام منها من الخاص، وبما من شأنه إعطاء صورة واضحة إنّما خصّص من العام ولما يخصّص وبقي على عمومه. وفيما يلي بعض من تطبيقات مفسّرنا في هذا المجال:

١- عند تفسيره لقوله تعالى: «هُدىً للنّاس وبيّنات من الهُدى والفُرقان»[٩٣] قال السيّد الطّباطبائي: النّاس وهم الطّبقة الدّانية من الإنسان الذين سطع فهمهم المتوسّط أنزل السّطوع يكثر إطلاق هذه الكلمة في حقّهم كما قال تعالى: «**ولكنّ اكثر النّاس لايعلمون**»[٩٤].

وقال تعالى: «**وتلك الامثال نضربُها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون**»[٩٥] وهؤلاء أهل التّقليد لايسعهم تمييز الأمور المعنويّة بالبينة والبرهان لافرق الحق من الباطل بالحجة الا بمبين يبين لهم وهاد يهديهم والقرآن هدى لهم ونعم الهدى، وأمّا الخاصة المتكلمون ف ناحيتي العلم، والعمل، المستعدون للاقتباس من انوار الهداية الأِلهية والركون الى فرقان الحق فالقرآن بينات وشواهد من الهدى والفرقان من حقهم فهو يهديهم اليه ويميز لهم الحق ويبين لهم كيف يميز.

قال تعالى: «**يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم**»[٩٦].

المجمل والمفصّل:

والمجمل هو مالم تتّضح دلالته[٩٧] وللإجمال أسباب عديدة منها:- الإشتراك: نحو «**واللّيل إذا عسعس**»[٩٨] فإنّه موضوع لأقبل وأدبر. ومنها الحذف: نحو «**ترغبون ان تنكحوهنّ**»[٩٩] يحتمل «في» و «عن» ومنها اختلاف مرجع الضّمير: نحو «**إليه يصعدُ الكَلِمُ الطّيب والعمل الصّالح يرفعه**»[١٠٠] يحتمل عود ضمير الفاعل في «الرّفع» إلى الله ويحتمل عوده إلى ألعمل ويحتمل عوده إلى الكلم الطّيّب.

ومنها احتمال العطف والإستئناف نحو «**إلاّ الله والرّاسخون في العلم يقولون**»[١٠١].

ومنها غرابة اللفظ نحو «**فلا تعضلوهنّ**»[١٠٢].

ومنها عدم كثرة الإستعمال: نحو «**يلقون السّمع**»[١٠٣] أي يسمعون، «**واصبح يقلّب كفّيه**»[١٠٤] اي نادماً.

ومنها التّقديم والتّأخير نحو «**ولولا كلمة سبقت من ربّك لكان لِزاماً واجلٌ مُسمّى**»[١٠٥] أي ولولا كلمة واجل مسمّى لكان لزاماً.

ومنها قلب المنقول نحو «**وطور سينين**»[١٠٦] أي سيناء و «**سلام على ال ياسين**»[١٠٧] أي على الياس .

ومنها التّكرير القاطع لوصل الكلام في الظّاهر نحو «**للّذين استضعفوا لمن آمن منهم**»[١٠٨] أما التّبيين فقد يقع متّصلاً نحو: من الفجر، بعد قوله «**الخيط الأبيض من الخيط الأسود**»[١٠٩] ومنفصلاً نحو: «**فإنْ طلّقها فلا تحلّ له من بعد حتّى تنكح زوجاً غيره**»[١١٠] بعد قوله «**الطّلاق مرّتان**»[١١١].

فقد أخرج ابن مردويه عن أنس، قال: قال رجل يارسول اللّه، ذكر اللّه الطّلاق مرّتين فأين الثّالثة؟ قال: (**فإمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان**)[١١٢].

يقول الدكتور الذهبي: ومن تفسير القرآن بالقرآن أن يحمل المجمل على المبيّن ليفسّر به[١١٣].

والسيّد الطّباطبائي، باعتباره مفسّراً لكتاب اللّه، قد سلك منهج تفسير القرآن بالقرآن رأيناه يعطي للمجمل والمبيّن قدراً خاصّاً من الإهتمام، غير أنّه لم يراع الجزئيّات في ذلك، فلا يشير إلى نوع المجمل، ولا إلى أقسام المبيّن، وإنّما يكتفي بالقدر الذي يستفيد منه في بيان ما أجمل من الآيات، فيشرح الآية المجملة بذكره لما يبيّنها، ويفصّلها من الآيات الأخر، دون إغفال ذكر الآية المجملة من أختها المفصّلة.

وقد ذكر المفسّر ما يوضّح هذه المنهجية في العديد من التطبيقات والنماذج التفسيريّة التي اشتمل عليها الميزان، والذي احتوى العديد من هذه المناهج والأمثلة.

فهو عند تفسيره لقوله تعالى: « **فضّل اللّه المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة وكان اللّه غفوراً رحيماً**»[١١٤].

وقال السيّد الطّباطبائي: هذا التّفضيل بمنزلة البيان والشّرح لإجمال التّفضيل المذكور أوّلاً ـ والذي هو قوله تعالى: «**فضّل اللّه المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة**» ، ويفيد مع ذلك فائدة أخرى وهي الإشارة إلى أنّه لاينبغي للمؤمنين أن يقنعوا بالوعد الحسن الذي يتضمّنه قوله تعالى: «**وكُلًا وعد اللّه الحسنى**» فيتكاسلوا في الجهاد وفي سبيل اللّه والواجب من السّعي في إعلاء كلمة الحقّ وإزهاق الباطل فإنّ فضل المجاهدين على القاعدين بما لايُستهان به من درجات المغفرة والرّحمة[١١٥].

والكلام ـ عند مفسّرنا ـ يبيّن بأوّله فضل المجاهدين على القاعدين بالمنزلة من اللّه مع السّكوت عن بيان أنّ هذه المنزلة واحدة أو كثيرة. ويبيّن بآخره بأنّ هذه المنزلة ليست منزلة واحدة بل منازل ودرجات كثيرة وهي الأجر العظيم الذي يُثاب به المجاهدون[١١٦].

ولم يكتف السيّد الطّباطبائي بهذا القدر من البيان وإنّما راح يتابع مفردات الآية المباركة ليجد في قوله تعالى: «**ومغفرة ورحمة**» بياناً وتفصيلاً للدّرجات التي أجملت ـ فإنّ الدّرجات وهي المنازل عند اللّه تعالى ـ أيّا ماكانت فهي مصداق المغفرة والرّحمة إذ الرّحمة ـ وهي الإفاضة الإلهية للنّعمة ـ

تتوقّف على إزالة الحاجب ورفع المانع من التلبّس بها، وهي المغفرة ولازمه أنّ كلّ مرتبة من مراتب النّعم، وكلّ درجة ومنزلة رفيعة مغفرة بالنّسبة إلى المرتبة الّتي بعدها والدّرجة الّتي فوقها، فصلح بذلك أنّ الدّرجات الأخرويّة كائنة ماكانت مغفرة ورحمة من اللّه سبحانه[117] وغالب ماتذكر الرّحمة وما يشابهها في القرآن نذكر معها المغفرة كقوله: «**مغفرة وأجر عظيم**»[118] وقوله: «**مغفرة ورزق كريم**»[119] وقوله: «**مغفرة وأجر كبير**»[120] وقوله: «**ومغفرة من اللّه ورضوان**»[121] وقوله: «**واغفر لنا وارحمنا**»[122] إلى غير ذلك من الآيات.

* المطلق والمقيّد:

المطلق هو الدّالّ على الماهيّة بلا قيد، وهو مع المقيّد كالعامّ مع الخاصّ، ومتى ما وجد دليل على تقييد المطلق صيّر إليه، وإلاّ فلا، بل يبقى المطلق على إطلاقه، والمقيّد على تقييده[123].

وقد عُدَّ حمل المطلق على المقيّد من تفسير القرآن بالقرآن[124] وقد نقل الغزالي عن أكثر الشّافعيّة حمل المطلق على المقيد، في صورة اختلاف الحكمين عن اتحاد السّبب[125]. ففي كفّارة الظّهار يقول اللّه تعالى: «**فتحرير رقبة**»[126] وفي كفّارة القتل يقول سبحانه «**فتحرير رقبةٍ مؤمنة**»[127] فيحمل المطلّق في الآية الأولى على المقيّد في الآية الثّانية بمجرّد ورود اللّفظ المقيّد من غير حاجة إلى جامع[128]. وقد حرص السيّد الطّباطبائي على تحديد المطلق والمقيّد وبيان ماأطلق من الآيات وما قيّد منها. وقد وردت بعض النّماذج التّفسيرية له في هذا المجال والتي سعى فيها جاهداً، لإلقاء الضّوء على ماقيّدته الآيات وحدّدت مفاهيمه:ـ

فهو عند تفسيره لقوله تعالى: «**وإذا سالكَ عِبادي عنّي فإنّي قريب، أُجيب دعوةَ الدّاعي إذا دَعاني**»[92] قال السيّد الطّباطبائي: أحسن بيان لما اشتمل عليه من المضمون، وأرقّ أسلوب وأجمله فقد وضع أساسه على التكلّم دون الغيبة ونحوها، وفيه دلالة على كمال العناية بالأمر، ثمّ قوله: عبادي، ولم يقل: النّاس واشبهه يزيد في هذه العناية ثمّ حذف الواسطة في الجواب، حيث قال: فإنّي قريب ولمْ يقل فقل إنّه قريب ثمّ التّأكيد بأنّ، ثمّ الإتيان بالصّفة دون الفعل الدّال على القرب، ليدلّ على ثبوت المضارع الدّالّ عليهما، ثمّ تقييده الجواب أعني قوله: أُجيب دعوى الدّاع المقيّد به شيئاً بل هو عينه، وفيه دلالة على أنّ دعوة الدّاع مجابة من غير شرط وقيد كقوله تعالى: «**إدعوني استجب لَكُم**»[130] وإطلاق الإجابة يستلزم إطلاق الدُّعاء، فكلّ دعاء دُعِيَ به فإنّه مجيبه، إلاّ أنّ ها هنا أمراً وهو أنّه تعالى قيَّد قوله: «**أُجيب دعوة الدّاعِ**» بقوله «**إذا دعانِ**» وهذا القيد غير الزّائد على نفس المقيَّد بشيء يدلّ على اشتراط الحقيقة دون التّجوّز والشّبه[131] فإذا كان الدّاعي داعياً بحسب الحقيقة مريداً بحسب العلم الفطري والغريزي مواطِئاً لسانه قلبه فإنّ حقيقة الدُّعاء والسُّؤال هو الذي يحمله القلب

ويدعو به لسان الفطرة دون ما يأتي به اللّسان الذي يدور كيفما أدير صدقاً أو كذباً جدّاً أو هزلاً حقيقة أو مجازاً، ولذلك ترى أنّه عدّ مالا عمل للّسان فيه سؤالاً قال تعالى: «**وآتاكم من كلّ ماسألتموه وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها إن الإنسان لظلومٌ كفّار**»[١٣٢].

فهم فيما لايحصونها من النّعم داعون سائلون ولم يسألوها بلسانهم الظّاهر بل بلسان فقرهم واستحقاقهم لساناً فطرياً وجودياً: وقال تعالى: «يسأله من في السّموات والأرض كلّ يوم هو في شأن»[١٣٣].

فالسّؤال الفطري من الله سبحانه لايتخطّى الإجابة فما لايستجاب من الدّعاء ولايصادف الإجابة فَقَدْ فَقَدَ أحد أمرين وهما اللّذان ذكرهما تعالى بقوله: «**دعوةَ الدّاع إذا دعان**»[١٣٤].

ومثل ذلك في إطلاق العبارة ثم تغييرها كما في قوله تعالى: «**وقال ربّكم ادعوني استجب لكم إنّ الّذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين**» والآية تدعو إلى الدّعاء وتعدّ بالإجابة وتزيد على ذلك حيث تسمّي الدّعاء عبادة بقولها: عن عبادتي أي عن دعائي بل تجعل مطلق العبادة دعاء حيث انّها تشتمل الوعيد على ترك الدّعاء بالنّار، والوعيد بالنّار إنّما هو على ترك العبادة رأساً لا على ترك بعض أقسامه من دون بعض فأصل العبادة دعاء[١٣٥].

وبذلك يظهر معنى آيات أخر من هذا الباب كقوله: «**ادعوا الله مخلصين له الدّين**»[١٣٦] وقوله تعالى: «**وادعوه خوفاً وطمعاً إنّ رحمة الله قريب من المُحسنين**»[١٣٧] وقوله تعالى: «**ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين**»[١٣٨] وقوله تعالى: «**ادعوا ربّكم تضرّعاً وخُفية إنّه لايحبُّ المُعتدين**»[١٣٩] وقوله تعالى: «**إذْ نادى ربّه نداءً خفيّاً**»[١٤٠] وقوله تعالى: «**ويستجيب الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ويزيدهم من فضله**»[١٤١] إلى غير ذلك من الآيات المناسبة، وهي تشمل على أركان الدّعاء وآداب الدّاعي وعمدتها ـ بل وقيّدها ـ الأخلاص في دعائه تعالى وهو مواطأة القلب واللّسان والانقطاع عن كلّ سبب دون الله والتعلّق به تعالى ويلحق به الخوف والطّمع والرّغبة والرّهبة والخشوع والتضّرر والإصرار والذّكر وصالح العمل وأدب الحضور وغير ذلك[١٤٢] ، وبهذا يكون ذلك القيد عند السيّد المفسّر تفسيراً للمطلق وتبياناً للمُراد.

*إعتماده الآيات القرآنية في الرّدّ على المفسّرين أو في تأييد أقوالهم:ـ

إنسجاماً مع منهجه التّفسيري القاضي بضرورة جعل القرآن الكريم وآياته البيّنات محوراً وأساساً لمعرفة الحقيقة التي يهدف إليها كتاب الله العزيز، فقد حرص العلاّمة الطّباطبائي على الاحتكام لهذا القرآن، في قبوله آراء المفسّرين أو رفضها، وهو بذلك لم يكن منطلقاً من مجرّد حرصه على تكريس منهجه التّفسيري هذا فحسب ، وإنّما كان مستجيباً لحثّ القرآن نفسه، حين يدعو النّاس للتدبّر في الآيات التي فيها تبيان لكلّ شيء، ومستلهماً لأقوال النّبيّ (ص) وأهل بيته

عليهم السلام، وهم يؤكّدون ضرورة العودة إلى كتـاب اللّه، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي ذلك يقول رسول اللّه (ص): (إنّ على كلّ حقّ حقيقـة وعـلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، وما خالف كتاب اللّه فدعوه)(١٤٣).

وفي هذا الصّدد يقول الإمام الباقر عليه السـلام: (إنّ اللّه لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلى يوم القيامة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله وجعل لكلّ شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه)(١٤٤) وحيث (مامن شيء يختلف فيه إثنان إلّا وله أصل في كتاب اللّه)(١٤٥) على حدّ تعبـير الإمـام جعفر الصادق (ع) فمن حقّ العـلّامـة الطّباطبائي أن يرجع لهذا الكتاب المبيَن ليرى أين يقف المفسّرون فيه إذ بقدر ما يقتربون من معانيه نجده يقترب منهم وبقدر ما يخـالفـونه يخالفهم، وبذلك يجعل السيّد المفسر من كتـاب اللّه معيـاراً ووحدة قياس يتعامل بها مع المفسّرين، من خلال مؤشّراتها، حول صحّـة ما يذهبون إليه أو بطلانه. وفي ذلك يكـون مفسّرنـا قد إمتلك أقـوى حجّـة وأمضى سلاح في دحض من يستحقّ الدّحض والتّسـفيه ، ودعم مَنْ هُم أهـل للدّعم، من أصحاب الآراء التّفسيريّة السّليمة. وقد نورد جملة من آراء المفسّرين سواء من اتّفق معهم السيّد الطّباطبائي في الرّأي، أو من اختلف معهم، وقـد اقتصرنـا على إيـراد إحـدى التّـطبيقـات التي إحتكم فيها المفسّر لآيات القـرآن، ليرفض من الآراء أو يقبل ما يقبل منـهـا، ضمن هذا المعيـار، ووفق منهجـه التّفسيري المحدّد:ـ

فهـو في معرض حديثه عن حبط الأعمال قال: والحبط هو بطلان العمل وسقوط تأثيره ولم ينسب في القرآن إلّا إلى العمل كقوله تعالى: «**لَئِن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين**»(١٤٦).

ومحصل الآية ـ عند المفسّر ـ كسائر آيات الحبـط هو أنّ الكفر والارتداد يوجب بطلان العمل عن أن يؤثّر في سعادة الحياة كما أنّ الإيمان يوجب حياة في الأعمال تؤثّر بها أثرها من السّعـادة فإن آمن الإنسـان بعد الكفر حييت أعمـاله في تأثـير السّعادة بعد كونها محيـطة باطلة وإن إرتـدّ بعد الإيمان ماتت أعماله جميعاً وحبطت، فلا تأثير لها في سعادة دنيوية ولا أخروية لكن يرجى ذلك إن هو لم يمـت على الرّدّة وإن مات على الرّدّة حتم له الحبط وكتب عليه الشّقاء.

ومن هنا باعتماد المفسّر على ما تعطيه آيات الحبط من معاني يظهر بطلان النّزاع ـ بين بعض المفسّرين ـ في بقاء أعمال المرتدّ إلى حين الموت والحبط عنده أو عدمه.

وتـوضيح ذلك: انّه ذهب بعضهم إلى أنّ أعمال المرتدّ السّابقة على ردّته باقية إلى حين الموت فإن لم يرجع إلى الإيمان بطلت بالحبط عند ذلك، واستدلّ عليه بقوله تعالى: «**ومن يرتدّ منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمـالهم في الدّنيـا والآخرة**»(١٤٧) وربّما أيّده قوله تعـالى: «**وقـدمنـا إلى ماعملوا من عمـل فجعلنـاه هباءً منثورا**»(١٤٨) فإنّ الآية تبيّن حال الكافر عند الموت ويتفرّع عليه انّه لو رجع

إلى الإيمان تملّك أعماله الصّالحة السّابقة على الارتداد. وذهب آخرون إلى أنّ الرّدّة تحبط الأعمال من أصلها فلا تعود إليه وإن آمن من بعد الارتداد، نَعَمْ له ما عمله من الأعمال بعد الإيمان ثانياً إلى حين الموت، وأمّا الآية فإنّما أخذت قيد الموت لكونها في مقام بيان جميع أعماله وأفعاله التي عملها في الدّنيا.

لكنّ التدبّر يؤكّد أن لا وجه لهذا النّزاع أصلاً وأنّ الآية ـ كما يراها المفسّر ـ هي بصدد بيان بطلان جميع أعماله وأفعاله من حيث التّأثير في سعادته.

وهنا مسألة أخرى كالمتفرّعة على هذه المسألة وهي مسألة الإحباط والتّفكير، وهي أنّ الأعمال هل تبطل بعضها بعضاً أو لاتبطل، بل للحسنة حكمها وللسّيّئة حكمها، نعم الحسنات ربّما كفّرت السّيّئات بنصّ القرآن(١٤٩).

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى القول بالتّباطل والتّحابط وقد اختلف هؤلاء بينهم، فمن قائل بأنّ كلّ لاحق من السّيّئة تبطل الحسنة السّابقة كالعكس ولازمه أن لايكون عند الإنسان من عمله إلاّ حسنة فقط أو سيّئة فقط. ومن قائل بالموازنة وهو أن ينقص من الأكثر بمقدار الأقلّ ويبقى الباقي سليماً عن المنافي، ولازم القولين جميعاً أن لايكون عند الإنسان من أعماله إلاّ نوع واحد حسنة أو سيّئة لو كان عنده شيء منهما.

وهنا ينبري العلاّمة الطّباطبائي ليفنّد الزّعمين بقوله: ويردّهما:

أوّلاً: قوله تعالى: «**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم إنّ الله غفور رحيم**»(١٥٠) فإنّ الآية ظاهرة في اختلاف الأعمال وبقائها على حالها إلى أن تلحقها توبة من الله سبحانه وتعالى وهو ينافي التحابط بأيّ وجه تصوّروه.

ثانياً: انّه تعالى جرى في مسألة تأثير الأعمال على ماجرى عليه العقلاء في الإجتماع الإنساني من طريق المجازاة، وهو الجزاء على الحسنة على حدة وعلى السّيّئة على حدة، إلاّ في بعض السّيّئات من المعاصي التي تقطع رابطة المولوية والعبودية من أصلها فهو مورد الإحباط، والآيات في هذه الطّريقة كثيرة غنيّة عن الإيراد(١٥١).

إعتماده الآيات القرآنية أساساً في قبول الرّوايات أو رفضها:

فكما اعتمد السيّد الطّباطبائي آيات الكتاب العزيز أساساً ومعياراً لقبول آراء المفسّرين أو رفضها، فقد وجدناه يقيم نفس المعيار القرآني أساساً في قبول الرّوايات التّفسيريّة أو رفضها وهو في ذلك يرى نفسه ملزماً بمنهج كان قد رسمه رسول الله (ص) حينما وقف خطيباً في منى ليقول: (أيُها النّاس ماجاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته وما جاءكم يُخالف كتاب الله فلم أقله)(١٥٢) ومن هنا (فكلّ حديث لايوافق كتاب الله فهو زخرف)(١٥٣) كما صّرح بذلك الإمام جعفر الصادق عليه السلام، إذن فمن الطّبيعي جدّاً لمثل السيّد الطّباطبائي أن يتعامل مع

الرّوايـات وفق هذا المنهـج، فيقبـل منها ما لايخالف كتاب اللّه، ويرفض مايرفضه الكتاب العزيز، ويغضّ النّظر عمّن كانت الرّواية، وأيّاً كان الرُّواة، ولهـذا وجدنـاه يرفض روايـة الرّاوي الشّيعي، كمـا يرفض غيره حينمـا لايجـد انسجـامـاً بين روايـاتهم والآيـات البيّنـات، وفيمـا يلي بعض النّماذج من تلك الرّوايـات المقبـولة والمـرفوضة، حسب هذا المنهج، ومن خلال هذا المعيار:ـ

فقـد رفض السيّد المفسّر رواية عن أبي بصـير فقـال فيها: سمعت أبا عبداللّه عليه السلام يقول: إنّ موسى بن عمران لّما سأل ربّه النّظر إليه وعده اللّه أن يقعد في موضع، ثمّ أمر الملائكة تمرّ عليه موكباً موكباً بالرّعد والبرق والرّيـح والصّـواعق فكلّمـا مرّ به موكب من المواكب ارتعدت فرائصهُ فيرفع رأسه فيسأل أيّكم ربّي؟ فيجاب هو آت وقد سألت عظيماً يا ابن عمـران[١٥٤]. فيقول السيّد الطّباطبائي بعد ذكره لهذه الرّواية: والرّواية موضوعة وما تشمـل عليـه لايقبـل الإنطباق على شيء من مسلّمات الأصول المتّخذة من الكتاب والسّنّة[١٥٥].

كما ويرفض رواية ابن عبّاس، انّ رسول اللّه (ص) قال: لّما تجـلّى اللّه لموسى تطايرت سبعـة جبـال ففي الحجاز منها خمسة وفي اليمن اثنـان. في الحجـاز: أُحد وثبير وحراء وثـور وورقـان وفي اليمن حصور وصير[١٥٦]

فقال مفسّرنا: وروي تقطيع الجبل غير ذلك وهذه الرّوايات على ما فيها من الإختلاف في عدد الجبال المتطايرة إن كان المراد لها تفسير ذلك الجبل لم ينطبق على الآية «**فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكّاً**»[٧٥].

كمـا رفض رواية أخرى عن ابن عبّاس، حيث يقـول: عثر يوسف (ع) ثلاث عثرات: حين همّ بها فسُجن، وحيث قال: «**اذكرني عند ربّـك**» فلبث في السّجن بضـع سنين فأنساه الشّيـطان ذكـر ربّـه. وحـين قال: «**وإنّكم لسارقون**» قالوا: «**إنْ يَسرِق فَقَدْ سَرَقَ اخٌ لهُ مِنْ قَبْل**»[٨٥].

فقال العلاّمة الطّباطبائي: والرّواية تخالف صريح كلامه تعالى حيث يذكر أنّ اللّه اجتباه وأخلصه لنفسه وانّ الشّيطان لاسبيل له إلى من أخلص اللّه لنفسه وكيف يستقيم لمن همّ على أفحش معصية وأنساه الشّيطان ذكر ربّه ثمّ كذب في مقاله فعاقبه اللّه بالسّجن ثمّ بلبثه فيه بضع سنين وجبه بالسّرقة أن يعده اللّه صدّيقاً من عباده المخلصين والمحسنين ويذكر انّه آتاه الحكم والعلم واجتباه وأتمّ نعمته عليه[٩٥].

ثمّ يعقب مفسّرنا قائلاً: وعلى هذا السّبيل روايات جمّة في الدّرّ المنثور ولا تعويل على شيء منها[٦٠].

وهكـذا كان العـلاّمـة الطّباطبائي لايألو جهدا في البحث عن كلّ الممكنات التي يمكن توظيفها في خدمة تفسير النّصّ القرآني ضمن منهجه الرّامي إلى تفسير القرآن بالقرآن.

وقد وفّق العلاّمة الطّباطبائي أيّما توفيق في هذه المهمة المباركة فجاء تفسيره قفزة نوعيّة رائعة قلّ نظيرها في هذا المجال.

الهوامش :

(١) البغوي هو ابن محمد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفراء البغوي الشافعي صاحب التصانيف وعالم اهل خراسان ولد في بغشور سنة ٤٣٨ هـ وتوفي سنة ٥١٦ هـ وله من التصانيف: معالم التنزيل وشرح السنة والمصابيح والجمع بين الصحيحين وكتاب التهذيب في الفقه.
انظر طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٢ وطبقات المفسّرين للداودي ٨/٥٧.

(٢) إبن عطيّة هو القاضي أبو محمّد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن خالد المحاربي الغرناطي الاندلسي المفسّر واللّغوي صاحب تفسير المحرر الوجيز التولد ٤٨١ والمتوفي سنة ٥٤١ هـ.
انظر بغية الوعاة للسيوطي ٢/٧٣ وانظر بغية الملتمس للضبي ص ٢٧٦ وانظر مفتاح السعادة لطاش كبري ١/٤٣٧.

(٣) الطّوسي هو الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطّوسي المولود في طوس بايران ٣٨٥ والمتوفي في النجف في العراق سنة ٤٦٠ هـ والملقّب بشيخ الطائفة وهو مؤسس الحوزة في النجف الأشرف وله تفسير البيان المشهور.
انظر معالم العلماء لإبن شهر اشوب ص ١٠٢ وانظر كشف الحجب للكنتوري ص ٥٦ وموسوعة العتبات المقدّسة لبحر العلوم ٢/٢٤، وانظر روضات الجنان للخوانساري ص ٥٨١ ولؤلؤة البحرين للبحراني ص ٢٩٣ والرّجال للعلاّمة الحلي ص ١٤٨ ومنهج المقال للاشترابادي ٢٩٢.

(٤) الطّبرسي: هو المفضل بن الحسن بن الفضل الطّبرسي وقد تميز بمكانته العلمية والدينية عند الإمامية وله تفسير مجمع البيان عاش بين عامي ٤٨٨ و ٥٤٨ هـ.
انظر روضات الجنّات للخوانساري ٥/٣٥٧ وإنباه الرّواة لإبن القفطي ٣/٦.

(٥) انظر الدّرّ المنثور للسيوطي: ٢/١٦٩.
(٦) سورة النّساء: ٤٨.
(٧) سورة الانعام: ٥٩.
(٨) الدّرّ المنثور: ٣/١٥.
(٩) سورة لقمان: ٣٤.
(١٠) انظر الميزان: ٣/٥٥.
(١١) الواقعة: ٧٩.
(١٢) انظر القرآن في الإسلام للعلاّمة الطّباطبائي ص ٨١.
(١٣) انظر نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٣٣.
(١٤) انظر القرآن في الإسلام للعلاّمة الطّباطبائي ص ٨٢.
(١٥) انظر القرآن في الإسلام ص ٨٢ـ٨٣.
(١٦) انظر الكافي: ٢/٢٣٨.
(١٧) انظر الميزان: ١٢/١٩١.
(١٨) انظر مهر تابان لمحمد حسين الطّهراني ص ١٧.
(١٩) انظر مهر تابان: ص ٤١.
(٢٠) انظر التّفسير الموضوعي للدّكتور محمّد القاسم ص ٨.
(٢١) انظر المدرسة القرآنية للسيّد محمّد باقر الصدر ص ١٧.
(٢٢) انظر نهج البلاغة، الخطبة: ١٥٨.
(٢٣) انظر القرآن في الإسلام للعلاّمة الطّباطبائي ص ٨١.
(٢٤) انظر دروس في معالم الأصول للسيّد محمّد باقر الصّدر ص ٣٠ ط النجف.
(٢٥) سورة الصّافّات: ٩٦.
(٢٦) انظر البيان للشيخ الطّوسي ج٨/٤٨.
(٢٧) م. ن.
(٢٨) انظر الميزان. ٦/١١٦.
(٢٩) للمزيد من التفصيل راجع تفسير القرآن بالقرآن عند العلاّمة الطّباطبائي ص ١٢٧ـ١٦٦.
(٣٠) انظر مقدمة ترجمة الميزان لآية اللّه جوادي آملي ١/١.
(٣١) يس : ٨٢.
(٣٢) انظر الميزان: ١٧/٦٢.
(٣٣) النّور: ٥٢.
(٣٤) انظر الميزان: ١٥/٩٥.

(٣٥) الإسراء: ١١٠.
(٣٦) انظر الميزان: ١٣/ ٢٢٥.
(٣٧) م.ن: ١٢/ ٩٦.
(٣٨) الرّعد: ١٧.
(٣٩) انظر الميزان: ١١/ ٣٣٥.
(٤٠) الحجر: ٢١.
(٤١) الفجر: ٤٩.
(٤٢) الفرقان: ٢.
(٤٣) الأعلى: ٣.
(٤٤) الحديد: ٢٢.
(٤٥) التّغابن: ١١.
(٤٦) المؤمن: ٦٢.
(٤٧) هود: ٥٦.
(٤٨) انظر الميزان: ١/ ٧٧ـ٧٨.
(٤٩) القصص: ٧.
(٥٠) النّحل: ٦٨.
(٥١) الزّلزال: ٥، وانظر الميزان ٦/ ٢٢٣.
(٥٢) الأعراف: ٧٨.
(٥٣) هود: ٦٧.
(٥٤) حم السّجدة: ١٧.
(٥٥) انظر الميزان: ٨/ ١٨٢.
(٥٦) الصّافّات: الآيات ١٣٩ـ١٤٨.
(٥٧) الأنبياء: ٨٧ـ٨٨.
(٥٨) سورة ن: ٥٠.
(٥٩) يونس: ٩٨.
(٦٠) انظر الميزان: ١٧/ ١٧٧ـ١٦٧.
(٦١) الفجر: ٢٢.
(٦٢) الشّورى: ١١.
(٦٣) الإنفطار: ١٩.
(٦٤) البقرة: ٢١٠.
(٦٥) النّحل: ٣٣.
(٦٦) إنظر الميزان: ٢٠/ ٢٨٤.
(٦٧) يونس: ١٩.
(٦٨) البقرة: ٣٦.
(٦٩) ص: ٨٥.
(٧٠) هود: ١١٩.
(٧١) الأعراف: ١٣٧.
(٧٢) القصص: ٥.
(٧٣) آل عمران: ٤٥.
(٧٤) آل عمران: ٥٩.
(٧٥) الرّعد: ١١.
(٧٦) انظر الميزان: ١١/ ٢١١.
(٧٧) النّمل: ٧٠.
(٧٨) انظر الميزان: ١٥/ ٣٨٨.
(٧٩) انظر التفسير والمفسرون للذّهبي ١/ ٣٩.
(٨٠) التّغابن.
(٨١) آل عمران: ١٠٢.
(٨٢) الأحقاف: ٩.
(٨٣) آل عمران: ٤٤، وسورة يوسف.
(٨٤) هود: ٤٩.
(٨٥) الجنّ: ٢٧.
(٨٦) آل عمران: ٤٩.
(٨٧) يوسف: ٣٧.
(٨٨) الإسراء: ٩٣.
(٨٩) العنكبوت: ٥٠.
(٩٠) المؤمن: ٧٨.
(٩١) انظر الميزان: ١٨/ ١٩١.
(٩٢) انظر التفسير والمفسرون للذّهبي: ١/ ٣٨.
(٩٣) سورة البقرة: ١٨٥.
(٩٤) الرّوم: ٣٠.
(٩٥) العنكبوت: ٤٣.
(٩٦) المائدة: ١٦.
(٩٧) انظر الاتقان للسيوطي: ٣/ ٥٩.
(٩٨) التّكوير: ١٧.
(٩٩) النّساء: ١٢٧.
(١٠٠) فاطر: ١٠.
(١٠١) آل عمران: ٧.
(١٠٢) البقرة: ٢٣٢.
(١٠٣) الشّعراء: ٢٢٣.
(١٠٤) الكهف: ٤٢.
(١٠٥) طه: ١٢٩.
(١٠٦) التّين: ٢.
(١٠٧) الصّافّات: ١٢٠.
(١٠٨) الأعراف: ٧٥.
(١٠٩) البقرة: ١٨٧.
(١١٠) البقرة: ٢٣٠.

(١١١) البقرة: ٢٢٩.
(١١٢) انـظر الأتقان للسيوطي: ٢/٥٩، ومابعدها
(١١٣) انظر التفسير والمفسرون للذهبي: ١/٣٨.
(١١٤) النّساء: ٩٦.
(١١٥) انظر الميزان: ٥/٤٦.
(١١٦) م.ن ٥/٤٧.
(١١٧) انظر الميزان: ٥/٤٨.
(١١٨) المائدة: ٩.
(١١٩) الأنفال: ٤.
(١٢٠) هـود: ١١.
(١٢١) الحديد: ٢٠.
(١٢٢) البقرة: ٢٨٦.
(١٢٣) انظر الإتقان للسيوطي: ٣/١٠١.
(١٢٤) انـظر التفسير والمفسرون للذهبي: ١/٣٨.
(١٢٥) انظر صحيح مسلم: ١/٢٦١.
(١٢٦) المجادلة: ٣.
(١٢٧) النّساء: ٩٢.
(١٢٨) انظر جمع الجوامع وشرحه لأبي علي الفضل بن الحسن الطّبرسي ٢/٥٤، وانظر المستصفر لأبي حامد بن محمّد بن محمّـد الغـزالي: ٢/١٨٥
(١٢٩) البقرة: ١٨٦.
(١٣٠) المؤمن: ٦٠، وانظر الميزان ٢/٢٠.
(١٣١) انظر الميزان: ٢/٣٢.
(١٣٢) إبراهيم: ٣٤.
(١٣٣) الرّحمن: ٢٩.
(١٣٤) انظر الميزان: ٢/٣٣.
(١٣٥) م.ن: ٢/٣٤.
(١٣٦) المؤمن: ١٤.
(١٣٧) الأعراف: ٥٦.
(١٣٨) الأنبياء: ٩٠.
(١٣٩) الأعراف: ٥٥.
(١٤٠) مريم: ٤.
(١٤١) الشّورى: ٢٦.
(١٤٢) انظر الميزان: ٢/٣٤ـ٣٥.
(١٤٣) انظر أصول الكافي: ١/٥٥.
(١٤٤) انظر بصائر الدّرجات ج١ ص ٦ أبو جعفر محمّـد بن الحسن بن فروخ الصّفّـار، إيران ـ دار الكتب الإسلامية.
(١٤٥) انـظر المحاسن ص ٢٦٧ للشيخ أبي جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقي.
(١٤٦) الزّمر: ٦٥.
(١٤٧) البقرة: ٢١٧.
(١٤٨) الفرقان: ٢٣.
(١٤٩) انظر الميزان ٢/١٦٩ـ١٧٠.
(١٥٠) التّوبة: ١٠٢.
(١٥١) انظر الميزان: ٢/١٧٠.
(١٥٢) انظر أصول الكافي: ١/٥٦.
(١٥٣) م.ن: ١/٥٥.
(١٥٤) انظر تفسير العياشي: ٢/٢٦، المكتبة العلميّة الإسلامية ـ طهران.
(١٥٥) انظر الميزان: ٨/٢٦٠.
(١٥٦) انظر الدّرّ المنثور.
(١٥٧) الأعراف: ١٤٣، انظر الميزان: ٨/٢٦١.
(١٥٨) انظر الدّرّ المنثور.
(١٥٩) انظر الميزان: ١١/١٦٧.
(١٦٠) انظر الميزان: ١١/١٦٨.

ابن الماهيار وتفسيره

الشيخ رضا الأستادي.

* اسمه ولقبه وكنيته

هو أبو عبدالله بن محمد بن العبّاس بن علي بن مروان بن الماهيار البزّاز المعروف بإبن الجُحام.

قال العلامة الحلي (ره): محمد بن العبّاس بن علي بن مروان بن الماهيار بالياء بعد الهاء والراءِ اخيراً، ابو عبدالله البزّاز بالزاي قبل الالف وبعدها، المعروف بابن الجحام بالجيم المضمومة والحاءِ المهملة بعهدها[١].

* عصره

كان حياً في سنة ٣٢٨ هـ وسمع منه في هذه السنة هارون بن موسى التلعكبري، فهو معاصر للشيخ الكليني (ره) وفي طبقته.

* الثناء عليه

قال النجـاشي: هو ثقة من أصحابنا عين سديد كثير الحديث...[٢].

قال الشيخ الطوسي: محمد بن العبّاس بن علي بن مروان المعروف بابن الجحام يكنى ابا عبـد الله له كتب... أخبـرنـا بكتبه ورواياته جماعة من أصحابنا عن أبي محمد هارون ابن موسى التلّعكبري عنه[٣].

قال ابن شهر آشوب في معالم العلماءِ في فصل من عرف بلقب أو قبيلة أو بلد:

ابن الجحام أبو عبدالله محمد بن مروان له كتـاب تأويل ما نزل في النبيّ وآله عليهم السلام ثم ذكر مؤلفاته[٤].

قال العلامة الحلّي (ره) في الخلاصة: هو ثقة عين من أصحابنا سديد كثير الحديث له كتاب ما نزل من القرآن في اهل البيت عليهم السلام قال جماعة من أصحابنا: انه كتاب لم يصنّف مثله في معناه وقيل إنّه ألف ورقة.[٥].

قال ابـن داود في رجـاله: هو ثقـة من أصحابنا عين من أعيانهم كثير الحديث سديده[٦].

وقال الافندي في رياض العلماء: ابن الماهيار هو الشيخ محمد بن العبّاس بن علي بن الماهيار الامام الأقوام المعاصر للكليني صاحب كتاب التفسير الموسوم بكتاب ما نزل من القرآن في اهل البيت، وهو الثقة المأمون[7].

قال المحدث النوري (ره) ضمن كلام له

وعن الشيخ الثقة السديد الجليل محمد بن العبّاس بن علي بن مروان بن الماهيار في تفسيره في ما نزل في أهل البيت (عليهم السلام) الذي صرح جماعة من الأصحاب إنّه لم يُصنّف مثله في معناه، وأنّه [في] ألف ورقة.

قال المحدّث القمي (ره): كان ثقة كثير الحديث من اجلاء علماء الامامية ومن مشايخ التلّعكبري.[8]

قال العلامة الطهراني: هو ممّن قال النجاشي في حقّه ثقة ومن مشايخ أبي محمد هارون بن موسى التلعكبري. سمع منه في ٣٢٨ كما يظهر من كتاب الرجال للطوسي...[9]

* شيوخه

يستفاد من اسناد الروايات المنقولة عن تفسيره في كتاب تأويل الآيات للسيد شرف الدين الإسترابادي ومختصر البصائر للحسن بن سليمان وسعد السعود واليقين ومحاسبة النفس للسيد ابن طاوس ان شيوخه في الحديث كثيرون جداً ونكتفي في هذا المقال بذكر عشرين شيخاً منهم، كلّهم من الاعلام الاعاظم.

١ـ احمد بن ادريس بن احمد ابو علي الاشعري القمي المعلّم.

كان ثقة فقيها في أصحابنا كثير الحديث صحيح الرواية. له كتاب النوادر كتاب كبير كثير الفائدة. مات بالقرعاء من طريق مكّة على طريق الكوفة سنة ٣٠٦.[10]

٢ـ ابو العبّاس احمد بن محمد بن عبدالرحمن المعروف بابن عقدة الحافظ

جليل القدر عظيم المنزلة، وأمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يُذكر. له كتب كثيرة، منها كتاب التاريخ وهو في ذكر من روى الحديث من الناس كلهم العامة والشيعة واخبارهم ـ خرج منه شيء كثير ولم يتّمه ـ كتاب السنن، وهو كتاب عظيم قيل إنّه حمل بهيمة.[11]

قال النجاشي (ره): ورأيت له كتاب تفسير القرآن وهو كتاب حسن وما رأيت احداً ممن حدّثنا عنه ذكره، وقد لقيت جماعة ممن لقيه وسمع منه وأجازه منهم من اصحابنا ومن العامة ومن الزيدية. ومات بالكوفة سنة ٣٣٢[12].

٣ـ أحمد بن محمد بن موسى الهاشمي النوفلي.

روى عن عيسى بن مهران المعروف بالمستعطف. وله كتاب نوادر كبير[13].

والمستعطف هذا عنونه الخطيب في تاريخ بغداد وقال: روى عنه محمد بن جرير الطبري ووقع إلّي من تصنيفه كتاب في الطعن على

بعض الصحابة وتضليلهم وإكفارهم فوالله قفّ شعري عند نظري اليه.

٤- أحمد بن نصر بن سعيد الباهلي المعروف بابن ابي هراسة = احمد بن هوذه

قال الخطيب في تاريخ بغداد: هو شيخ من شيوخ الشيعة[١٤].

له كتاب الايمان والكفر والتوبة، مات في ذي الحجة سنة ٣٣٣ يوم التروية بجسر نهروان ودفن بها[١٥].

٥- جعفر بن محمد العلوي الحسيني ابو هاشم

روى عنه التلّعكبري، وقال: كان قليل الرواية، وسمع منه شيئاً يسيراً[١٦].

والتلّعكبري هذا مات، سنة ٣٨٥.

وقال شيخنا في قاموس الرجال: المقصود من الحسيني: انّه من ولد الحسين الاصغر من بني السجاد عليه السلام الستّة.[١٧]

٦- ابو محمد الحسن بن محمد بن جمهور العمّي.

قال النجاشي: بصري ثقة في نفسه، ينسب الى بني العمّ من تميم، يروي عن الضعفاء ويعتمد المراسيل، ذكره اصحابنا بذلك وقالوا كان أوثق من ابيه واصلح. له كتاب الوحدة اخبرنا احمد بن عبدالواحد وغيره عن أبي طالب الانباري عن الحسن بالوحدة[١٨].

وقال النجاشي ايضاً: قال علي بن الحسين الهذلي المسعودي [المتوفى ٣٣٦]:

لقيت حسن بن محمد بن جمهور فقال لي حدثني أبي وهو ابن مائة وعشر سنين[١٩].

٧- ابو عبدالله الحسين بن محمد [بن عامر] بن عمران بن ابي بكر الاشعري القمّي.

قال النجاشي: ثقة، له كتاب النوادر، أخبرنا محمد بن محمد عن أبي غالب الزراري عن محمد بن يعقوب عنه[٢٠].

فهو من مشايخ الكليني ويروي عنه كثيراً في كتابه الكافي فراجع.

٨- حُميد بن زياد بن حمّاد.

قال النجاشي كوفي سكن سورا وانتقل الى نينوى - قرية على العلقمي إلى جنب الحائر على صاحبه السلام - كان ثقة واقفا وجهاً فيهم، سمع الكتب وصنّف كتاب الجامع في انواع الشرائع، كتاب الخمس، كتاب الدعاء، كتاب الرجال، كتاب من روى عن الصادق عليه السلام، كتاب الفرائض، كتاب الدلائل، كتاب ذمّ من خالف الحق واهله، كتاب فضل العلم والعلماء، كتاب الثلاث والأربع، كتاب النوادر، وهو كتاب كبير. ومات سنة عشر [او عشرين] وثلاثمائة[٢١].

وقال الشيخ الطوسي (ره): هو عالم جليل ثقة واسع العلم كثير التصانيف روى الاصول اكثرها له كتب كثيرة على عدد كتب الاصول[٢٢].

وقال ابو غالب الزراري في رسالته إلى ولده: وسمعت من حميد بن زياد وأبي عبدالله ابن ثابت وأحمد بن رماح وهؤلاء من رجال الواقفة

إلّا أنّهم كانوا فقهاء ثقات في حديثهم كثيري الدراية (الرواية)[٢٣].

٩- ابو أحمد بن عبدالعزيز بن يحيى الجلودي البصري.

كان ثقة من أكابر الشيعة الامامية والرواة للآثار والسير، له نحو من مائتي كتاب. ذكرها النجاشي في الفهرست. منها كتاب التفسير عن علي عليه السلام، كتاب ما نزل فيه من القرآن، كتاب التفسير عن ابن عبّاس، كتاب التفسير عن الصّحابة[٢٤]

وقال الشيخ الطوسي: هو من أهل البصرة إمّا في المذهب، له كتب في السّير والأخبار وله كتب في الفقه، فمن كتبه كتاب الرشيد والمسترشد وكتاب المتعة وما جاء في تحليلها[٢٥].

مات بعد سنة ٣٣٠ كما في فهرست ابن النديم[٢٦].

١٠- أبو محمد بن عبدالله بن العلاء المذاري.

قال النجاشي: هو ثقة من وجوه أصحابنا. يقال ان له كتاب الوصايا ويقال انه لمحمد بن عيسى بن عبيد وهو رواه عنه وله كتاب النوادر الكبير

أقول روى النجاشي عنه بواسطتين.[٢٧]

١١- علي بن العبّاس المقانعي رحمه الله تعالى.

قال الشيخ الطوسي في الفهرست: له كتاب فضل الشيعة[٢٨].

وعلي بن العبّاس هذا يروي عن عباد بن يعقوب الرواجني الذي مات سنة ٢٥٠[٢٩].

١٢- ابو جعفر محمد بن الحسين الخثعمي الاشناني الكوفي.

قال الشيخ الطوسي: روى عنه التلّعكبري وسمع منه سنة خمس عشرة وثلاثمائة وفيما بعدها. مات سنة ٣١٧ وله منه إجازة[٣٠].

ويروي عنه أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطّالبيين[٣١].

١٣- ابو علي محمد بن همام بن سهل الكاتب الاسكافي.

قال النجاشي: شيخ أصحابنا ومتقدّمهم، له منزلة عظيمة كثير الحديث... له من الكتب كتاب الأنوار في تاريخ الأئمة عليهم السلام ومات سنة ٣٣٦ وكان مولده سنة ٢٥٨[٣٢].

وقال الخطيب في تاريخه: هو أحد شيوخ الشيعة مات سنة ٣٣٢ وكان يسكن في سوق العطش ودفن في مقابر قريش [٣٣].

وقال الشيخ الطوسي: جليل القدر ثقة روى عنه التلّعكبري وسمع منه أوّلاً سنة ٣٢٣، وله منه اجازة ومات سنة ٣٣٢[٣٤].

١٤- ابو عبدالله محمد بن وهبان الدبيلي.

قال النجاشي: هو ساكن البصرة ثقة من أصحابنا واضح الرواية قليل التخليط له كتب، منها كتاب الصلاة على النّبيّ صلّى الله

عليه وآله، كتاب أخبار الصادق عليه السلام مع المنصور، كتاب أخباره مع أبي حنيفة كتاب بشارات المؤمنين عند الموت، كتاب أخبار الرّضا عليه السلام، كتاب ترويح القلوب بطرائف الحكمة، كتاب الخواتيم، كتاب منْ روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام، كتاب المزار، كتاب الدعاء، كتاب في معنى طوبى، كتاب التحف، كتاب الأذان حيّ على خير العمل، كتاب أخبار يحيى بن أبي الطويل كتاب أخبار أبي جعفر الثاني عليه السلام[٣٥].

وقال الشيخ روى عنه التلّعكبري[٣٦].

١٥ ـ ابو عبداللّه محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي المعروف بالسوداني

قال النجاشي: ثقة من أصحابنا، عمّر، له كتاب الفوائد وهو نوادر[٣٧].

وقال الشيخ: روى عنه التلّعكبري وسمع منه في سنة أربع وعشرين [وثلاثمائة] وله منه اجازة[٣٨].

١٦ ـ أبو القاسم منذر بن محمد بن المنذر القابوسي

ثقة من أصحابنا من بيت جليل، له كتب، منها وفود العرب الى النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله، وكتاب جامع الفقه، وكتاب الجمل، وكتاب صفّين، وكتاب النّهروان، وكتاب الغارات[٣٩].

روى عنه النجاشي بواسطتين.

١٧ ـ أبو محمد يوسف بن يعقوب بن إسماعيل البصري

قال الخطيب: سمع محمد بن أبي بكر المقدمي.. سكن بغداد، وحدّث بها.. وكان ثقة وكان تولّى القضاء بالبصرة في سنة ٢٧٦ وضمّ اليه قضاء واسط، ثم اضيف إلى ذلك قضاء الجانب الشرقي من بغداد.. مات سنة ٢٩٧[٤٠].

١٨ ـ ابو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري

صاحب التفسير والتاريخ المشهورين، من اعلام العامة ومات سنة ٣١٠[٤١].

١٩ ـ أبو عبداللّه الحسين بن محمد بن سعيد البزّاز المعروف بابن المطبقي

قال الخطيب: يقال إنّه كان علوياً ولم يكن يظهر نسبه وكان ثقة، ذكر أنّه ولد سنة ٢٣٣. وتوفّي سنة ٣٢٨ ودفن في داره[٤٢].

٢٠ ـ أبو عبداللّه الحسين بن الحكم بن مسلم الكوفي المتوفى سنة ٢٨٦[٤٣].

قال ابن شهر آشوب في معالم العلماء: الحبري: له كتاب مانزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام[٤٤].

أقول وهو الذي حقّقه العلاّمة السيّد محمد رضا الحسيني وسمّاه تبعاً لنسمات الأسحار في طبقات رواة الأخبار ـ بتفسير الحبري ببيروت من منشورات مؤسسة آل البيت.

روى عنه ابن الماهيار على ما في المطبوع من كتاب سعد السّعود[٤٥] واغلب رواياته عنه بالواسطة، والظاهر سقوط الواسطة في سعد السّعود، فابن الماهيار إنّما يروي مباشرة عن شيوخ توفّوا حدود الثلاثين وبعد الثلاثين والثلاثمائة كما تقدّم، والحبري توفّي سنة ٢٨٦ فهو في طبقة شيوخ مشايخ ابن الماهيار.

* مؤلفاته

ذكر الشيخ الطوسي في فهرسته من مؤلّفات ابن الماهيار هذه الكتب:

١ـ كتاب التفسير الكبير.

٢ـ كتاب تأويل ما نزل في النّبيّ [وآله][٤٦] عليهم السلام

٣ـ كتاب تأويل ما نزل في شيعتهم.

٤ـ كتاب تأويل ما نزل في اعدائهم.

٥ـ كتاب النّاسخ والمنسوخ.

٦ـ كتاب قراءة امير المؤمنين عليه السلام.

٧ـ كتاب قراءة أهل البيت عليهم السلام.

٨ـ كتاب المقنع في الفقه.

٩ـ كتاب الأصول.

١٠ـ كتاب الاوائل.

١١ـ كتاب الدواجن على مذهب العامة[٤٧].

وذكر النجاشي: من هذه الكتب: المقنع في الفقه وكتاب الدواجن.

١٢ـ كتاب ما نزل في القرآن في أهل البيت عليهم السلام وقال جماعة من أصحابنا انه كتاب لم يصّنف في معناه مثله وقيل انه الف ورقة[٤٨].

وقال السيد حسن الصدر (ره): له في كل علوم القرآن كتب مفردة، له كتاب الناسخ والمنسوخ، وله في تفسير القرآن وتأويله، وله في محكمه ومتشابهه، وفي زيادات حروفه وفضائله وثوابه، وله كتاب ما نزل في أهل البيت من القرآن وهو الف ورقة. وهو من اهل القرن الثالث رضى الله عنه كان من المعاصرين للكليني صاحب الكافي[٤٩].

وكما يظهر من هذه العبارة أنّ لابن الماهيار كتاباً في المحكم والمتشابه وكتاباً في ثواب القرآن وفضائله، وهذان مما لم يذكرا في فهرست الشيخ والنجاشي.

* الرواة عنه

لم نعرف من الرواة عنه الاّ أبا محمد هارون بن موسى بن سعيد بن سعيد التلّعكبري.

قال الشيخ الطوسي: أخبرنا بكتب ابن الهمام ورواياته عدّة من اصحابنا عن أبي محمد هارون بن موسى التلّعكبري عنه[٥٠].

وقال أيضاً: سمع منه التلّعكبري سنة ٣٢٨ وله منه إجازة[٥١].

وقال ابن طاووس (ره): هذا الكتاب ـ اي تأويل ما نزل في القرآن الكريم في النبيّ وآله ـ بعدّة طرق.

منها عن الشيخ الفاضل اسعد بن عبد القاهر المعروف جده بشفرويه الإصفهاني حدّثني بذلك لّما ورد إلى بغداد في صفر ٦٣٥ بداري بالجانب الشرقي من

بغداد... عن الشيخ العالم أبي الفرج علي بن السعيد أبي الحسين الراوندي عن أبيه عن الشيخ أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسن الحلبي عن السعيد أبي جعفر الطوسي رضي اللّه عنهم.

وأخبرني بذلك الشيخ الصالح حسين بن أحمد السوراوي اجازة في جمادي الآخرة سنة ٦٠٧ (كذا) عن الشيخ السعيد محمد بن أبي القاسم الطبري عن الشيخ المفيد أبي علي حسن بن محمد الطوسي عن والده السعيد محمد بن الحسن الطوسي.

وأخبرني بذلك أيضاً الشيخ علي بن يحيى الحافظ إجازه تأريخها شهر ربيع الأوّل سنة ٦٠٩ عن الشيخ السعيد عربي بن مسافر العبادي عن الشيخ محمد بن أبي القاسم الطبري عن الشيخ المفيد أبي الحسن بن محمد الطوسي.

وغير هؤلاء يطوي [يطول] ذكرهم.

عن السّعيد الفاضل في علوم كثيرة من علوم الاسلام والده أبي جعفر محمد بن حسن الطوسي قال: أخبرنا بكتب هذا الشيخ العالم ابي عبداللّه محمد بن العبّاس بن مروان ورواياته جماعة من أصحابنا عن أبي محمد هارون بن موسى التلّعكبري عن أبي عبداللّه محمد بن العبّاس ابن مروان المذكور(٥٢).

قال النجاشي في هارون بن موسى التلّعكبري: من بني شيبان، كان وجها في أصحابنا ثقة معتمداً لايطعن عليه. له كتب منها: كتاب الجوامع في علوم الدين، كنت أحضره في داره مع إبنه أبي جعفر والناس يقرأون عليه.(٥٣).

وقال الشيخ الطوسي: التلّعكبري يكنى أبا محمد جليل القدر عظيم المنزلة واسع الرواية عديم النظير ثقة. روى جميع الاصول والمصنّفات، مات سنة ٣٨٥(٥٤).

وفي ايضاح العلامة الحلّي: التلّعكبري باللّام المشدّدة وضمّ العين والباء. عن فضل اللّه الراوندي.

قال شيخنا في قاموس الرجال بعد نقل ما في الإيضاح: بل بفتح الباء كما صّرح به السمعاني في انسابه والحموي في بلدانه. وعكبرا على عشرة فراسخ من بغداد، وتلّ عكبرا موضع عند عكبرا يقال له: التلّ، والتلّ منسوب الى عكبرا(٥٥).

* تفسيره

للأسف لم يبق لنا من الآثار الثمينة والمؤلفات القيّمة لابن الجحام الّا قسم من كتابه (ما نزل من القرآن في اهل البيت)(٥٦) ولهذا يلزمنا البحث عنه وتعريفه بقدر الامكان.

وهذا الكتاب النفيس كان موجوداً على عهد النجاشي المتوفى ٤٥٠ والذي قال عنه: قال جماعة من أصحابنا انه كتاب لم يصنف في معناه مثله وقيل انّه الف ورقة(٥٧) وواضح في كلمة (قيل) أنه لم يره بنفسه.

وبقي الى القرن السابع، وكان عند ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤، ونقل عنه غير واحد من مؤلّفاته.

قال في كتابه سعد السعود: فصل في ما نذكره من المجلّد الأول من تأويل ماأُنزل من القرآن الكريم في النبيّ وآله صلوات الله عليه وعليهم وتأليف أبي عبد الله محمد بن العبّاس بن علي بن مروان المعروف بابن الجحام[٥٨]..

وقال فيه أيضاً: فصل فيما نذكره من المجلد الثاني منه (٥٩).

وقال في كتابه (اليقين) الباب الثاني والتّسعون فيما نذكره من كتاب تأويل مانزل من القرآن الكريم في النبي صلّى الله عليه وآله ... تأليف الشيخ العالم محمد بن العبّاس بن علي بن مروان في تسمية النبيّ صلّى الله عليه وآله مولانا علي عليه السلام أميرالمؤمنين:

(أعلم ان هذا محمد بن العبّاس قد تقدم ما ذكرناه عن أبي العبّاس أحمد بن علي النجاشي انه ذكر عنه رضي الله عنه: انه ثقة عين، وذكر ان جماعة من أصحابه ذكروا ان هذا الكتاب الذي ننقل ونروي عنه لم يُصنّف في معناه مثله وقيل انه ألف ورقة، وقد روى احاديثه من رجال العامّة لتكون أبلغ في الحجّة واوضح في المحجّة وهو عشرة اجزاءٍ والنسخة التي عندنا الآن... مجلّدان ضخمان قد نسخت من أصل عليه خط أحمد بن الحاجب الخراساني في إجازة تاريخها في صفر سنة ٣٢٨ وأجازة بخط الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي وتاريخها في جمادي الآخرة سنة ٤٤٣)[٦٠].

وقال في كتابه (محاسبة النفس) روى أبو العبّاس بن عقدة في تفسير القرآن في هذه الآية: «**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**» بإسناده إلى يعقوب بن شعيب قال سألت أبا عبدالله عن هذه الآية قال عليه السلام هم الأئمة عليهم السلام.

وروى في كتابه المذكور باسناده إلى بريد بن معاوية البجلي قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن هذه الآية قال عليه السلام: ايّانا عنى.

أقول: وروى هذين الحديثين أيضاً محمد بن العبّاس بن مروان في كتابه الذي صنفه في ما نزل من القرآن في النبّي والأئمة عليهم السلام[٦١].

وقال أيضاً فيه بعد ذكر حديث في عرض اعمال الامة على رسول الله صلّى عليه وآله بعد وفاته: وروى محمد بن العبّاس بن مروان أخبار جماعة في ذلك [٦٢].

ثم نسخة ابن طاووس(ره) التي كانت عليها خطة بقيت حتى زمن الشيخ حسن بن سليمان حلّي(ره) من اعلام القرن الثامن وأوائل القرن التاسع من تلاميذ الشهيد الأول مجاز منه سنة ٧٥٧[٦٣] وكانت عنده رحمه الله ونقل عنه في كتابه (مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبدالله).

قال في مختصر البصائر:

يقول: عبدالله حسن بن سليمان وقفت على كتاب فيه تفسير الآيات التي نزلت في محمد وآله صلوات الله عليهم تأليف محمد بن العبّاس بن مروان يعرف بابن الجحام وعليه خط السيد رضي الدين علي بن طاووس ان النجاشي ذكر عنه انه ثقة ثقة وروى السيد

رضي الدين علي بن طاووس عن فخار بن معد بطريقه إليه من الكتاب المذكور[٦٤] ثم نقل سبعة احاديث من هذا الكتاب

وقال فيه ايضاً.

ومن كتاب تأويل ما نزل من القرآن في النبي وآله صلوات الله عليه وعليهم تأليف أبي عبد الله محمد بن العبّاس بن مروان وعلى هذا الكتاب خط السيد رضى الدين علي بن موسى بن طاووس ماصورته: قال النجاشي في كتاب الفهرست ما هذا لفظه: محمد بن العبّاس ثقة ثقة في أصحابنا...

رواية علي بن موسى بن طاووس عن فخار بن معد العلوي وغيره عن شاذان بن جبرئيل عن رجاله، ثم نقل عنه روايات كثيرة فراجع[٦٥].

وعلى ما يبدو أن الكتاب كان موجوداً عند الشيخ تقي الدّين الكفعمي صاحب كتاب جنة الأمان الواقية المشتهر بالمصباح الذي فرغ من تأليفه سنة ٨٩٥ إذ ذكره في عداد مصادره في آخر الكتاب[٦٦] ونقل عنه في حاشيته في موردين:

قال: ذكر علي بن إبراهيم في تفسيره ان المراد بقوله تعالى «**وانه في ام الكتاب لدينا لعلّي حكيم**» أمير المؤمنين. وكذلك ذكر أبو عبد الله محمد بن العبّاس بن مروان المعروف بابن الجحام في كتابه ما نزل من القرآن في أهل البيت وهذا الكتاب الف ورقة ولم يصنّف مثله في معناه.

وقال ايضاً:

ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي ولاية أهل البيت عليهم السلام ذكر ذلك أبو عبد الله بن الجحام في تفسيره وعلي بن إبراهيم في تفسيره[٦٧].

وفي هذا الزمان أعني أوآخر القرن التاسع واوائل القرن العاشر ظفر السيد الشريف شرف الدين علي الحسيني الاسترابادي تلميذ المحقق الكركي وصاحب كتاب تأويل **الآيات الباهرة في فضائل العترة الطاهرة** بالمجلد الثاني منه وادرج قسماً من رواياته في كتابه هذا.

قال السيد شرف الدين (ره) في تأويل الآيات:

قوله تعالى: وان كادوا ليفتنونك عن الذي... (سورة الاسراء الآية٧٣) تأويله: ما ذكره الشيخ محمد بن العبّاس.

ومن قبل ان نذكر رواياته الصحيحة نذكر ما قيل فيه في كتب الرجال ـ ثم ذكر ما نقلنا من قبل عن العلّامة الحلّي في الخلاصة وابن داود في رجاله ـ ثم قال:

وهذا كتابه المذكور ـ اي ما نزل من القرآن في اهل البيت ـ لم اقف عليه كلّه بل نصفه من هذه الآية ـ اي ٧٣ من سورة الإسراءِ ـ إلى آخر القرآن...[٦٨].

وكان تأليف هذا الكتاب قبل سنة ٩٣٧ إذ له تلخيص ومنتخب فرغ من تنميقه منتخبه في سنة ٩٣٧ قال العلّامة الطّهراني في الذريعة[٦٩]:

وتأويل الآيات هذا من مصادر تفسير البرهان للبحراني والبحار للعلامة المجلسي وإثبات الهداة للشيخ الحرّ العاملي وغيرهم

ممّن عاصرهم أو تأخّر عنهم إلى زماننا هذا

وقال السيد هاشم البحراني المتوفى ١١١٤ في فصل بيان مصادر تفسيره المسمّى بالبرهان: كتاب الشيخ محمد بن العبّاس بن مروان الماهيار وهذا الكتاب لم أقف عليه لكن أنقل عنه مانقله السيّد شرف الدّين النجفي المقدّم ذكره ولم يتفق له العثور على مجموع كتاب محمد بن العبّاس بل من بعض سورة الاسراء إلى آخر القرآن وانا ان شاء اللّه اذكر ما ذكره عنه.[٧٠]

وقال الشيخ الحرّ العاملي المتوفى ١١٠٤ في فصل بيان مصادر كتابه المسمّى بإثبات الهداة: وقد نقلنا من كتب أخرى من مؤلّفات الإمامية لم نرها لكن نقل منها بعض أصحاب المؤلفات السابقة ونقلنا نحن منها بالواسطة وبعضها قد رأيته و لم يحضرني عند جمع هذا الكتاب فمنها... كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام لمحمد بن العبّاس بن مروان الثّقة[٧١]

وقال العلامة المجلسي (ره) المتوفى ١١١١ في مقدمة البحار عند ذكر مصادره وبيان توثيقها: كتاب تأويل الآيات الظّاهرة في فضائل العترة الطاهرة للسيد الفاضل العلامة الزكي شرف الدين علي الحسيني الاستر ابادي المتوطن في الغريّ مؤلف كتاب الغروية في شرح الجعفرية تلميذ الشيخ الأجل نور الدّين علي بن عبد العالي الكركي واكثره مأخوذ من تفسير الشيخ الجليل محمد بن العبّاس بن علي بن مروان بن الماهيار وذكر النجاشي ـ بعد توثيقه ـ ان له كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت. وكان معاصراً للكليني، وكتاب كنز جامع الفوائد وهو مختصر من ذلك الكتاب لبعض من تأخّر عنه...[٧٢].

وقال في موضع آخر: وكتاب تأويل الآيات وكتاب كنز جامع الفوائد رأيت جمعاً من المتأخّرين رووا عنهما ومؤلّفهما في غاية الفضل والديانة[٧٣].

ويظهر من عبارة نضد الايضاح: (له كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام وهو كتاب جيّد) ان علم الهدى ابن الفيض الكاشاني مؤلف النضد قد رأى هذا الكتاب واستجاده الا ان يقال لعله رآه في كتاب تأويل الآيات للسيد شرف الدين واللّه العالم.

* حجمه... واهميته

قال النجاشي: كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت قيل انه الف ورقة[٧٤]

قال ابن طاووس : **هو عشرة أجزاء والنسخة التي عندنا الآن... مجلّدان ضخمان**[٧٥].

وأيضاً يدلّ على كبر هذا التفسير ان الروايات كثيراً ما تنقل فيه بأسانيد متعددة مثل ما يلي:

قال ابن طاووس في سعد السعود: قد روى محمد بن العبّاس بن مروان نزول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك... في حق علي عليه السلام عن احد وثلاثين طريقاً..

وروى محمد بن العبّاس بن مروان في كتابه من ستة وستين طريقاً بأسانيدها ان

المقصود بقوله جلّ جلاله «شاهد منه» علي ابن أبي طالب عليه السلام.

وروى فيه [اختصاص] آية المباهلة بمولانا علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من أحد وخمسين طريقاً عمن سماه من الصحابة وغيرهم.

ووجدت صاحب هذا الكتاب - اي كتاب ابن الماهيار - قد روى نزول آية انما وليكم الله... في مولانا علي عليه السلام من تسعين طريقاً متصلة كلها او جلها من رجال المخالفين لأهل البيت...

وروى من اثني عشر طريقاً ان الاعمال تعرض على رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد وفاته وفي عدّة من روايات منها أن المؤمنين المذكورين في الآية الذين تعرض الاعمال عليهم هم الأئمة من آل محمد.

وروى صاحب هذا الكتاب ان الهادي [في آية انما انت منذر ولكل قوم هاد] هو علي عليه السلام روى ذلك من خمسين طريقاً.

وروى فيه حديث فدك من عشرين طريقاً.

وروى تخصيص آية التطهير بهم عليهم السلام من احد عشر طريقاً من رجال المخالف:

وروى تأويل هذه الآية: ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا... من عشرين طريقاً.

وروى نزول آية: وتعيها اذن واعية في علي عليه السلام من نحو ثلاثين طريقاً اكثرها وجلّها من رجال أهل الخلاف.

وروى ان هذه الآية: اولئك هم خير البرية في مولانا علي عليه السلام وشيعته من نحو ستة وعشرين طريقاً اكثرها من رجال الجمهور[٧٦].

وقال السيد شرف الدين في تأويل الآيات الباهرة:

اعلم ان محمد بن العبّاس رحمه الله ذكر في تفسير هذا المنقول في آية المناجاة سبعين حديثا من طريق الخاصة والعامة يتضمن ان المناجي للرسول صلّى الله عليه وآله هو أمير المؤمنين دون الناس اجمعين.

وقال أيضاً: وصالح المؤمنين أمير المؤمنين عليه السلام على ما رواه محمد بن العبّاس رحمه الله من طريق العام والخاص اورد في تفسيره هذا المنقول اثنين وخمسين حديثاً اخترنا منها بعضها...[٧٧].

* مختصر تفسير ابن الماهيار

اختصره أحد الاعلام ولم نعرفه وكانت نسخته عند السيد بن طاووس ونقل منها في سعد السّعود رواية واحدة.

قال: فصل فيما نذكره من كتاب التفسير مجلدة واحدة قالب الربع مختصر كتاب محمد بن العبّاس بن مروان ولم يذكر من اختصره ونذكر عنه رواية واحدة تفسير آية من سورة الرعد [طوبى لهم وحسن مآب]...[٧٨].

وذكر هذا المختصر العلامة الطهراني في الذريعة فراجع.

* ما وصل الينا منه

يتبين مما ذكرنا ان قسماً من هذا التفسير الثّمين قد وصل إلينا عن طريق بعض كتب السيد بن طاووس ومختصر البصائر، ومصباح الكفعمي، وتأويل الآيات للاسترابادي فيلزمنا استخراج هذه الرّوايات[٧٩] من هذه الكتب، والتحقيق في اسنادها ومتونها، ثم جمعها ونظمها على ترتيب آيات القرآن الكريم وطبعها ونشرها بعنوان (قسم من تفسير ابن الماهيار) او (مختصر تفسير ابن الماهيار).

* نموذج من رواياته

١- قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: انما مثلك مثل قل هو اللّه احد فانّ مَنْ قرأها مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله وكذلك انت من احبك بقلبه كان له ثلث ثواب العباد ومن أحبك بقلبه ولسانه كان له ثلثا ثواب العباد ومن احبك بقلبه ولسانه ويده كان له ثواب العباد اجمع[٨٠].

٢- عن الامام جعفر بن محمد عليهما السلام في قوله تعالى: ثم **«لتسئلن يومئذ عن النعيم»** قال: نحن النعيم[٨١].

٣- قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: مثلي فيكم مثل الشمس ومثل علي مثل القمر، فإذا غابت الشمس فاهتدوا بالقمر[٨٢].

٤- عن أبي عبداللّه عليه السلام في قوله عز وجلّ: **«يا ايتها النفس المطمئنّة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»** قال نزلت في علي بن أبي طالب السلام[٨٣].

٥- عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: **«اعلموا ان اللّه يحيى الارض بعد موتها»** يعني بموتها كفر أهلها والكافر ميّت فيحييها اللّه بالقائم عجل اللّه فرجه فيعدل فيها فتحيي الارض ويحيى أهلها بعد موتهم.[٨٤]

٦- عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا التّجارة المربحة المنجية من العذاب الأليم التي دل اللّه عليها في كتابه فقال: **«يا ايها الذين آمنوا هل ادلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم»**.[٨٥]

٧- عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: انا سيد الناس ولا فخر، وعلي سيد المؤمنين اللّهم والِ مَنْ والاه وعاد مَنْ عاداه فقال رجل من قريش: واللّه ما يألو يطريء ابن عمه فانزل اللّه سبحانه **«والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى»**.[٨٦]

٨- عن أبي جعفر عليه السلام: واللّه لقد اوتي عليّ عليه السلام الحكم صبياً كما اوتيَ يحيى بن زكريا الحكم صبياً.[٨٧]

٩- عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام **«ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً»** قال محبّة في قلوب المؤمنين.[٨٨]

١٠- عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله

عز وجلّ: «**فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون**» قال: نحن أهل الذكر.(٨٩)

١١- عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عز وجل: «**فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها**» قال فقال على التوحيد وان محمداً رسول الله وان علياً أمير المؤمنين.(٩٠)

١٢- عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام في قوله عز وجل: «**فقد استمسك بالعروة الوثقى**» قال: مودّتنا **اهل البيت**.(٩١)

١٣- قال أبو عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «**والذي جاء بالصدق وصدّق به**» قال الذي جاء بالصدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وصدّق به علي بن أبي طالب.(٩٢)

١٤- عن الحسين بن علي صلوات الله عليهما في قوله عز وجلّ: «**قل لا أسالكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى**» قال: وإن القرابة التي أمر الله بصلتها وعظّم من حقها وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الذين اوجب الله حقنا على كل مسلم.(٩٣)

الهوامش

(١) خلاصة الاقوال ص ١٦١ ط ١٣٨٠ نضد الإيضاح ص ٢٩٦ ط مشهد.

(٢) رجال النجاشي ٣٧٩ ط قم.

(٣) فهرست الشيخ ١٧٧ ط النجف و٢٩٦ ط مشهد/ رجال الشيخ ٥٠٤.

(٤) معالم العلماء ١٤٣ ط النجف.

(٥) خلاصة الاقوال ١٦١.

(٦) رجال ابن داود ٢١٧.

(٧) رياض العلماء ٦/ ٣٦.

(٨) الكنى والالقاب ١/ ٣٩٤ ط ١٢٧٦.

(٩) اعلام الشيعة القرن الرابع ٢٧٥.

(١٠) رجال النجاشي ٩٢/ فهرست الشيخ ٢٣/ رجال الشيخ ٤٢٨ و ٤٤٤ / مجمع الرجال ١/ ٩٤.

(١١) رجال الشيخ ٤٤١/ فهرست الشيخ ٤٢.

(١٢) رجال النجاشي ٩٤/ وقال في قاموس الرجال ١/ ٣٩٧: الصواب ٣٣٢ كما في تاريخ بغداد.

(١٣) مجمع الرجال ١/ ١٦٦ ومعجم رجال الحديث ٢/ ٣٣٠.

(١٤) قاموس الرجال ١/ ٤٣٩.

(١٥) رجال الشيخ ٤٤٢ وفيه: أحمد بن النضر بالضاد المعجمة. معالم العلماء ١٤٣ ط النجف.

(١٦) رجال الشيخ ٤٦٠.

(١٧) قاموس الرجال ٢/ ٤١٦.

(١٨) رجال النجاشي ٦٢.

(١٩) رجال النجاشي ٣٣٧.

(٢٠) رجال النجاشي ٦٦/ قاموس الرجال ٣/ ٢٢٣.

(٢١) رجال النجاشي ١٣٢.

(٢٢) رجال الشيخ ٤٦٣/ ١ الفهرست ١٠١٨ طبع مشهد.

(٢٣) شرح رسالة أبي غالب ص ٤٠/ قاموس الرجال ٣/ ٤٤٠.

(٢٤) رجال النجاشي ٢٤٠.

(٢٥) الفهرست ١٨٣.
(٢٦) الفهرست لابن نديم ١٧٣ ط القاهرة.
(٢٧) رجال النجاشي ٢١٩.
(٢٨) الفهرست: ٢٣٣.
(٢٩) قاموس الرجال ٥/٢٢١/ اعلام الشيعة القرن الرابع ٢٧٥.
(٣٠) رجال الشيخ ٥٠٠.
(٣١) قاموس الرجال ١٤،٢٨ وقيل توفي سنة ٣١٥ راجع مقدمة تفسير الحبري ٦٩.
(٣٢) رجال النّجاشي ٣٧٩.
(٣٣) تاريخ بغداد ٣/٣٦٥.
(٣٤) رجال الشيخ ٤٩٤.
(٣٥) رجال النجاشي ٣٩٦.
(٣٦) رجال الشيخ ٥٠٥.
(٣٧) رجال النجاشي ٣٧٨.
(٣٨) مجمع الرّجال ٦/ ٢٤ قال في اعلام الشيعة القرن الرابع: محمد بن القاسم هذا يروي عن عباد بن يعقوب الرواجني الذي مات سنة ٢٥٠.
(٣٩) رجال النجاشي ٤١٨.
(٤٠) تاريخ بغداد ١٤/ ٢١٠.
(٤١) تاريخ بغداد ٢/١٦٦.
(٤٢) تاريخ بغداد ٨/٩٧.
(٤٣) راجع مقدمة تفسير الحبري ص ٢٠.
(٤٤) معالم العلماء ١٤٤، وفيه: الحبري
(٤٥) سعد السعود ص ١٠٥.
(٤٦) ليست جملة: وآله موجودة في ط مشهد
(٤٧) راجع الفهرست ١٧٧ ط النجف و ٢٩٧ ط مشهد. الدّواجن جمع داجن وهو الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيره.
(٤٨) رجال النجاشي ٣٧٩ ط قم ويحتمل اتحاد هذا الكتاب مع الكتاب الثاني.
(٤٩) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ٣٣٥.
(٥٠) فهرست الشيخ ٢٩٧.
(٥١) رجال الشيخ ٥٠٤.
(٥٢) اليقين لابن طاووس ٧٩ ـ ٨٠.
(٥٣) رجال النجاشي ٤٣٩/ في حاشية مجمع الرجال ٦/٦٦: كان النجاشي حينئذ صغيراً ما ادرك بعد.
(٥٤) رجال الشيخ ٥١٦.
(٥٥) قاموس الرجال ٩/ ٢٨٤ مع التلخيص.
(٥٦)وهو غير تفسيره الكبير الذي ذكره الشيخ الطوسي في الفهرست والله العالم.
(٥٧) رجال النجاشي ٣٧٩.
(٥٨) سعد السّعود ٩٠.
(٥٩) سعد السعود ١٠٢.
(٦٠) اليقين ٧٩.
(٦١) محاسبة النفس ٩ ـ ١٠ مع التلخيص.
(٦٢) محاسبة النفس ١١ و ١٢.
(٦٣) طبقات اعلام الشيعة القرن التاسع ص ٣٣ ـ ٣٤.
(٦٤) مختصر البصائر ١٧٣ ط النجف.
(٦٥) مختصر البصائر ٢٠٥.
(٦٦) المصباح ص ٧٧٣ وراجع اعيان الشيعة ١٠/٢٣ الطبع الحديث.
(٦٧) المصباح ٦٨٤/٦٨٥.
(٦٨) تأويل الآيات الباهرة ٢٨٤.
(٦٩) الذريعة ٥/٦٦.
(٧٠) البرهان ١/٣١.
(٧١) اثبات الهداة ١/ ٦١ وتاويل الآيات للسيد شرف الدين من مصادره راجع اثبات الهداة ٣/٥٣.
(٧٢) البحار ١/١٣.
(٧٣) البحار ١/٣١.
(٧٤) رجال النجاشي ٣٧٩.
(٧٥) اليقين ٧٩.
(٧٦) راجع سعد السعود ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٩٠ و ٩١ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٩ و ١٠٢ و ١٠٤ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨.
(٧٧) راجع تاويل الآيات ص ٦٧٤/٦٩٨.
(٧٨) سعد السعود ١٠٩.
(٧٩) قال سيدنا الطباطبائي دامت افاداته: ان المرحوم العلامة الشيخ محمد السماوي فعل هذا المشروع وكتبه في نسخة بحجم معالم الاصول وهي محفوظة في مكتبة آية الله الحكيم في النجف الاشرف.
(٨٠) تاويل الآيات الباهرة ٨٦١.
(٨١) تاويل الآيات ٨٥٠.
(٨٢) تاويل الآيات ٨٠٦.
(٨٣) تاويل الآيات ٧٩٥.

(٨٤) تاويل الآيات ٦٦٢.
(٨٥) تاويل الآيات ٦٨٩.
(٨٦) تاويل الآيات ٦٢٣.
(٨٧) تاويل الآيات ٣٠٢.
(٨٨) تاويل الآيات ٣٠٨.
(٨٩) تاويل الآيات ٣٢٤.
(٩٠) تاويل الآيات ٤٣٥
(٩١) تاويل الآيات ٤٣٩.
(٩٢) تاويل الآيات ٥١٧.
(٩٣) تاويل الآيات ٥٤٥.

الإنسان والمعرفة في القرآن الكريم

السيد محمود الهاشمي

أشار القرآن الكريم في مواضع متعدّدة إلى هذا البعد من أبعاد الإنسان بوصفه كائناً فيه قابلية المعرفة والإدراك والعلم والشعور والفهم، وهذا الموضوع متشعّب الجوانب ومحتوٍ لأبحاث كثيرة ومختلفة، منها المنطقية والفلسفية والاجتماعية والعلمية والنفسية، وما سنتطرّق إليه هو مجمل من هذا الموضوع، وذلك من خلال تتبّع مجموعة الآيات القرآنية التي تتعرّض إلى هذا الجانب في الإنسان تصريحاً أو تلميحاً، والخروج من هذا البحث بنظرية أو نظريات متكاملة عن هذا البعد المهم في الإنسان، والذي لايقل أهمية عن أصل البحث الذي ابتدأنا به عن الإنسان في القرآن.

وموضوع الإنسان والمعرفة في القرآن الكريم من الموضوعات الشائكة والمعقّدة التي تحتاج إلى كثير من الجهد والعناية في استخراج واستخلاص النظرية المتكاملة عن هذا البعد، وهو ممّا لايتأتّى إلّا لمن سبر أغوار هذا الكتاب العزيز واستوعب مضامينه العالية، وهو ممّا يختصّ به النّبيّ (ص) وأهل بيته الطاهرين (ع)، ثمّ بعد ذلك وبدرجات نازلة أولئك الذين نهلوا من منهلهم وارتشفوا من معينهم وتعلّموا في أحضان مدرستهم، ونحن هنا لاندّعي أنّ كلّ مانطرحه هو البعد النهائي للنظرية القرآنية في هذا الموضوع، أو ذاك، وإنّما هو استفادات وتصوّرات (في حدود قدرتنا العلمية المحدودة) لمعطيات ومداليل الآيات القرآنية في الموضوع المعيّن.

وممّا يزيد من صعوبة استخراج نظرية قرآنية صريحة تخصّ هذا البعد من أبعاد الإنسان، كون القرآن الكريم ـ وكما بيّنّا سابقاً ـ هو أساساً كتاب هداية وتربية وصنع للإنسان، وليس كتاب نظريات علمية، بل إنّ

مردوده بتلك الجوانب والأبحاث والمصطلحات يكون بالمقدار الذي يحتاج إليه في هدفه الأساسي، وهو صنع الإنسانية الصّالحة.

نظرية المعرفة في القرآن الكريم:

ويمكن إيجاز أهمّ ماتتعرّض له الآيات الكريمة المتعدّدة والمتنوّعة في مداليلها بما يلي:

١ـ إنّ الإنسان كائن مدرك: تعبّر الكثير من الآيات الكريمة بصراحة عن كون الإنسان كائناً له القدرة على الإدراك والفهم والتحقّق والوعي والشعور، وبتعابير مختلفة، كالإبصار والسّمع والتعقّل والشّعور والشّهود، فظاهرة الإدراك في الإنسان ثابتة وأساسية تميّزه عن سائر الكائنات، والقرآن يعبّر عمّن لم يستفيدوا من هذه الموهبة الإلهية (العقل والإرادة) بأنّهم كالأنعام، بل هم أضلّ سبيلاً، فهؤلاء لم يغتنموا الفرصة المتاحة لهم، والتي تمكّنهم من السّير في الطريق الذي يؤدّي بهم إلى التقرّب من اللّه سبحانه بحيث أنّهم يتميّزون عندها حتى على الملائكة في درجة قربهم.

وكيف أن ملاك تميّز آدم عليه السلام على الملائكة هو علمه بالأسماء، وقدرته على التعلّم وكونه صالحاً للإدراك، فقد علمّه اللّه سبحانه فتعلّم، وبهذا اِستحقّ ذلك التعظيم من خلال الأمر بسجود الملائكة له، وبالتالي سقطت شبهة وتساؤل الملائكة عن سبب تميّز آدم عنهم والأمر بالسجود له.

ومن خلال الآيات الكريمة في هذا الشأن نستنتج أنّ قدرة هذا المخلوق مطلقة وليست محدودة، وهو يمتلك قدرة على تعلّم كلّ حقائق الوجود، إلّا المرتبة التي تمتنع عن الإدراك للممكن، وهي المرتبة المتعلّقة باللّه سبحانه، فما دون هذه المرتبة يمكن للإنسان الوصول إليها، فيمكنه أن يتطوّر ويتكامل ويدرك أكبر قدر ممكن من الحقائق الكبرى في الوجود والتي لايتمكّن حتى الملائكة من إدراكها، فالنّبيّ (ص) استطاع إدراك كلّ مايمكن أن يدركه الممكن من حقائق عالم الغيب والشّهادة بالنّحو الذي تبيّنه الآيات الكريمة **«ثُمَّ دنا فتدلّى * فكان قابَ قوسين او ادنى»**[1]، فكان أقرب مايكون إلى اللّه سبحانه وإلى معرفة مقام الرّبوبيّة، وفي الرّوايات ورد أنّ جبرئيل قد بلغ إلى حدّ لم يتمكّن من الصّعود بعده، فصعد النّبيّ (ص) لوحده، وهذه كناية وإشارة إلى أنّ الحدّ الوجودي والإمكاني لجبرئيل وهو أرقى الموجودات أقلّ من حدّ النّبيّ في مقام القرب والتعرّف على الحقيقة المطلقة، فاستمرّ النّبيّ (ص) في دنوّه وتكامله وتطوّره في الإدراك والمعرفة وسائر الحيثيات التي كانت تستبطنها تلك المعرفة الخاصّة وذلك العروج الرّبّاني الخاصّ.

وتمتاز قابليّة الإنسان على الإدراك بكونها ديناميكية ومتنوّعة وغير ثابتة ولامتناهية، فكلّ مخلوق قابل للإدراك (عدا الإنسان) له حدّ ثابت لايتطوّر ولايزداد أو ينقص منه،

فاستجابته وتوجيهه تكونان باتّجاه معيّن ثابت لايحيد عنه كما جاء في وصف الملائكة «لايعصون اللّه ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون»[٢]، وفي الرّوايات نجد أنّ لكلّ ملك عملًا خاصّاً مكلّف به، كتدبير السّماوات وتسيير الرّياح وخلقة الإنسان... والتكليف هنا هو التكليف التكويني لا التشريعي المولوي.

ولهذه الميزة نرى تطوّر الإنسان في سلّم الكمالات، حتّى أحاط الأنبياء والأولياء بالوجود كلّه وبالحقيقة كلّها، هذا في جانب الفرد، أمّا في جانب المجتمع فنرى تطوّرها فيما يرجع إلى مدركاتها الماديّة الطبيعية وأسرارها إضافة إلى مدركاتها المعنوية والأخلاقية والرّوحية، فالإنسان الذي كان يعيش في زمن موسى(ع) كانت مدركاته العقلية محدودة جدّاً بحيث إنّه يصّر أنّ العِجْل يمكن أن يكون إلهاً، أو أنّ إنساناً كفرعون يمكن أن يكون إلهاً له، وبفضل نزول الهداية الإلهيّة ونموّ الإنسان نفسه، زالت كلّ تلك الخرافات والغشاوات عن الذّهنية البشرية وهُذّب الذّهن البشري، وكُشفت عنه حجب الجهل.

فالإنسان كائن مدرك زوّد بقابلية المعرفة، وهي أرفع ممّا لدى سائر المخلوقات المدركة حتّى الملائكة، وهذه القابلية ديناميكية متحرّكة وليست قسريّة، وهي قابلة للنموّ والرّشد فيما يرتبط بعالم الطّبيعة، أو عالم الغيب والمعاني والملكوت.

٢ـ خصيصة المعرفة هي أشرف الخصائص التي توجد في مقياس القيمة الحقيقية، فالعلم والمعرفة هما أعلى وأشرف مايمكن أن يتحلّى به الإنسان، وهي من خصائص اللّه سبحانه، فهو العالم، وهو الذي نفخ روح الإنسان من روحه فأوجد فيه قابلية المعرفة، وخصّيصاء شرف المعرفة يعترف بها حتّى الماديّون المنكرون للّه سبحانه وتعالى، فلا يوجد عاقل يقول باستواء العالم والجاهل **«قل هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لايعلمون»**[٣]، **«وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظّلمات ولا النّور»**[٤]، حتّى جُعلت الغاية من الخلق هي المعرفة (على أحد التفسيرات) في قوله تعالى **«وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون»**[٥].

٣ـ التأكيد على ضرورة الاستناد إلى العلم والمنطق والبرهان والدّليل والعقل والفكر في كلّ تحرّك وموقف يقفه ويعتقد به الإنسان، فبعد هذه الأهميّة للعلم والمعرفة لابدّ من إستخدام العقل في فهم وإدراك مايعتقد به الإنسان مستنداً إلى العلم والمنطق والعقل **«لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها»**[٦]. فالآيات تحثّ على الاعتماد على المعرفة وللتدبّر لا الجهالة والخرافة والغفلة لاهية قلوبهم **«وأسُرّوا النّجوى»**[٧]، فلا بُدّ من انعكاس هذا الإدراك على عقيدة الإنسان ومواقفه التي يتّخذها.

ويكتسب هذا الموضوع أهميّة كبرى في

الحياة العقائدية للإنسان باعتباره يشكّل الأساس للجوانب الأخرى، فكلّ سلوك فردي أو اجتماعي مبنيّ على نظرية عقائدية معيّنة هي الأساس والخلفيّة الفكرية التي تبرّر السّلوك الخارجي للفرد أو المجتمع.

ومن جملة الآيات التي تعرّضت إلى هذا الجانب ما يلي:

«قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»[8].

«ولاتَقفُ ماليس لك به علم»[9].

«قالوا لو كنّا نسمع او نعقل ماكنّا في أصحاب السّعير»[10].

«ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة»[11].

٤ـ إنّ للمعرفة قيمة، أي انّ للإدراك مايطابقه في الواقع الخارجي، ويعرف هذا البحث في المنطق بـ(نظرية المعرفة) فللإدراك جانبان، جانب ذاتيّ، وآخر موضوعيّ، فالجانب الذّاتيّ له لم ينكره أحد، حتّى السوفسطائيون، فلا إشكال بأنّ الإنسان يدرك بأنّه يدرك، كما قال الفيلسوف الغربي (ديكارت): «أنا أفكّر فإذن أنا موجود»، ونحن نصطلح على هذا العلم بالعلم الحضوري، وهو علمنا وإدراكنا بما ندركه، لكنّ الخلاف قد وقع في الجانب الموضوعي لهذا الإدراك وهو وجود مطابقَ خارجي لهذا الإدراك، فلعلّ هذا الإدراك حاله حال سائر الإنفعالات النفسانية، كالألم والجوع والعطش ، والتي هي حالات ذاتيّة، ولكن ليس لها ماوراء نفس تلك الحالات من كشف لحقيقة موضوعية خارج ذات الإنسان، فحالة الفرح عندما تحدث للإنسان يتصوّر وجود شيء مقابل تلك الحالة في واقعه الخارجي، ولكنّه مجرّد انفعال لايترتّب عليه أثر في الخارج، وهذا الإشكال أورده السوفسطائيّون والمثاليّون والشكّاكون قديماً وحديثاً، فانبرى الحكماء والفلاسفة الواقعيّون لإثبات وجود مطابق موضوعي خارجي للإدراك إذا حصل من مناشئه المنطقية الصّحيحة.

على هذا فالجانب الذّاتيّ للإدراك يمثّل حالة شعوريّة كباقي الانفعالات النفسانية وهو محلّ إتّفاق المناطقة، أمّا الجانب الموضوعي للإدراك وهو مايمتاز به على سائر الحالات الشعورية (الذّاتيّة) فهو وجود المطابق لهذا الإدراك في الواقع الخارجي، وهو مايعبّر عنه في بحث القطع في علم الأصول بطريقة القطع وكاشفيّته، فللعلم والإدراك كاشفيّة عن مطابق في الخارج، وليسا حالة ذاتيّة محضة، وهذه النّقطة مهمّة في الأبحاث المنطقية، وقد كانت محلّ خلاف بين السوفسطائيين والفلاسفة الواقعيين.

الآيات القرآنية واضحة وصريحة في أنّ عمليّة الإدراك عمليّة موضوعية وليست مجرّد حالة ذاتيّة، فهي تؤكّد بأنّ الإنسان ومن خلال موهبة العقل والمعرفة والقدرة على التعلّم والإبصار والسّمع وغيرها، فإنّه يدرك أموراً

واقعيّة لها ما بإزائها، بل يطرح القرآن ماهو أوسع من ذلك، فهو يطرح واقعيّة وموضوعيّة وطريقيّة للإدراك ووجود مطابقات واقعيّة موضوعيّة خارج الذّهن أوسع ممّا تطرحه الاتّجاهات المنطقيّة، فالمنطق الإنساني ربّما لايثبت الواقعيّة لأكثر من الواقع المحدّد بهذا الوجود، بينما القرآن الكريم يؤكّد بأنّ الواقع الذي يمكن للإنسان أن يدركه ويشهده ويتّصل به هو أوسع من الوجود المادّيّ، وهو مايعبّر عنه بعالم الغيب في هذه النشأة والنشأة الأخرى، ومن الآيات التي تعرض هذا الجانب:

«ماكذب الفؤاد مارأى... لقد رأى من آيات ربّه الكبرى»[١٢].

«جنّات عدن التي وعد الرّحمن عباده بالغيب»[١٣].

«الّذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصّلاة»[١٤].

٥ـ في تحديد مصدر المعرفة، أو منشأ الإدراكات، توجد ثلاث نظريّات مهمّة تفسّر منشأ الإدراكات لدى الإنسان، وهي: النظريّة الحسّيّة، ونظريّة الاستذكار الإفلاطونيّة، ونظريّة التجريد الذّهني لأرسطو.

لم تتطرّق الآيات القرآنية إلى مثل هذا البحث المنطقي (في نظريّة المعرفة) من أنّ مصدر نشوء المعرفة الحصوليّة هو الحسّ فقط أو الإستذكار، أو الحسّ والعقل ممّا يجعل من الصّعب استخلاص نظريّة قرآنية بهذا الشأن، ومايؤكّد عليه القرآن من خلال السّمع والبصر والفؤاد، وما استُظهر من الآيات القرآنية بشأن تحديد منشأ الإدراك لدى الإنسان هو تحميل للآيات بأكثر ممّا هي متعرّضة له لأنّ القرآن ـ أساساً ـ لايتعرّض إلى هذه النّقاط العلمية غالباً، فهو كتاب هداية وتربية وصنع للإنسان ومايتطرّق إليه ـ أحياناً ـ متعلّق بهذا الهدف السّامي والرّفيع.

٦ـ يمكن ومن خلال الإستفادة من الآيات القرآنية (بطريق غير مباشر) تحديد بعض المصادر التي يعتبرها القرآن الكريم صحيحة وسليمة في المعرفة إضافة إلى المصادر غير الصّحيحة، فالمصادر الصّحيحة للمعرفة من وجهة نظر قرآنية هي:

أـ المعارف التي تعتمد على الفطرة البشريّة السّليمة الخالية وغير الملوّثة بالأفكار الزّائفة، فللإنسان مدركات فطريّة يعترف بها القرآن الكريم كمصدر سليم من مصادر الإدراك، فأصل الدّين هو أمر مطابق مع الفطرة الإنسانية في تشريعاته وتنظيماته، إضافة إلى جانب الاعتقاد باللّه سبحانه، فهو أمر منسجم مع الفطرة، فالإنسان مدرك للتوحيد بفطرته، فللفطرة مدركات أوّليّة وجدانية صحيحة فيما يختصّ بتوحيد اللّه سبحانه ـ في أقل تقدير ـ ولكنّ الإنسان لايسلم بذلك بعد تلوّثه بالذّنوب وبالأفكار المنحرفة، فهو يولد على الفطرة ـ كما في الحديث الشريف ـ

وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه، فالإنسان يولد على التوحيد، ولكن من خلال المجتمع تتلوّث فطرته السّليمة من خلال الأجواء المحيطة به.

الإنسان مخلوق أُودع نفخة من روح اللّه سبحانه، تستبطن هذه النّفخة العلم والإدراك بوجود اللّه ووحدانيّته، ومن الآيات التي تطرّقت إلى هذه المسألة:

«قالت لهم رسلهم أفي اللّه شكّ فاطر السّماوات والأرض»(١٥).

فكأنّ معرفة اللّه سبحانه مسألة فطريّة، وكلّ شيء يدلّ عليه، وكما يقول الإمام الحسين (ع) في دعائه في يوم عرفة: (متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لاتراك عليها رقيباً).

«وإذا غشيهم موج كالظّلل دعوا اللّه مخلصين له الدّين، فلمّا نجّاهم إلى البرّ فمنهم مقتصد ومايجحد بآياتنا إلاّ كلّ ختّار كفور»(١٦).

وغيرها من الآيات الكريمة التي تتحدّث عن الحالة التي تعتري الإنسان في الأوقات الحرجة، فهو يتوجّه لاشعورياً بفطرته إلى اللّه سبحانه (١٧) كالحالات التي تصيب الإنسان عندما يركب السّفينة وتحيط به الأمواج من كلّ جانب، وكذلك حالات النّزع وفي سكرات الموت **«وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتّى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنّه لا إله إلاّ الّذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين»**(١٨).

ب ـ مانصطلح عليه بالمنهج الاستقرائي للمعرفة، وهو التعرّف على الحقيقة من خلال الملاحظة والتجربة والمشاهدة واستقرار الجزئيّات واستنتاج مايناسبها من حقائق غير ملموسة، وهو المنهج العلمي الذي تبتنى عليه كلّ النّظريّات العلمية والتسمية الصحيحة له في المنهج الاستقرائي، فهذا المنهج يعتبر في نظر القرآن الكريم سليماً وصحيحاً كمصدر للمعرفة، بل فيه حثّ على استخدام هذا المنهج للتعرّف على الحقائق كالإيمان باللّه وتوحيده وبعض صفاته إضافة لبعض أصول الدّين وحتّى الحقائق العلمية المادّيّة، ومن الآيات التي تعرّضت لهذا المنهج:

«إنّ في خلق السّماوات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار لآيات لأولي الألباب، الّذين يذكرون اللّه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكّرون في خلق السّماوات والأرض ربّنا ماخلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النّار»(١٩).

فأيّ إنسان يقف أمام هذه الجزئيّات المستقرَاة يدرك وجود النّظم والإتقان والدّقّة المتناهية في كلّ جزء من أجزاء السّماوات والأرض بحيث انّه لو كان إختلال في ذرّة أو جزيئة لأدّى إلى التخلخل في هذا النّظم، فلا يمكن أن يكون كلّ ذلك الإتقان من غير مدبّر، وهو مايسمّى بدليل النّظم، ويعتبر هذا الدّليل

من أفضل الأدلّة على وجود اللّه سبحانه، وقد أثبت السيّد الشهيد الصّدر (قده) في كتابه الأسس المنطقيّة للاستقراء، ومن خلال الدّليل الاستقرائي إنّ مبنى العلم والإيمان واحد، فالذي يؤمن بأحدهما لا بدّ وأن يؤمن بالآخر، ويعتبر الدّليل الاستقرائي من أيسر المناهج وأوضحها وأكثرها قبولاً عند النّاس، وهو مقبول عند من تلوّثت فطرته بخلاف الدّليل الفطري، فإنّه يتلائم مع صاحب الفطرة السّليمة، ولذلك فقد أكّد القرآن الكريم على هذا الدّليل أكثر من أيّ دليل آخر.

«**ألم تر أنّ اللّه أنزل من السّماء ماءً فأخرجنا به ثمراتٍ مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُددٌ وبيض وحُمْرٌ مختلفٌ ألوانها وغرابيب سود * ومن النّاس والدّوابّ والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنّما يخشى اللّه من عباده العُلماء...**»[٢٠].

فأواخر الآيات جعلت نتيجة للّذي يفتح عينيه على الكون والطّبيعة ويستقرئُ آيات اللّه فإنّه سينتهي إلى الإيمان باللّه، لذلك فإنّ الآيات تؤكّد أنّ أكثر النّاس خشية للّه هم العلماء، ونحن نرى أنّ العلماء في المذاهب والعلوم المختلفة يختلفون عن اتباعهم في كونهم كلّما إزدادوا علماً إزدادوا إيماناً باللّه سبحانه، ويقال بأنّ داروين صاحب كتاب (أصل الأنواع) الذي كان قسّيساً أرسل إليه القساوسة مستفهمين عن صحّة شكّه في اللّه سبحانه بعد نظريّته في التطوّر، فأجاب بأنّه على العكس من ذلك، فإنّه قد ازداد إيماناً لأنّه قد اكتشف المزيد من الدّقّة في الخلق.

«**وفي الأرض آيات للموقنين * وفي انفسكم افلا تبصرون**»[٢١].

«**سَنُريَهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتّى يتبيّنَ لهم انّه الحقّ...**»[٢٢].

جـ ـ المنهج العقلي (القياس)، ويستفاد من إشارات كثيرة في آيات متعدّدة، فالآية الكريمة «**لو كان فيهما آلهة إلاّ اللّه لفسدتا**»[٢٣]، واردة في إثبات الوحدانية ونفي الشّريك، وفيها إستدلال قياس، ففرض وجود إلهين يؤدّي إلى فساد وبطلان وانتفاء الوجود، وهو استدلال عقلي يقول به الفلاسفة[٢٤]، وكذلك الآية الكريمة «**ام خُلقوا من غير شيء ام هم الخالقون**»[٢٥] فهي تثير العقل بالإشارة إلى انّه لا بُدّ لكلّ ممكن من خالق، فهي تستبطن قياساً، فإمّا أن يكونوا قد خلقوا من غير شيء وهو غير معقول، أو يكونوا هم الخالقين، وهو مستحيل، لأنّه يلزم ا لتناقض، عندها سيتعيّن الاحتمال بعد بطلان الاحتمالين الأوّلين فيكونون مخلوقين.

وقوله تعالى «**والّذين يدعون من دون اللّه لايخلقون شيئاً وهم يخلقون**»[٢٦] فالذي يحتاج في خلقه غلى خالق لايمكن ان يخلق غيره.

وقوله تعالى «**وضربَ لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم * قل**

يحييها الّذي انشاها اوّل مرّة وهو بكلّ خلقٍ عليم»[٢٧]، ففي الآية استدلال عقلّي بأنّ الذي يشكّك في البعث والنّشور فإنّ اللّه سبحانه ينبّهه إلى خلقه أوّل مرّة، فمن خَلَقَه أوّل مرّة يمكنه إعادته متى شاء.

وكذلك في قصّة إبراهيم (ع) عندما كسّر الأصنام ثمّ جعل الفأس في رقبة كبيرهم، وحين سُئل إبراهيم (ع) عن الفاعل «**قال بل فعلهُ كبيرهم هذا فاسالوهم إن كانوا ينطقون**»[٢٨]، ففي الآيات إشارة لقومه بأنّ من لاينطق ولايدفع عنه الضّرّ لايستحقّ أن يُتّخذ إلهاً[٢٩].

د- الإدراك بالوحي، ويمثّل مصدراً راقياً وغنيّاً ورفيعاً من حيث الأسلوب والمنهج، وزمامه بيد اللّه سبحانه، والوحي ركيزة في كل الدّيانات، وهو مصدرها، فكلّها نازلة بالوحي، فيوحي اللّه سبحانه إلى العبد الذي يجده مؤهّلاً للإيحاء. ولايختصّ بالأنبياء كالإيحاء إلى مريم، ونحن هنا نريد البحث عن الوحي من الناحية المنطقية (باعتباره مصدراً حقيقياً وسليماً من مصادر الإدراك) لا من الناحية الفلسفية لكي يستلزم شرح ماهيّة الوحي فبحثنا عن مصادر وحقيقة الإدراك وجوهره من الناحية المنطقية فقط.

ومن الآيات التي تطرّقت إلى هذا الجانب «**فأوحى إلى عبده ماأوحى**»[٣٠].

وكذلك «**وَلَئِنْ شِئْنا لنذهبنَّ بالّذي أوحينا إليك**»[٣١]، والآية الكريمة «**والّذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقّ مصدّقاً لما بين يديه**»[٣٢]، والآية «**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك**»[٣٣]، وهذا الوحي امّا أن يكون من وراء حجاب كما في الوحي لموسى (ع) أو عن طريق إرسال رسول كما في الرّسول الأعظم (ص).

هـ - الإدراك بالإلهام، ويسمّيه الفلاسفة والعرفاء بالإشراق فالإنسان قد يصل إلى المعرفة بلا استدلال منطقي فيلقي في روعه فيدرك شيئاً ما إدراكاً صحيحاً، والإلهام مصدر للمعرفة يمكن التعويل عليه.

ويدّعي اكثر الفلاسفة الإسلاميين أنّ المؤمن إذا التزم بتعاليم اللّه سبحانه وجسّد بحقّ كلّ القيم الإلهية تصبح له شفّافيّة وإشراق على حقائق الكون والغيب، فلروح الإنسان القابليّة على هذا الإشراق كلّما تجرّدت من التعلّقات المادّيّة، فهو يدرك بعقله بلا حاجة إلى مروره بمراحل الاستدلال المنطقي، وذلك بارتباطه بعالم الغيب، ويضيفون على ذلك بأنّ الاستدلال المنطقي هو من باب تعليم الأطفال الذي يكونون في غنى عنه عندما يكبرون. فالمعرفة الحصولية هي بمثابة الأوّليّات للطّفل وإنّه إذا ماتدرّج في دراسته العليا فإنّه يكون في غنى وإحاطة لكلّ تلك المسائل ويدرك عند ذلك حقائق لم تكن من الممكن إدراكها في طفولته، وهذا هو حال الإنسان العادي بالنّسبة للإنسان العارف القريب من اللّه سبحانه.

ونحن هنا لاندّعي صحّة كلّ مايقولونه، لكن من المؤكّد أنّ المؤمن إذا إتّقى ربّه حقّ تقاته فإنّه يصل إلى مقامات في القرب والإشراق والإشراف على عالم المادّة، وقدرة الأنبياء والأئمة (ع) جاءت من خلال تجسيد الطّاعة التّامّة للّه سبحانه.

ومن الآيات التي تتطرّق إلى هذه المعاني:

«**فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنّا علما**»[٣٤]، والقرآن لم يقل بأنّه أنزل الوحي على الخضر (ع)، بل هو نوع من الإلهام أو ماسمعناه بالعلم اللّدُني الذي يرتبط فيه الإنسان بعالم الغيب، فالأئمة (ع) إضافة إلى الصّدّيقة الزّهراء (ع) لم يكن ينزل عليهم الوحي، وإنّما كان علمهم لَدُنياً بالإلهام.

«**قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرّسول فنبذتها وكذلك سوّلت لي نفسي**»[٣٥].

فقد حصل للسّامريّ ذلك الإشراق من خلال تلك القبضة، والتي ألقاها في فم العِجْل فأصبح له خوار.

«**وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه**»[٣٦]، فالإيحاء هنا ليس بإرسال الوحي وإنّما بالإلهام، وكذلك الآية الكريمة «**وأوحى ربّك إلى النّحل أن إتّخذي من الجبال بيوتاً...**»[٣٧].

هذا إلى جانب العديد من الآيات التي تؤكّد على وجود الإلهام كمصدر من مصادر المعرفة السّليمة والصّحيحة والتي هي إفاضة شبه طبيعية، وكأنّ كلّ إنسان له القابليّة على الوصول ـ ولو بالقوّة ـ إلى تلك المراتب العالية في مقام الاطّلاع والإشراف على عالم المادّة إضافة إلى بعض حقائق الغيب والتدرّج في سلّم القرب الإلهي حينما يجسّد الطّاعة والعبوديّة الحقيقية للّه سبحانه.

وفي نفس الوقت الذي يشير فيه القرآن الكريم إلى المصادر السّليمة والصّحيحة للمعرفة فإنّه يشخّص المصادر غير السّليمة التي يعتمدها بعض النّاس ويتصوّرونها علماً، وماهي إلّا وهم، وهي:

١ـ تقليد الآباء والأسلاف، فهناك ايات كثيرة تشير إلى هذا المصدر من المصادر غير الصّحيحة للمعرفة، منها «**إنّا وجدنا آباءنا على امّة وإنّا على آثارهم مهتدون**»[٢٨]، وهذه الحالة يتأثّر فيها الإنسان بشكل غريزي وعاطفي تأثّراً بالغاً، ولا بُدّ للإنسان من معاناة كبيرة للتخلّص منها، وهي لاتقتصر على الذين ذكرهم القرآن الكريم من الأمم السابقة، بل هي حالة غريزية متأصّلة في نفس الإنسان ومن الصّعوبة أن يتخلّص منها، فعندما يراجع الإنسان في ثقافته وفكره فإنّه يرى التأثير البالغ لآبائه وأسلافه فيما يعتقده، وقليل من يستطيع التحرّر من هذه الحالة تحرّراً مطلقاً، ودرجات التأثّر متفاوتة، فقد يكون التأثّر بليغاً، وبأمور مرتبطة بأصول الدّين مثلاً كحالة الشّرك، وقد يكون

التأثّر في أمور أقل خطورة كالتّقليد الأعمى والعاطفي واللاّشعوري في الشؤون العامّة والأخلاقية (ولعلّ أهمّ عامل يتمسّك به علماء السّنّة في اتّباعهم وتقديسهم للخلفاء هو التأثّر والتّقليد العاطفي الأعمى لآبائهم وصعوبة تصوّر انحراف هؤلاء عن الحقّ)، ونحن نجد في مجتمعنا من الظّواهر الشّاذّة التي منبعها هو التّقليد للآباء والأسلاف ذلك التّقليد العاطفي اللاّشعوري غير المبني على أساس رصين، فنرى مثلاً تقليد عائلة وعشيرة المرجع له مع أنّ ثبوت الأعلميّة مسألة لاتقليد فيها، فبدلاً من اتّباع الدّليل نرى ظاهرة التّقليد هي الرّائجة والمُحَكّمة في كثير من التصّرفات وبدرجات متفاوتة وبتبريرات مختلفة.

وهذا المصدر هو من أخطر المصادر التي يستقي الإنسان منها معارفه، فكثير ممّا نراه من الانقسامات في المذاهب والاتّجاهات إنّما هو نتيجة لهذا التّقليد الأعمى، ففي الحديث أنّ كلّ مولود يولد على الفطرة وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه، ولهذا نرى التأكيد على عدم التّقليد في أصول الدّين وضرورة الاستدلال عليها كي تكون عقيدة الإنسان مبنيّة على أساس راسخ، متين على براهين العقل والمنطق، لا على التّقليد الأعمى للآباء والأسلاف.

٢ـ إتّباع الحكّام والمستكبرين والأقوياء، فنحن نجد آيات كثيرة تشجب المعتقدات التي يعتقد بها كثير من النّاس على أساس التأثّر بقوّة الأقوياء، فهم يتابعون أشخاصاً يجعلونهم انداداً لله يحبّونهم كحبّ الله كما في الآيات الكريمة «ومن النّاس من يتّخذ من دون الله انداداً يحبّونهم كحبّ الله والّذين آمنوا اشدّ حبّاً لله ولو يرى الّذين ظلموا إذ يرون العذاب أنّ القوّة لله جميعاً وأنّ الله شديد العذاب * إذ تبرّأ الذين اتُّبعُوا من الّذين اتَّبعوا وراوا العذاب وتقطّعت بهم الاسباب * وقال الّذين اتَّبعوا لو أنّ لنا كرّة فنتبرّأ منهم كما تبرّاوا منّا كذلك يريهم الله اعمالهم حسراتٍ وما هم بخارجين من النّار»[٣٩].

فهؤلاء حبّهم للأفراد حبّ الخشية والإطاعة والانقياد لامجرّد الودّ، فهو حبّ الدّاني للعالي، حبّ الخاضع للمخضوع له، فهؤلاء النّاس يبنون معتقداتهم ومدركاتهم على أساس هذه العلاقة بينهم وبين المستكبرين، وقد قيل في وصف خطر هذه الآفة الإجتماعية (إنّ النّاس على دين ملوكهم) فهم يتّخذون القوّة دليلاً على صحّة الزّعم والرّأي الذي يقوله الحاكم والمستكبر، فأكثر الآراء والمعتقدات انتشاراً على مرّ التاريخ هي تلك التي روّجها الحكّام بفرضهم تلك المعتقدات الفاسدة.

فمعاوية استطاع اللّعب بمقدّرات الدّين عن طريق تسلّطه وموقعه القيادي، فأوجب سبّ أمير المؤمنين (ع) على منابر المسلمين وبرّره بمبرّرات واهية انطلت على الكثيرين،

حتّى صار سبّ أمير المؤمنين (ع) سنّة في حكم بني أميّة.

والقرآن الكريم يؤكّد على خطورة هذه الظّاهرة لما لها من آثار اجتماعية وخيمة على المجتمع، واستعرض لنا القرآن قصّة فرعون واستكباره في الأرض وتجبّره حتّى وصل به الأمر أن قال «**لا أريكم إلّا ماأرى**»[٤٠]، فكلّ مايقوله هو الصّحيح، وما عداه هو الباطل، وكلّ المعاجز التي جاء بها موسى (ع) عمّى عليها فرعون وفرض على بني إسرائيل مايراه هو، فمن جانب نرى منتهى الجبروت والطّغيان في فرعون، ومن جانب آخر نرى منتهى الاستضعاف والضّحالة في بني إسرائيل، فمجرّد قبولهم به ربّاً وهو منهم يمثّل قمّة الاستضعاف والاستحقار لهم، هذا إضافة إلى فرض فرعون التحجّر وعدم الإدراك والتعقّل عليهم، فكلّ مايراه هو ماينبغي اتّباعه.

وهناك آيات عديدة تصوّر هذا المصدر غير السّليم من مصادر المعرفة منها:

«**وبرزوا للّه جميعاً فقال الضّعفاء للّذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنّا من عذاب اللّه من شيء**»[٤١]

«**وقالوا ربّنا إنّا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلّونا السّبيلا**» [٤٢].

٣ـ إتّباع الأهواء والشّهوات والآمال العريضة، وهي من آفات المعرفة التي يشجبها القرآن الكريم، فهي تبرّر له باتّباعها وضع فلسفة ومسلك واتّجاه فكري، فالتّهالك على أمور الدّنيا واتّخاذها كلّ شيء في الحياة هو من أهم أسباب الضّياع الذي يعيشه الإنسان إن هو انحرف عن جادّة الحقّ، فالاتجاهات الفكرية المنحرفة الحديثة والقديمة كلّها جاءت نتيجة للتهالك على الدّنيا واتّباع الشّهوات بحيث يتّخذ من تلك الأهواء آلهة ومسلكاً وفلسفة له في الحياة لأنّ الإنسان مفطور على اتّباع معبود له يمثّل كلّ المعاني السّامية التي يتصوّرها، فهو يتّخذ هذه الاتّجاهات لاشباع ذلك الدّافع الفطري والغريزي عنده.

وهناك العديد من الآيات الكريمة التي تستعرض هذه الظّاهرة الخطيرة، منها:

«**أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلًا**»[٤٣].

«**ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون**»[٤٤].

«**بل قلوبهم في غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون * حتّى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون * لاتجاروا اليوم إنّكم منّا لاتنصرون * قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون * مستكبرين به سامراً تهجرون... ولو اتّبع الحقّ اهواءهم لفسدت السّماوات والأرض ومن فيهنّ...**»[٤٥].

بل اتّبع الّذين ظلموا اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضلّ اللّه وما لهم من ناصرين[٤٦].

يسمع آيات اللّه تتلى عليه ثمّ يصّر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم، وإذا علم من آياتنا شيئاً اتّخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين[٤٧].

٤ـ الوساوس الشّيطانية للإنس والجنّ، وتوضّح هذا المصدر غير السّليم من مصادر المعرفة الآيات من سورة الأنعام «**ولو أنّنا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قُبُلاً ماكانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء اللّه ولكنّ أكثرهم يجهلون * وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّا شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربّك مافعلوه فذرهم وما يفترون * ولتصغى إليه أفئدة الّذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون**»[٤٨].

فهذه الآيات توضّح أنّ لكلّ نبيّ عدوّا من شياطين الإنس والجنّ يوحي بعضهم إلى بعض بالهمس مثلاً، كلاماً مزيّناً ومرتّباً ليدحضوا به الحقّ، فكلّ مصلح على مرّ التاريخ نرى تظافر جهود الشّياطين بالإيحاء لبعضهم البعض بضرورة التصدّي للحقّ وبدافع الحفاظ على مصالحهم وتتشكّل على ضوء ذلك نظريّات ومسالك بعضها يدّعي الحقّ، وهي من الظّواهر الخطيرة في المجتمع لما لها من تأثير من خلال تصدّيها للحقّ وادّعائها بأنّها هي الحق. وهذا نحو من التفاعل والتناحر بين الأهواء والغرائز الداخلية في داخل نفس كلّ إنسان من العناصر الخارجية من الجنّ والإنس المدعمين لتلك الأهواء، وإن كانت المشكلة تبدأ بلحاظ كلّ فرد ولكنّه من خلال الظّاهرة الاجتماعية والحياة الجماعية للبشرية سوف تتفاعل وتتطوّر المسألة، فيؤكّد العامل الخارجي العوامل الداخلية في نفس كلّ فرد داخل إطار المجتمع.

وهكذا يتشكّل مجتمع الضّلال والفئات الضّالّة المضلّة للبشرية.

ومن الآيات التي تتعرّض إلى هذا المصدر غير السّليم من مصادر المعرفة:

«**قل أعوذ بربّ النّاس * ملك النّاس * إله النّاس * من شّر الوسواس الخنّاس * الّذي يوسوس في صدور النّاس * من الجنّة والنّاس**»[٤٩].

وهي تشير بوضوح إلى وجود نوعين من القائمين بهذه الوسوسة (الجنّ والإنس).

«**قل أمر ربّي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كلّ مسجد وادعوه مخلصين له الدّين كما بدأكم تعودون * فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضّلالة إنّهم اتّخذوا الشّياطين أولياء من دون اللّه ويحسبون أنّهم مهتدون**»[٥٠].

«**ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشّيطان ماكانوا يعملون**»[٥١].

٥ـ السّحر[*] والشّعوذة، وهي من المصادر التي كانت على مرّ التاريخ موجدة لمعارف واتّجاهات وأفكار منحرفة وضالّة ممّا كان لها الأثر الكبير على الكثير من النّاس ،

فالسّحر لايعتبره القرآن الكريم مصدراً من مصادر المعرفة الصّحيحة؛ لأنّه غير معتمد على الفطرة والعقل والمنطق، وإنّما على قضايا لايفلح صاحبها لكونها ليست مبنيّة إلاّ على أساس الخداع والكيد «**إنّما صنعوا كيد ساحر ولايفلح السّاحر حيث أتى**»(٥٢)، ولقد استغلّ الفراعنة السّحر لأجل اظهار عظمتهم وإلوهيّتهم أمام النّاس الضّعفاء، والقرآن يؤكّد على ضرورة اتّباع الفطرة والعقل والمنطق، ونبذ السّحر باعتباره لايمثّل مصدراً سليماً من مصادر المعرفة، بل هو وهم وخداع، ويدعو الأنبياء النّاس إلى بناء عقائدهم على العقل والمنطق والفطرة، وحتّى المعاجز المادّيّة الخارقة، فإنّها إنّما يأتي بها النّبيّ لهداية الجمهور والعامّة، وإلاّ فالمعجزة الأصليّة لكلّ نبيّ هي حقّانيّة مايطرحه وعدم تنافيه مع الفطرة والعقل والأنبياء وبالخصوص خاتمهم محمّد(ص). فهم لايعتمدون على المعجزة في كسب النّاس لدعياتهم، بل اعتمدوا على حقّانيّتهم، فالرّسول الأعظم (ص) إدّعى حقّانية القرآن واستخدم الطّريق الطّبيعي في إقناعه النّاس، واستخدامه لبعض المعجزات الخارقة كان أمراً استثنائيّاً لمواجهة المعاندين أو ضعاف العقول، أمّا العقلاء أصحاب الفطرة السّليمة فإنّ الأنبياء كانوا يستخدمون معهم الاستدلال العقلي والفطري، ومن خلال تعاليمهم الخالدة العظيمة، بل أعظم معاجز الأنبياء كان هو الاعجاز العقلي المتمثّل في القرآن الكريم، وقد وردت آيات عديدة في شجب الاعتماد على السّحر، على أنّه مصدر من مصادر المعرفة الصّحيحة، منها:

«**فلمّا ألقوا سحروا أعين النّاس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم**»(٥٣).

«**واتّبعوا ماتتلوا الشّياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكنّ الشّياطين كفروا يعلّمون النّاس السّحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت**»(٥٤).

وقد وردت آيات عديدة تؤكّد على أنّ هذا المصدر (السّحر) قد قوبل به بعض الأنبياء عندما كانوا يبرزون معجزة من المعاجز كما قوبل موسى (ع) بأنّه ساحر حتّى أبطل اللّه سبحانه سحر السّحرة المجتمعين واثبت لهم أنّ ذلك لم يكن سحراً، وإنّما معجزة واقعيّة وخرق حقيقي للنّظام الطّبيعي للكون، ومن الآيات:

«**قالوا إنّما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**»(٥٥).

والآية «**وقالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنّا بكلٍّ كافرون**» (٥٦).

٦ـ إتّباع الظّنون والخيالات (المعارف الوهميّة غير الموضوعية)، تبيّن من الآيات الكريمة حال فريق من النّاس وهم المعاندون للأنبياء بأنّهم متّبعون للظّنّ (الظّنّ هنا هو الاصطلاحي، وهو مايقابل اليقين) والخيال، وكلّ مانزل من عند اللّه من الحقّ، فهم يتأثّرون في مدركاتهم بأمور تنشأ من مناشئ غير موضوعية (غير عقليّة) بحيث انّه لو

يحتكم الإنسان إلى العقل والمنطق الصّحيح فلا يمكن أن يجد لها أساساً صحيحاً، وإنّما منشؤها ذاتيّ وواهٍ، كالأُلفة التي تحصل للإنسان بالحياة المادّيّة، فعندما يموت غيره ويراه لايرجع إلى هذه الحياة، فإنّه يبني معتقداً على ذلك بأن يقول ماقاله الدّهريّون وما يهلكنا إلّا الدّهر[٥٧]، ويحاول بهذه المقولة مواجهة قول الأنبياء بالبعث والنّشور، والقرآن وباستدلال بسيط يفنّد إدّعاء هؤلاء ويؤكّد أنّ فكرة المعاد مثلها مثل الكثير من الظّواهر المادّيّة التي نشاهدها كظاهرة إحياء الأرض بعد موتها وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون[٥٨]، هذا إضافة إلى عدم كونه مشرفاً على الوجود والكون كلّه كي يدّعي أنّه لا معاد لهذا الجسم بعد حين.

إنّ كثيراً من المتبنّيات التي يدّعيها أصحاب المذاهب والدّيانات الفاسدة مبنيّة على أسس واهية كالعاطفة والحبّ لشيء والبغض لآخر، يقول السيّد الشهيد الصّدر (قده) في كتاب اقتصادنا في تفسير نشوء نظريّات العامل الواحد في تفسير حركة التاريخ بأنّ عامل التأثّر بالعاطفة كان له الأثر الكبير في صياغة ماركس لنظريّته في الاقتصاد ثمّ في الفلسفة ثمّ في الاجتماع والتاريخ، وذلك من خلال نشأته في الفقر والبؤس ومالاحظه من مظالم الرّأسمالية لطبقة العمّال والفلّاحين، فالأفكار والأوضاع التي يعيشها الإنسان في المجتمع والبيئة التي تحيط به لها الأثر الكبير في الاتّجاهات الفكريّة التي يتّخذها إذا لم يحتكم إلى المنطق والعقل السّليم، والمجتمع الذي يعيش تعقيداً إقتصاديّاً واجتماعيّاً معيّناً يعكس أفكاراً ونظريّات واتّجاهات تنسجم مع وحي ذلك التّعقيد، فمجموعة الآيات تشجب اتّباع الظّنّ باعتباره ليس مصدراً سليماً من مصادر المعرفة لأنّه لا أساس له من العقل والمنطق وإنّما هو خيالات نفسيّة ينشأ بعضها من الأُلفة والعادة وبعضها من الخيالات والأوهام، وبعضها من التأثّر بالحياة الاجتماعية والبيئة، وهي كلّها مناشئ غير موضوعيّة يريد القرآن تهذيبها وجعلها قائمة على العلم والمنطق والمعرفة الحقيقيّة، ومن الآيات:

«**إن يتّبعون إلّا الظّنّ وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدى**»[٥٩].

«**إنّ الذين لايؤمنون بالآخرة ليسمّون الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إنْ يتّبعون إلّا الظّنّ وإنّ الظّنّ لايغني من الحقّ شيئاً**»[٦٠].

«**إن يتّبعون إلّا ظنّا وإنْ هم إلّا يخرصون**»[٦١].

«**وما لهم بذلك من علم إنْ هم إلّا يظنّون**»[٦٢].

«**ومنهم أمّيّون لايعلمون الكتاب إلّا أمانيّ وإنْ هم إلّا يظنّون**»[٦٣].

«**وما يتّبع أكثرهم إلّا ظنّا وإنّ الظّنّ لايغني من الحقّ شيئاً**»[٦٤].

الهوامش:

(١) سورة النّجم/ ٨ـ٩.
(٢) سورة التّحريم/ ٦٦.
(٣) سورة الزّمر/ ٩.
(٤) سورة فاطر/ ٢٠.
(٥) سورة الذّاريات/ ٥٦.
(٦) سورة الأعراف/ ١٧٩.
(٧) سورة الأنبياء/ ٣.
(٨) سورة البقرة/ ١١١.
(٩) سورة الإسراء/ ٣٦.
(١٠) سورة الملك/ ١٠.
(١١) سورة الأنفال/ ٤٢.
(١٢) سورة النّجم/ ١١ و ١٨.
(١٣) سورة مريم/ ٦١.
(١٤) سورة البقرة/ ٣.
(١٥) سورة إبراهيم/ ١٠.
(١٦) سورة لقمان/ ٣٢.
(١٧) يقال بأنّ كاكارين أوّل رائد فضاء خرج من سفينة الفضاء السوفيتية لتطأ قدماه سطح القمر، قد سئل عن أوّل إحساس دهمه حال خروجه من السفينة، فقال: إنّ أوّل إحساس دهمني هو وجود خلاق للكون، فرجوته أن يوفّقني في مهمّتي. فرغم التربية الماركسيّة والحياة المادّيّة التي كان يعيشها والإعلام الهدّام والمكثّف لم تندثر هذه الفطرة، فتفجّرت في تلك اللّحظات الحاسمة بشعور غريزي وفطري بالارتباط بالخالق ومبدع هذا الكون.
(١٨) سورة يونس / ٩٠
(١٩) سورة ال عمران/ ١٩١.
(٢٠) سورة فاطر/ ٢٧ـ٢٨.
(٢١) سورة الذّاريات/ ٢١ـ٢٢.
(٢٢) سورة فصّلت/ ٥٣.
(٢٣) سورة الأنبياء/ ٢٢.
(٢٤) يمكن الإستدلال بهذه الآية على الدّليل الإستقرائي الذي يحثّ القرآن الكريم على اتّباعه، وذلك من خلال الإرادات المتعارضة مع افتراض القدرة والولاية لكلّ إله وهو مايوجب الفساد، فظاهر الآية يشير إلى الدليل العلمي والتعمّق في دلالتها بحملها على الإشارة إلى نفي الشريك يُستفاد منه الدّليل الاستقرائي.

(٢٥) سورة الطّور/ ٣٥.
(٢٦) سورة النّحل/ ٢٠.
(٢٧) سورة يس / ٧٨ـ٧٩.
(٢٨) سورة الأنبياء/ ٦٣.
(٢٩) شبهة الكذب على إبراهيم (ع) مندفعة بأنّه لم يكن في مقام الأخبار حتّى يقال بكذبه، فالصّدق والكذب من لوازم الخبر بينما هو يستهزئ بقومه فالجملة خبريّة في مورد الإستهزاء كما هو حال الجملة الخبريّة التي تستخدم في مقام الإنشاء، فلا يصحّ عند ذلك وصفها بالصّدق او الكذب.
(٣٠) سورة النّجم/ ١٠.
(٣١) سورة الإسراء/ ٨٦.
(٣٢) سورة فاطر/ ٣١.
(٣٣) سورة آل عمران/ ٤٤.
(٣٤) سورة الكهف/ ٦٥.
(٣٥) سورة طه/ ٩٦.
(٣٦) سورة القصص / ٧.
(٣٧) سورة النّحل/ ٦٨.
(٣٨) سورة الزّخرف/ ٢٢.
(٣٩) سورة البقرة/ ١٦٥ـ١٦٧.
(٤٠) سورة غافر/ ٢٩.
(٤١) سورة إبراهيم/ ٢١.
(٤٢) سورة الأحزاب/ ٦٧.
(٤٣) سورة الفرقان/ ٤٣.
(٤٤) سورة الحجر/ ٣.
(٤٥) سورة المؤمنون/ ٦٣ـ٧١.
(٤٦) سورة الرّوم/ ٢٩.
(٤٧) سورة الجاثية/ ٨ـ٩.
(٤٨) سورة الأنعام/ ١١١ـ١١٤.
(٤٩) سورة النّاس / ١ـ٦.
(٥٠) سورة الأعراف/ ٢٩ـ٣٠.
(٥١) سورة الأنعام/ ٤٣.

(*) يمكن إيجاز القول في حقيقة السّحر بأنّه ظاهرة تبرز من خلالها قضايا غريبة عن النّظام المألوف والنّاموس الطّبيعي، ويمكن إرجاعها إلى احد أمرين:

أمّا أن تكون نوعاً من اللّعب السّريع المسمّى بـ (الشّعبدة)، فبخفّة حركة لايلتفت إليها الإنسان يستطيع القائم بهذه الأعمال إيهام المقابل بوقوع بعض الظّواهر دون خضوعها للقوانين الطّبيعية كقانون العلّيّة.

وامّا أن يكون السّحر مرجعه إلى استخدام بعض القوى المجرّدة (غير المادّيّة) كالجنّ والشّياطين والأرواح التي هي قوى مجرّدة فوق المادّة نؤمن بوجودها للنّصوص التي تؤكّد وجودها وتدخّلها في بعض الظّواهر، وتلك القوى أخفّ من المادّة التّرابية (الجوهر المادّيّ العلميّ) الموجود في هذه النّشأة، وهي متّصلة بالمادّة ولها قدرة على التّحرّك والتأثير من خلال عالمها الذي هو أرفع من عالم المادّة وبنحو يخرق ناموس العلّيّة المادّيّة الموجودة في عالم المادّة، فالنّار من طبيعتها الإحراق، والتّفاعلات الموجودة في أجزاء العناصر المادّيّة في الحياة بعضها علّة لبعض ، وبعضها مانع للبعض ، كلّ ذلك وفق نظام مخصوص بهذا العالم وهذه النّشأة.

فلبعض عناصر تلك القوى المجرّدة (حتّى الشّرّيرة منها) وكذا أرواح الموتى (إذا قلنا ببقائها في هذا العالم) تستطيع التدخّل في هذا العالم تدخّلاً مباشراً دون المرور بالقوانين الخاصّة بنشأة هذا العالم كقانون العلّيّة، فيقوم السّاحر باستخدام تلك القوى لإبراز نوع من الأعمال التي تسحر أعين النّاس لابتزاز إدّعاءات باطلة كادّعاء الرّبوبيّة من قبل فرعون وغيره.

(٥٢) سورة طه/ ٦٩.
(٥٣) سورة الاعراف/ ١١٦.
(٥٤) سورة البقرة/ ١٠٢.
(٥٥) سورة الحجر/ ١٥.
(٥٦) سورة القصص / ٤٨.
(٥٧) سورة الجاثية/ ٢٤.
(٥٨) سورة يس / ٣٢.
(٥٩) سورة النّجم/ ٢٣.
(٦٠) سورة النّجم/ ٢٨.
(٦١) سورة يونس / ٦٦.
(٦٢) سورة الجاثية/ ٢٤.
(٦٣) سورة البقرة/ ٧٨.
(٦٤) سورة يونس / ٣٦.

الاستدلال في القرآن

مزيج إسلوبين: الخطابة والبرهان
وإمتاع العقل والنفس معاً

محمد هادي معرفة.

إمتاز القرآن في استدلالاته بالجمع بين اسلوبين متنافيين في شرائطهما، هما: اسلوب الخطابة واسلوب البرهان. ذاك إقناع للعامّة بما يتسالمون به من مقبولات مظنونات وهذا إفهام للخاصّة بما يتصادقون عليه من أوّليّات يقينيّات..

ومن الممتنع عادةً أن يقوم المتكلّم بإجابة ملتمس كلا الفريقين، ليجمع بين الظنّ واليقين في خطاب واحد.. الأمر الذي حقّقه القرآن فعلاً بعجيب بيانه وغريب اسلوبه.

* * *

والبرهان: ماتركب من مقدّمات يقينيّة، سواء أكانت ضروريّة (بديهيّة أو فطريّة) أم كانت نظريّة (منتهية إلى الضروريّات). والقضايا الضروريّة ستّة أنواع:

١ـ الأوليّات. وهي قضايا قياساتها معها. يكفي في الجزم بالحكم مجرّد تصوّر الطرفين، كقولنا: (الكلّ أعظم من الجزء). أو مع تصوّر الواسطة وحضورها في الذّهن، كقولنا: (الأربعة زوج) لأنّه ينقسم إلى متساويين.

٢ـ مشاهدات. هي قضايا محسوسة بالحواسّ الظّاهرة كإضاءة الشمس.

٣ـ وجدانيّات. منشؤها الحسّ الباطني كالإحساس بالخوف والغضب.

٤ـ متواترات. أخبار جماعة يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب والاختلاق

٥ـ مجربّات. يحصل الجزم بالنتيجة على أثر تكرّر المحسوس.

٦ـ حدسيّات. هي سرعة الانتقال من المبادئ إلى المطالب. ويقابلها الفكر، الذي هو حركة الذّهن نحو المبادئ ثم رجوعه إلى المطالب، فلابُدّ فيه من حركتين، على خلاف الحدس، إذ لا حركة فيه. لأنّ الحركة تدريجيّة، والانتقال آني.

* * *

أمّا الخطابة فهي ماتركّب من مقدّمات كانت مقبولة معتقداً بها لأمر سماوي أو لمزيد عقل ودين.

ونظيرها الجدل: المتركّب من قضايا مشهورات تقبّلتها العامّة وخضعت لها أعرافهم ونسجت عليها طبايعهم، فألفوها وأذعنوا بها إذعاناً.

أو قضايا مسلّمات تسلّم بها المخاطبون كأصول مفروضة مسلّم بها.

* * *

والقرآن الكريم قد استفاد في دلائله من كل هذه الأساليب، وفي الأكثر جمع بينها في خطاب مع العامّة يشترك معهم الخواصّ.

هذا غاية في القدرة على الإستدلال وإقامة البرهان..

ولنضرب لذلك أمثلة:

١ـ قال تعالى ـ بصدد نفي آلهة غير الله ـ: **«لو كان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا»** (الأنبياء/٢٢).

هذه الآية ـ بهذا النّمط من الإستدلال ـ في ظاهرها البدائي إحتجاج على أساس الخطابة والإقناع، قياساً على العرف المعهود، أنّ التعدد في مراكز القرار سوف يؤدي إلى فساد الإدارة.. ونظيرها آية أخرى: **«ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله، إذن لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم فوق بعض، سبحان الله عمّا يصفون»** (المؤمنون/٩١).

يقول العلّامة الطّباطبائي: وتقرير الحجّة في الآية، انّه لو فرض للعالم آلهة فوق الواحد، لكانوا مختلفين ذاتا، متباينين حقيقة. وتباين حقايقهم يقضي بتباين تدبيرهم، فتتفاسد التدابير، وتفسد السّماء والأرض..[1].

وهذا النّمط من الإستدلال، طريقة عقلانيّة يتسلّمها العرف العام قياساً على ماألفوه في أعرافهم،

* * *

ولكن إلى جنب هذا، فهو إستدلال برهاني دقيق، قوامه الضّرورة واليقين، وليس مجرّد قياس إقناعي صرف.

ذلك أنّ الآية دلّت العقول على أنّ تعدّد الآلهة، المستجمعة لصفات الألوهيّة الكاملة، يستدعي إمّا عدم وجود شيء على الإطلاق، وذلك هو فساد الأشياء حال الإيجاد.. أو أنّها إذا وجدت وجدت متفاوتة الطّابع متنافرة الجنسيّات، الأمر الذي يقضي بفسادها، إثر وجودها وعدم إمكان البقاء.

وذلك لأنّه لو توجّهت إرادتان مستقلّتان من إلهين مستقلّين ـ في الخلق والتكوين ـ إلى شيء واحد، يريدان خلقه وتكوينه.. فهذا مما يجعله ممتنع الوجود، لإمتناع صدور الواحد إلّا من الواحد، إذ الأثر الواحد لايصدر إلّا ممّا كان واحداً. ولاتتوارد العلّتان على معلول واحد أبداً.

وفرض وجوده عن إرادة أحدهما، مع استوائهما في القدرة والإرادة، فرض ممتنع. لأنّه ترجيح من غير مرجّح، بل ترجّح من غير مرجّح، وهو مستحيل.

ولو توجّهت إرادة أحدهما إلى إحداث

شيء، وأراد الآخر عدم إحداثه! فلو تحقّقت الإرادتان، كان جمعاً بين النّقيضين.. أو غلبت إحداهما الأخرى، فهذا ينافي الكمال المطلق المفروض في الإلهين.. وإلاّ فهو ترجيح من غير مرجّح.

ولو توجّهت إرادة أحدهما إلى إحداث نظام ومخلوق، والآخر إلى نظام ومخلوق غيره.. إذن لذهب كل إله بما خلق.. ولكان هناك نظامان وعالمان مختلفان في الخلق والنّظام، وهذا الإختلاف في البنية والنّظام يستدعي عدم التّآلف والوئام والإنسجام، وسوف يؤدّي ذلك إلى تصادم وأن يطغى أحدهما على الآخر ولعلا بعضهم فوق بعض. الأمر الذي يقضي بالتّماحق والتّفاسد جميعاً..

وكل أولئك باطل بالمشاهدة، إذ نرى العالم قد وجد غير فاسد، وبقى غير فاسد. ونراه بجميع أجزائه، وعلى اختلاف عناصره، وتفاوت أوضاعه، من علوّ وسفل وخير وشرّ، يؤدّي وظيفة جسم واحد، تتعاون أعضاؤه مع بعضها البعض، وكل عضو يؤدّي وظيفته بانتظام، يؤدّي إلى غرض واحد وهدف واحد.. وهذه الوحدة المتماسكة ـ غير المتنافرة ـ في نظام الأفعال. دليل قاطع على الفاعل الواحد المنظّم لها بتدبيره الحكيم، وهو اللّه ربّ العالمين..

وهذا هو البرهان القائم على قضايا يقينيّة في بديهة العقل.

وقال تعالى ـ بصدد نفي المثل ـ: «**ليس كمثله شيء**» (الشّورى/١١).

جاءت الدّعوى مشفوعة ببرهان الامتناع. على طريقة الرّمز إلى كبرى القياس.

ذلك أنّ (المثل) المضاف إليه تعالى. رمز إلى الكمال المطلق، أي الذي بلغ النّهاية في الكمال في جميع أوصافه ونعوته. الذي هو مقتضي الألوهيّة والرّبوبيّة المطلقة. لأنّك إذا حقّقت معنى الألوهيّة فقد حقّقت معنى التقدّم على كلّ شيء والمسيطر على كل شيء «فاطر السّماوات والأرض»[٢]. «له مقاليد السّماوات والأرض»[٣].

إذن فلو ذهبت تفترض الاثنينيّة في هذا المجال، وفرضت إثنين يشتركان في هذه الصّفات التي هي غايات لجميع الأوصاف والنّعوت، فقد نقضت وتناقضت في افتراضك.. ذلك أنّك فرضت من كل منهما تقدّماً وتأخّراً في نفس الوقت، وإنّ كلّاً منهما مُنشِئاً ومُنشَئاً. ومستعلى ومستعلى عليه.. إذ النّقطة النهائيّة من الكمال، لاتحتمل اثنين، لأنّ النّقطة الواحدة لاتنحلّ إلى نقطتين.. وإلّا فقد أحلت الكمال المطلق إلى كمال مقيّد في الطرفين.. إذ تجعل كل واحد منهما بالإضافة إلى صاحبه ليس سابقاً ولا مستعلياً.. فأنّى يكون كلّ منهما إلهاً.. ولله المثل الأعلى..؟!.

ويرجع تقرير الإستدلال إلى البيان التّالي:

إنّ الإله هو ما إستجمع فيه صفات الكمال وبلغ النّهاية في الكمال..

ومثل هذا الوصف (مجمع الكمال) لايقبل تعدّداً لا خارجاً ولا وهماً.

إذن فلا تعدّد في الآله، وليس له فردان متماثلان.

وهذا من أروع الاستدلال على نفي المثيل.

وكلمة (المثل) هذه، تكون إشارة إلى ماحواه المثيل من صفات وسمات خاصّة تجعله اهلاً لهذا النّعت (إيجاباً أو سلباً) في القضية المحكوم بها.

مثلاً لو قيل ـ خطاباً لشخصيّة بارزة ـ: (أنت لاتبخل) كان ذلك دعوى بلا برهان. أمّا لو قيل له: (مثلك لايبخل) فقد قرنت الدّعوى بحجّتها.. إذ تلك خصائصه ومميّزاته هي التي لاتدعه أن يبخل، فكأنّك قلت: (إنّك لاتبخل، لأنّك حامل في طيّك صفات ونعوتاً تمنعك من البُخل).

وهكذا جاءت الآية الكريمة:

إنّ من كان على أوصاف الألوهيّة الكاملة، فإنّ هذا الكمال والإستجماع لصفات الكمال، هو الذي يجعل وجود المثيل له ممتنعاً.. (بالبيان المتقدّم).

وعليه، فليست الكاف زائدة، كما زعم البعض. لأنّ المثل ـ على مفروض البيان ـ إشارة إلى تلك الصّفات والسّمات التي تحملها الذّات المقدّسة.. ولم يكن المراد من المثل التشبيه، فهو بمنزلة (هو) محضاً.

فكان المعنى: ليس يُشبه مثلَه تعالى شيء، أي ليس يشبهه في كمال أوصافه ونعوته شيء.

قال الأستاذ درّاز: الآية لاترمي نفي الشّبيه له تعالى فحسب، إذ كان يكفي لذلك أن يقول: (ليس كاللّه شيء) أو (ليس مثله شيء). بل ترمي وراء ذلك دعم النّفي بما يصلح دليلاً على الدّعوى والإنعات إلى وجه حجّة هذا الكلام وطريق برهانه العقلي. ألا ترى أنّك إذا أردت أن تنفي نقيصة عن إنسان، فقلت: (فلان لايكذب) أو (لايبخل) كان كلامك هذا مجرّد دعوى لا دليل عليها. أمّا إذا زدت كلمة المثل وقلت: (مثل فلان لايكذب) أو (لايبخل) فكأنّك دعمت كلامك بحجّة وبرهان، إذ مَنْ كان على صفاته وشيمه الكريمة لايكون كذلك. لأنّ وجود هذه الصّفات والنّعوت ممّا تمنع الإستفسال إلى رذائل الأخلاق. وهذا منهج حكيم وضع عليه اسلوب كلامه تعالى. وأنّ مثله تعالى ذا الكبرياء والعظمة لايمكن أن يكون له شبيه أو أنّ الوجود لايتّسع لاثنين من جنسه..[٤].

فقد جيء بأحد لفظي التّشبيه ركناً في الدّعوى، وبالآخر دعامة لها وبرهاناً عليها. وهذا من جميل الكلام وبديع البيان، ومن **الوجيز الوافي**

وقال تعالى ـ بصدد بيان لانهائية فيوضه عزّت آلاؤه ـ: «**ولو أنّ مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات اللّه**» (لقمان/٢٧).

هذه مقارنة بين المحدود واللّامحدود، وأنّ المحدود مهما بلغ عدده وتضخّم حجمه، فإنّه لايُقاس بغير المحدود.. إذ ذاك ينتهي وهذا لاينتهي، ولا مناسبة بين ماينتهي إلى أمد مهما طال أو قصر، وما يمتدّ إلى مالا نهاية أبداً..

والكلمة ـ في هذه الآية ـ يُراد بها الوجود المفاض بأمره تعالى، المتحقّق بقوله: (**كن**)

قال تعالى: «**إنّما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**» (يس/ ٨٢).

وكلّ موجود ـ في عالم الخلق، وهو ماسوى اللّه ـ فهو كلمته تعالى. كما أطلق على المسيح ـ عليه السلام ـ كلمة اللّه. **وكلمته ألقاها إلى مريم**» (النّساء/١٧١)[٥].

والمعنى: أنّه لو جعلت الأشجار أقلاماً والأبحر مداداً، ليكتب بها كلمات اللّه، لنفدت الأقلام والمداد، قبل أن تنفد كلمات اللّه، لأنّها غير متناهية.. وذلك لأنّ كلماته تعالى إفاضات، ولاينتهي فيضه تعالى إلى أمد محدود أبداً..

* * *

وقال تعالى ـ ردّا على احتجاج اليهود ـ: «**و إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل اللّه قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحقّ مصدّقاً لما معهم**» (البقرة/ ٩١).

إمتنعت اليهود من اعتناق الإسلام، بحجّة أنّهم على طريقة نبيّهم موسى ـ عليه السلام ـ وعلى شريعته. ولذلك لايمكنهم إتّخاذ سيرة أخرى والإيمان بشريعة سواها.

هذا اعتذار زعمت اليهود وجاهته في منابذة الإسلام.. وقد فنّد القرآن هذا التذرّع الكاسد والاحتجاج الفاسد.

إذ لا منافرة بين الشّريعتين ولا منافاة بين الطّريقين، والكلّ يهدف مرمى واحداً، ويرمى هدفاً واحداً.. وقد جاء الأنبياء جميعاً لينيروا الدّرب إلى صراط اللّه المستقيم، صراطاً واحداً وهدفاً واحداً، لا تنافر ولا تنافي ولا تعدّد ولا اختلاف.

والدّليل على ذلك أنّ هذا القرآن يصدّق بأنبياء سالفين وبشرائعهم وكتبهم ومابلّغوا من رسالات اللّه.. ولو كان هناك تناف وتنافر لما صحّ هذا التّصديق.

وقد جاء هذا التّصديق بلفظة (مصدّقاً لما بين يديه) في ثمانية مواضع من القرآن (البقرة/ ٩٧. وآل عمران/ ٣. والمائدة/ ٤٧ و ٤٨، والأنعام/ ٩٢، وفاطر/ ٣١ والأحقاف/ ٣٠).

وبلفظة (مصدّقاً لما معهم) في موضعين (البقرة/ ٨٩ و١٠١).

وبلفظة (مصدّقاً لما معكم) في أربعة مواضع (البقرة/ ٤١ و٩١. وآل عمران/ ٨١. والنّساء/ ٤٧).

ومن ثمّ قال: «**إنّ الدّين عند اللّه الإسلام. وما اختلف الّذين أوتوا الكتاب إلّا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم**..».

«**فإن حاجّوك فقل اسلمت وجهي للّه ومن اتّبعن**..».

«**وقل للّذين اوتوا الكتاب والاميّين: ءاسلمتم؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا. وإن تولّوا فإنّما عليك البلاغ. واللّه بصير بالعباد**» (آل عمران/ ٢٠).

* * *

وفي الآية ومايتعقّبها نكات وظرف دقيقة:

منها: قوله: (مصدّقاً لما معهم) أو (مصدّقاً لما معكم) ـ في آية أخرى ـ وهذا تنويه بأنّ المتبقّي من التّوراة ليس كلّها وإنّما هو

بعضهـا.. لكنّه لم يقل: (لما بقى من التّوراة عندكم) وعبّر بما معكم.. لئلا يتنبّه اليهود إلى ذريعـة أخـرى لعلّهم يتذرّعون بها.. هو أنّ المنـافـرة إنّما كانت بين القرآن وماذهب من التّوراة.. فيجادلون الإسلام بهذه الطّريقة.. وهي طريقـة أخذ ماتسالم الخصم دليلاً عليه..

ولم يقل: (مصدّقاً بالتّوراة عندكم).. لأنّه حينذاك كان اعترافاً بأنّ الموجود هو تمامها لا بعضها..

فأتى بمـا لايمكّنهم المخاصمة جدلاً، ولا كان إعترافاً بصدق ماعندهم انّه توراة كلّه.. وهذا من دقيق التّعبير الذي خصّ به القرآن الكريم..

وأيضـاً في التعقيب بقـوله: (فلم تقتلون أنبياء اللّه ـ٩١) نسبة القتل إليهم بالذّات، لأنّهم رضوا بفعل آبائهم ومشوا على طريقتهم ولو قال: فلم قتل آباؤكم..؛ لكان فيه حديث أخذ الجار بذنب الجار.. وكان أشبه بمحاجة الذئب، عدا على جمل صغير، بحجّة أنّ اباه قد عكّر الماء عليه في قناة كان يشرب منها..[٦].

إقناع العقل و إمتاع النّفس:

ميـزة أخـرى في احتجاجات القرآن، هو حينمـا يحـاول إخضـاع العقـل، ببراهينه المتينـة، تراه لايتغـافـل عن امتـاع النّفس بلطائف كلامه الظّريفة، ورقائق بيانه العذبة السّـائغـة جامعاً بين أناقة التّعبير وفخامة المـحتـوى، سهـلاً سلسـاً يستلذه الذّوق ويستطيبه الطّبع، عذباً فراتاً لذّةً للشّاربين.

إنّ للنّفس الإنسـانيّة جهتين: جهة تفكير يكـون مركـزه العقل، وجهة إحساس يكون مركـزه وجـدان الضّمـير، وحاجة كلّ واحدة منهما غير حاجة أختها. فأمّا إحداهما فإنّها تنقّب عن الحقّ لمعرفته أوّلاً، وللعمل به ثانياً. وأمّـا الأخـرى فإنّـهـا تحـاول تسجيـل أحاسيسها بما في الأشياء من لذّة وألم، ومتعة وغذاء للنّفس.

والبيان التّام هو الذي يوفّي لك للحاجتين جميعاً، ويطير بنفسك بكلا الجناحين. فيؤتيها حظّها من الفائدة العقليّة، إلى جنب إيفائها متعة الوجدان وإشباع غريزتها في عواطف الإحساس.

أمّـا الحكماء فإنّما يؤدّون إليك ثمار عقـولهم غذاءاً لعقلك، ولايهمّهم جانب استهواء نفسك ونهم عاطفتـك، يقـدّمـون حقـايق المعـارف والعلوم، لايـأبهون لما فيها من جفاف وعري ونبوّ عن الطّباع.

وأمّـا الشّعـراء فانّمـا يسعون إلى استثارة وجدانك وتهييج عواطفك وأحاسيسك، وإمتـاع سمعك وضميرك، فلا يبالون بما صوّروه لك أن يكون غيّاً أو رشداً، وأن يكون حقيقةً أو تخيّلاً، فتراهم جادّين وهم هازلون، يستبكون وإن كانـوا لايبكـون، ويُـطربـون وإن كانـوا لايَـطربون «**والشّعراء يتبعهم الغاوون ألم تَرَ أنّهم في كلّ وادٍ يهيمـون وانّهم يقـولون مالايفعلون**»[٧].

وكلّ إنسان حينما يفكّر فإنّما هو فيلسوف، وكـل إنسان حينما يحسّ فإنّما هو شاعر.. ولاتتكافأ القوّتان: قوّة التّفكير وقوّة الوجدان.. وكـذا سائر القوى النّفسيّة على سواء.. ولو

مالت هذه القوى إلى شيء من التّعادل عند قليل من النّاس، فإنّها لاتعمل في النّفس دفعةً وبنسبة واحدة.. بل متناوبة في حال بعد حال، وكلّما تسلّطت قوّة إضمحلّت أخرى وكاد ينمحي أثرها.. فالذي ينهمكُ في التّفكير تتناقص قوّة وجدانه، والذي يسعى وراء لذائذه، عند ذاك تضعف قوّة تفكيره.. وهكذا لاتقصد النّفس إلى هاتين الغايتين قصداً واحداً أبداً. ماجعل اللّه لرجل من قلبين في جوفه[8].

وكيف تطمح أن يهب لك إنسان مثلك، هاتين الطّلبتين على سواء، وهو لم يجمعهما في نفسه على سواء، وماكلام المتكلّم إلاّ إنعكاس الحالة الغالبة عليه، (وكلّ إناء بالّذي فيه ينضح). «**قل كلّ يعمل على شاكلته**»[9] وفاقد الشيء لايستطيع أن يمنحك به.

هذا مقياس يمكنك أن تتبيّن فيه ما لكلّ لسان وما لكلّ قلم من قوّة غالبة عليه، حينما ينطق وحينما يكتب. فإذا رأيته يتجه إلى حقيقة فرغ له بعدما قضى وطره ممّا مضى.. عرفت بذلك أنّه يضرب بوترين، ويتعاقب على نفسه الشّعور والتّفكير تعاقب اللّيل والنّهار لايجتمعان.

وأمّا أنّ اسلوباً واحداً يتّجه اتجاهاً واحداً، ويستهدف هدفاً واحداً، ويرمي إلى غرض واحد، ولكنّه مع ذلك قد جمع لك بين الطريقتين: إقناع عقلك وإمتاع نفسك معاً، وفي آن واحد وفي كلام واحد.. كما يحمل العنصر الواحد من الشّجرة الواحدة، أوراقاً وأثماراً، أنواراً وأزهاراً، معاً، أو كمايجري الرّوح في الجسد والماء في العود الأخضر.. فذلك ما لاتظفر به في كلام بشر على الإطلاق، ولا هو من سنن اللّه في النّفس الإنسانية.. «**ماجعل اللّه لرجل من قلبين في جوفه**»[10].

فمن أين لك بكلام واحد وبيان واحد واسلوب واحد، يفيض عليك من الحقيقة البرهانيّة والدّلائل العقلانيّة، بما يرضي أولئك الفلاسفة الحكماء، والمتعمّقين النّبلاء، ويرضخ بعقولهم الجبارة..

وإلى جانب ذلك ـ وفي نفس الوقت ـ يضفي عليه من المتعة الوجدانيّة والعذوبة والحلاوة والطّلاوة، مايسدّ نهم هؤلاء الشّعراء المرحين وأصحاب الأذواق الرّقيقة الفكهين..

ذلك هو اللّه ربّ العالمين، الذي لايشغله شأن عن شأن، القادر على أن يخاطب العقل والقلب معاً بلسان واحد، وأن يمزج الحقّ والجمال جميعاً، يلتقيان ولايبغيان.. فيستخرج منهما اللّؤلؤ والمرجان.. ويسقيك من هذا وذاك شراباً طهوراً، عذباً فراتاً، سائغاً لذّةً للشّاربين.

هذا هو الذي تجده في كتاب اللّه الكريم، حيثما توجّهت وأينما تولّيت بوجهك.. إنّه في فسحة قصصه وأخباره عن الماضين لاينسى حق العقل من حكم وعبر.. وأنّه في مزدحم براهينه ودلائله، لايغفل حظّ القلب من رغبة ورهبة وشوق ورجاء.. يبّث ذلك بوفرة شاملة، في جميع آياته وبيّناته، في مطالعها ومقاطعها وتضاعيفها، الأمر الذي «**تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر اللّه**»[11]. «**وإنّه لقول فصل وما هو**

بالهزل»[١٢].

«صدق اللّه العليّ العظيم»».

الهوامش:

(١) الميزان ج١٧ ص ٢٦٧ ط. بيروت.
(٢) الأنعام: ١٤.
(٣) الزّمر: ٦٣.
(٤) راجع: النبأ العظيم/ ص ١٢٨.
(٥) راجع: الميزان ج١٦ ص ٢٤٥.
(٦) راجع: النبأ العظيم ص ١١٧.
(٧) الشعراء: ٢٢٤.
(٨) الأحزاب: ٤.
(٩) الأسراء: ٨٤.
(١٠) الأحزاب: ٤.
(١١) الزّمر: ٢٣.
(١٢) الطّارق: ١٤.

مُستقبل المجتمع الإنساني على ضوءِ القرآنِ الكريم

الشيخ محمد علي التسخيري

للقرآن الكريم تصوّره الواضح عن مستقبل الوجود الإنساني، وله أساليبه المختلفة لتركيز هذا التصوّر في ذهن الإنسان المسلم، كما أنّ له تخطيطه الأصيل في دفع البشريّة نحو تحقيق هذا التصوّر وتجسيده واقعاً حيّاً.

ولكن قبل الدّخول في صميم الموضوع لا بُدّ من كلمتين تمهّدان لنا السّبيل:

الأولى: نقولها ردّاً على تساؤلات وجدت من يطرحها إمّا تعمُّداً وإمّا انجراراً واتّباعاً للشّبهة، وهي تقول: أليس البحث عن تصوّر كامل للمستقبل يعدّ من ترف القول ومن الانسياق الطّوبائي نحو عالم مجهول؟ ولماذا نتوقّع من القرآن بالخصوص أن يعطينا هذا التصوّر ونحن نعلم أنّ القرآن كتاب هداية وآيدلوجيّة عمليّة للحياة.. وليس كتاباً علميّاً مدرسيّاً. يحدّثنا عن قوانين الكون ويكشف لنا مغاليق الأسرار، تماماً كما تفعل الكتب العلميّة في الفيزياء وعلم النّفس والبيولوجيا؟ إنّ القرآن لايصادر مجالات الإبداع الإنساني، ويطرح نفسه بديلاً عن هذا الإبداع. ويضيف هؤلاء بأنّ القرآن لو كان كتاباً علميّاً لإختصّ بمجموعة من العلماء والفلاسفة ولم يعدّ كتاب هداية. إذاً فنحن لانتوقّع من القرآن حديثاً عن المستقبل الإنساني وما يتطلّبه هذا الحديث من كشفٍ لقوانين الحياة الاجتماعية وسنن التاريخ الجارية. ونقول في جواب هؤلاء المتسائلين: إنّنا لولا الحقائق التّالية لأدركنا أنّ هذه العمليّة الكاشفة لما كانت تتعلّق بالسّاحة التاريخية، فإنّها تكاد تكون من أهم الخطوات المحقّقة للهدف الآيديولوجي العادي للبشريّة، وإنّ الكشف عن هذه الحقيقة العلمية هنا له دوره الأكبر في تحقيق الهدف الإنساني الأقصى بلا ريب. وهذه الحقائق باختصار هي:

أوّلاً: وجود التّرابط المنطقي الطّبيعي بين نظرة الفرد والأمّة إلى الكون والحياة والإنسان وبين نوع الأيديولوجيا العمليّة التي تحكم سلوكه وسلوكها. أمّا محاولات إنكار هذا التّرابط فما هي إلّا شبهاتٌ لاغير.

ثانياً: إنّ القرآن الكريم إذ يتصوّر مستقبل الإنسان، فإنّه يعمل على أن يحقّقه الإنسان بإرادته وفكره لا عن كراهة وانغمار في موجة الجبر التاريخي، بل إنّما باعتباره المصير الطّبيعي للمسيرة الفطريّة.

ثالثاً: إنّ تصوّر المستقبل الإنساني الأكمل والإنشداد إليه بفعل وجود الميول الطّبيعية الفطريّة للكمال والمعرفة لهما أثرهما المهم في اندفاع الإنسان نحو تحقيقه.. إنّ السّاحة التاريخية الإنسانية هي السّاحة الوحيدة التي يؤثّر فيها التنبّؤ العلمي بالحادثة والظّاهرة المستقبلية في تحقيق هذه الظّاهرة نفسها. وأخيراً يجب أن نلاحظ أنّ قضيّة المستقبل الإنساني ليست ممّا يختصّ به إنسان أو يتخصّص له آخر، بل الحديث عنها حديث للمجمع.

فالقرآن على هذا لايصادر إبداع الإنسان بل يفجّره في مجال صنع هذا المستقبل وعبر إعطائه النّظرة الكونية الشّاملة بما فيها صورته عن المستقبل، وعبر دفعه لصنعه بكلّ اختيار وإرادة مؤثّراً بتنبّئه على سير الإنسان نحوه.

والكلمة الثّانية: تدور حول بعض التصوّرات الإنسانية لمستقبل الإنسانية نفسها، ولكن قبل عرض هذا البعض نودّ أن نؤكّد على أنّها لاتعدو كونها تنبّؤات وأحلاماً لا كاشف علمياً لها، بل قد لايستطيع الدّليل العلمي بمعناه الدّقيق المصطلح (أي الدّليل التّجريبي) أن يكشف لنا عن مثل هذا القانون والقوانين التي ترسم لنا المستقبل بوضوح. أمّا القرآن الكريم فباعتباره كلام خالق الكون والحاضر لديه كلّ المخلوقات والقوانين **«ومايعزب عن ربّك من مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين»** (يونس/ ٦١).

القرآن يمتلك مطلق الحقّ في الحديث عن ذلك، ولك أن تتابع الأدلّة التي تسوقها الرّأسماليّة والماركسيّة لتصوّرها المستقبلي ليتوضّح لديك ماقلناه بالفعل، وعلى أيّ فإنّ الرّأسماليّة عندما اشتدّت صورتها تصوّرت الجنّة الإنسانية الموعودة في مجتمع تسوده الحرّيّات الفرديّة الكاملة سواء السّياسيّة منها أو الاقتصاديّة أو الشّخصيّة أو الفكريّة، وبنت ذلك على أساس من التصوّر الأوماني للمجتمع والأيديولوجية اللّيبرالية ـ وهي الأساس الفكري لكلّ الرّأسماليّة ـ مدّعية أنّها بذلك قد أشبعت طموحات الإنسان بهذا التصّرف، وإنّ الإنسانية لا بُدّ سائرة نحو بناء مجتمع الجنّة الرّاسمالية. ولكنّ الواقع كذّب هذا التصوّر أيّما تكذيب، وكشف عن عقبات كثيرة أمامه، ونتائج فظيعة له، الأمر الذي دفع الكثير من المجتمعات للارتماء في أحضان النّظام المقابل للرّأسماليّة، وهو النّظام الاشتراكي الماركسي لا حُبّاً فيه ـ في كثير من الأحيان ـ بل تخلّصاً من الرّأسماليّة

وويلاتها.

أمّا التصوّر الماركسي للمستقبل فهو أبعد خيالاً. إذ يصوّر القمّة العليا للمجتمع الإنساني في شكل مجتمع تفنى فيه أكثر الغرائز الإنسانية أصالة (وهي غريزة حبّ الذّات). وحينئذٍ فلا داعي للدّولة ولا داعي لتوابعها بل النّاس يتحرّكون بشكل طبيعي نحو المصلحة الاجتماعية دون أن يفكّروا بالمصلحة الشّخصيّة أو يعرفوا لها معنى في قاموسهم النّفسي. ولكن قبل الوصول إلى هذا المجتمع يجب أن تمرّ البشريّة بمرحلة ستار حديدي تذوب فيه الحرّيّات، وتقتلع فيه من النّفوس كلّ الرّواسب الرّأسماليّة.

ويكفي في ردّ هذا التصوّر أنّه يستبطن مخالفة لأعمق أصالةٍ فطريّة في الإنسان، وأنّ الواقع الإنساني الذي نعيشه أو ندرسه يوضّح بطلان هذا التصوّر، وإنّه لايملك أيّ دليل علمي يثبته. ذلك، أنّ أساسه قائم على نظريّة المادّيّة التاريخية، وهي نظرية أوهتها حتّى مقاييسها هي، فالتّجربة أثبتت البطلان، والتاريخ يكذب هذه القولة الاقتصاديّة إضافة إلى الأدلّة الفلسفية القاطعة على بطلان المذهب المادّيّ نفسه عموماً.

القرآن والمستقبل

بعد هذا فلنعرف تصوّر القرآن عن المستقبل الإنساني عبر قراءة الآيات الشريفة التي تشير إلى هذا المستقبل، ومنها الآية الشريفة:

«وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الّذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الّذي ارتضى لهم وليبدّلنّهم من بعد خوفهم امناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون» (النّور: ٥٥).

والآية الشريفة:

«ونريد أن نمنّ على الّذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون» (القصص: ٥، ٦).

فالآية وإن كانت تتحدّث عن حادثة تاريخية، لكنّها بملاحظة قرينة لحنها والرّوايات الواردة فيها تعطي حقيقة عامّة.

والآية الشريفة:

« إنّ الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبةُ للمتّقين» (الأعراف: ١٢٨).

وعبر الجمع بين الآية القرآنية الشريفة **«قل ياايّها النّاس إنّي رسول الله إليكم جميعاً»** (الأعراف: ١٥٨)، وآيات انتصار الدّين على غيره وهي توحي بشيءٍ من الصّورة المستقبلية للقرآن بالإضافة إلى تصدّيها لبيان هدف الرّسالة.

و **«وهو الّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه ولو كره المشركون»** (التّوبة: ٣٣) و (الصّف: ٩).

و **«هو الّذي ارسل رسوله بالهدى**

ودين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه وكفى باللّه شهيداً» (الفتح: ٢٨).

ومنها الآية الشريفة «**فأقم وجهك للدّين حنيفا فطرة اللّه التّي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق اللّه ذلك الدّين القيّم**» (الرّوم: ٣٠).

ومن خلال آيات أخرى ترتبط بهذا المجال، نعرف أنّ الصّورة المستقبلية القرآنية يمكن تلخيصها بما يلي:

قيام الحكومة العالمية الواحدة التي يقودها المؤمنون الصّالحون الذين مكّن اللّه لهم دينهم في الأرض ، وانتشرت راياته على ربوعها، والذين ينطلقون في بناء المجتمع العابد الموحّد الذي لايلوّثه شرك أو كفر أو طاغوت أو خوف، ذلك المجتمع الذي يسوده عدل الإسلام، وتغمره بركات اللّه تعالى، المجتمع الفطري السّائر في سبيله الطّبيعي، الكادح إلى ربّه كدحاً، وعبر قيمومة الدّين وهداية الوحي.

فالأرض كلّها حكم واحد يقوده الصّالحون، والدّين فيه هو القيّم، والفطرة فيه هي المتجلّية، والمعايير هي معايير دين الفطرة، والعبادة للّه هي أجلّ مظاهر الفطرة، والتنافس في السّير إلى اللّه تعالى يدفع الرّكب حثيثاً نحو مراقي الكمال. ومن الطّبيعي بعد هذا أن يكون الرّخاء المادّيّ في اقصاه، لأنّ سبب المشكلة الإقتصاديّة في تصوّر القرآن هو الظّلم في التّوزيع، وكفران النّعمة في الإنتاج. وإذ ينتفيان تنهلّ نعم اللّه. يقول تعالى: «**وآتاكم من كلّ ماسألتموه وإن تعدّوا نعمة اللّه لاتحصوها إنّ الإنسان لظلوم كفّار**» (إبراهيم: ٣٤).

هذه هي خلاصة الصّورة التي يقدّمها القرآن عن المستقبل العامّ، ثمّ يعمل على تركيزها في التصوّر بأساليب مختلفة.

ومن المناسب هنا أن نشير إلى الأحاديث الكثيرة الواردة في الإمام المهدي عليه السلام ودولته، وأنّه سيحكم الأرض ويغمرها عدلاً ويطهّرها من الظّلم والجور والفتك، ويحقق مضمون الآيات الكريمة حيث يكون الدّين كلّه للّه، فيتحكّم الإسلام في كلّ مرافق الحياة.

أساليب القرآن في تاكيد هذه الصّورة المستقبلية

والواقع أنّ هذه الأساليب كثيرة وينبغي أن ندرك مغزاها بعد أن نأخذ بعين الاعتبار ماقلناه من الجوانب الإجمالية للصّورة المستقبلية، ومنها:

أوّلاً: التركيز القرآني على لزوم أن تؤتي المسيرة الإنسانية ثمارها، وانّها لم تخلق عبثاً وباطلاً، وأنّ هدف الخلق لا بُدّ متحقّق، وهو العبادة والعبوديّة الشّاملة ـ وهي ناظرة إلى الدّنيا قبل الآخرة ـ وأنّ الأصلح هو الباقي في الأرض. يقول تعالى: «**فما زالت تلك دعواهم حتّى جعلناهم حصيداً خامدين * وماخلقنا السّماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو اردنا ان نتّخذ لهواً لإتّخذناه من لدنّا إنْ كنّا فاعلين * بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل ممّا تصفون * وله من في السّماوات**

والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون» (الأنبياء من ١٥ـ١٩).

والظّاهر أنّها تتحدّث عن فناء الباطل في هذه الدّنيا فتذكر إحدى السّنن التاريخية، وكيف أنّ الانحراف يؤول إلى الفناء في النّهاية، وانّ الهدف الإلهي سيتحقّق في الأرض. وهنالك آيات أخر تؤكّد هذا المعنى: منها قوله تعالى: « **كذلك يضرب اللّه الحقّ والباطل فأمّا الزّبد فيذهب جفاءً وأمّا ماينفع النّاس فيمكث في الأرض كذلك يضرب اللّه الأمثال»** (الرّعد: ١٧).

ثانياً: التأكيد القرآني على إعطاء المجتمع الإنساني والأمم حياةً لها كلّ **خصائص الحياة الانسانيّة، فلها أجل وكتاب** واضمحلال، ولها سنن تسلك بها إلى التكامل، وعلى أنّ الفطرة هي العامل المشترك **بين أفراد الإنسان، وبالتالي فهي العامل الذي** يترك أكبر الأثر في المسيرة، والذي لايحذف بتاتا من حياة الإنسان، رغم محاولات تشويهه وإخفائه «**فطرت اللّه الّتي فطر النّاس عليها لاتبديل لخلق اللّه**» (الرّوم: ٣٠)، كلّ ذلك بشكل لايفقد معه الإنسان إرادته كما يفقدها أمام القوانين الطّبيعية وإنّما تشكّل هذه السّنن أرضيةً مساعدةً لإتّجاه الارادة الإنسانية نحو صنع المستقبل الأفضل، أو فلنعبّر بأنّ الإرادة الإنسانية تحفّز نحو تحقيق موضوع القانون التاريخي الذي يصنع الأفضل (إنّ اللّه لايغيّر مابقوم حتّى يغيّروا مابأنفسهم) فبإرادة النّاس يبدأ التغيير المطلوب.

ثالثاً: يؤكّد القرآن الكريم أنّ الكون بني على الحقّ والعدل والهدفيّة الدّقيقة، وأنّ أيّة حركة باتّجاه الحقّ والعدل ستحظى بمعونة تكوينية ـ قد لانعلم نحن تأثيرها ـ ولكنّها على أيّة حال حقيقة قرآنية كاملة:

فالكون كلّه يُسَبِّحُ للّه، وإذا سبّح الإنسان والمجتمع وعبدا اللّه فقد انسجما مع الكون، والكون يقوم على ميزان عادل، فينبغي للإنسان أن لايطغى في الميزان، بل ينسجم مع الكون. وهكذا يوالي القرآن في ايات متفرّقة تأكيد حقيقة الانسجام حتّى يشعر المسلم بأنّه إذ يكبّر يسمع تكبير الكون معه، وهذا ماتؤكّده بعض الرّوايات. ومن هذا الباب الآيات التي تربط بين الأمور المعنويّة والظّواهر المادّيّة «**ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء والأرض** » (الأعراف: ٩٦) وكذا القانون الذي ذكره اللّه تعالى للمسيرة الإنسانية عند بدئها «**ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى**» (طه: ١٢٤). ومن الواضح أنّ هذا الرّبط يعني أنّ المنتصر في الأرض هو العدل والحقّ في النّهاية.

كما يمكننا أن نعد من ذلك الآيات التي تؤكّد حبّ اللّه للمحسنين، والتوّابين، والمتطهّرين، والمتّقين، والصّابرين، والمتوكّلين، والمقسطين، والذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنّهم بنيان مرصوص، وغيرهم، وذلك إذا

لاحظنا أنّ الحبُّ هنا لايمتلك بعداً عاطفياً وتحكيما لهم ولدعوتهم بلا ريب، وفي الآخرة جنّة وحريراً.

كما أنّ القرآن الكريم يؤكّد على عنصر الإمداد الغيبي للرّعيل المؤمن العامل في سبيل اللّه، وهذا مانلاحظه في كثير من الآيات الشريفة، ومنها قوله تعالى في آخر سورة العنكبوت «**والّذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا وإنّ اللّه لمع المحسنين**» (العنكبوت: ٦٩) و «**إنّا لننصر رسلنا والّذين آمنوا في الحياة الدّنيا**» (غافر: ٥١) و «**بلى إن تصبروا وتتّقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين**» (آل عمران: ١٢٥).

رابعاً: تأكيد القرآن الكريم على أنّ الأنظمة الوضعيّة البشريّة صائرة إلى الفشل حتماً، وأنّها مهما بدت عميقة الجذور، قويّتها؛ فسستنتهي إلى الفناء حتماً. ذلك أنّها ـ في تصوّر القرآن ـ غير منسجمة مع المسيرة الكونية من جهة، وتحمل في وجودها عناصر فنائها. باعتبار أنّ التّماسك الحقيقي داخل أيّ نظام لايمكن أن يتمّ إلّا عبر عقيدة واقعيّة حيّة لاغير. أمّا التّماسك الوطني والقومي والمصلحي والجنسي والعقائدي المادّي فما هو إلّا عاملٌ وقتي ـ لايمتلك إلّا جذورا عاطفيّة أو وهميّة ـ لبس لبوس الواقع وسرعان ماتكشف الفطرة خداعه وزيفه، ومن جهة ثالثة فإنّ الولاء العقائدي الحقيقي هو الذي يضمن لوحده وحدة الهدف حقيقة، وينفي تعدّد الولاءات أو مايعبّر عنه بالشّرك في الولاء، فلا إله إلّا اللّه، ولا مقياس إلّا رضاه، وهذا ماتفقده الأنظمة الوضعيّة بكلّ وضوح «**وما يتّبع الّذي يدعون من دون اللّه شركاء إنْ يتّبعون إلّا الظّنّ وإنْ هم إلّا يخرصون**» (الزّمر: ٢٩). و «**والّذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظّمآن ماءً حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد اللّه عنده فوفّاه حسابه واللّه سريع الحساب**» (النّور: ٣٩) و «**مثل الّذين اتّخذوا من دون اللّه أولياء كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**» (العنكبوت: ٤١).

وفي سياق استعجال النّاس أيّام الرّسول للعذاب الذي أصاب المكذّبين من قبل، تقول الآية الكريمة: «**ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف اللّه وعدَهُ وإنّ يوماً عند ربّك كألف سنة ممّا تعدُّون**» كما يستفاد منها أنّها ناظرة إلى عذاب الدّنيا والهلاك الحضاري فيها. وهنا أساليب أخرى يسلكها القرآن لتأكيد إيمان المسلم بالنّصر النّهائي، (وذلك بملاحظة الإخبار الإلهي الحقّ بأنّ النّتيجة الحتمية لتطبيق الإسلام بكلّ عناصره في أيّ مجتمع هي دفعه إلى الأمام، وجعله الأعلى في الأرض، وضمان انتصاره على باقي النّظم)، فإذا انضمّ إلى هذا إيمان المسلم بلزوم تحقيق الوعد الإلهي عبر علمه الحضوري بالمستقبل، وقدرته المطلقة على تحقيق مشيئته البالغة، بعد هذا لايبقى مجال للتشكيك في إيمان الفرد والمجتمع المسلم بضرورة حصول تلك الصّور القرآنية المستقبلية.

ولكن يبقى في علمه حقيقة أنّ تحقّق هذه الصّورة يحتاج إلى تهيئةٍ واستعداد ومقدّمات، ولايتمّ إلّا عبر جهود مضنية تغيّر بها الأمّة مابأنفسها ليغيّرِ الله مابها، ويتحقّق الأمل الكبير واليوم الموعود.

وسائل تحقيق الصّورة القرآنية عن المستقبل الإنساني

بعد أن عرفنا وسائل التركيز القرآني للصّورة المستقبلية ينبغي أن نستعرض بإجمال شديد ـ يناسب المقام ـ الوسائل التي يسلكها القرآن للتحريض والتحريك نحو تجسيد هذه الصّورة وتحقيق مقدّماتها الضّرورية، وذلك على النّحو التالي:

أوّلاً: يعمل القرآن ـ كما رأينا قبل قليل ـ على تركيز هذه الصّورة في الأذهان وتوضيحها، والتركيز أسلوب مقدّمي للتحقيق. فالتاريخ هو الحقل الذي يؤثّر فيه التنبّؤ العلمي في تحقيق النتائج كما قلنا من قبل.

ثانياً. يطلب القرآن الكريم إلى الطّليعة الإنسانية ـ ومن ثمّ الجميع ـ أن يعملوا على تحقيق التغيير الدّاخلي، وتنفيذ عمليّة الجهاد النّفسي الأكبر؛ بالتأمّل في أبعاد النّفس ومعرفة عناصرها وميولها وكواشفها الفطريّة، وتقوية جانبها المسيطر على مجمل التحرّك وهو جانب الفكر والإرادة، وإطلاق الصّرخة الوجدانية، وبالتالي إيجاد الإستعداد لتقبُّل المدد الإلهي، وتحقيق موضوع الوعود الإلهيّة بالنّصر. ونعني به (الصّبر والتّقوى) وإنزال الإسلام إلى واقع التطبيق. وإذا كان تعبير الجهاد الأكبر ينصرف إلى تطهير الفرد نفسه؛ فإنّه يمكن أن يأتي بنفس المستوى على صعيد الأمّة نفسها، إذ عليها أن ترجع إلى نفسها لتعرف مكنوناتها، وتدرك نقاط ضعفها وقوّتها، ومن ثمّ تعمل على استرجاع خصائصها التي أرادها الإسلام لها بعد أن تنفي مظاهر الشّرك والطّاغوت من حياتها.

وخلاصة الأمر أنّ القرآن يؤكّد أنّ الإسلام وحده هو سبيل تحقيق الصّورة المستقبلية الأمثل، وان البشريّة إذا أرادت لنفسها أنْ تحيا بعد الموت فليس امامها إلّا سبيل الإسلام لاغير. وختاماً: أودّ أنْ أقولها كلمة قصيرة:

إنّنا في إيران المسلمة.. الأرض التي أحياها الإسلام مرّتين.. الأرض التي أراد أعداء الله والإنسانية أن يجعلوها وكراً وقاعدة لمحاربة المسيرة الإنسانية سياسيّاً وعسكريّاً واخلاقيّاً، ابى شعبنا المسلم المجاهد إلّا أن يتّبع طريق التّكامل. إنّنا في هذه الأرض أبينا كلّ المخطّطات الاستعماريّة، وبعث فينا الإسلام ثورته الدّائمة فثرنا بقيادة إمامنا وقائدنا وموجّهنا الكبير سماحة آية الله

العظمى الإمام الخميني ـ قدّس اللّه نفسه ـ (الذي عاش بكلّ وجوده للإسلام، والذي وهب كلّ ماالديه في سبيل الرّسالة الخالدة، وتحمّل شتّى صنوف الآلام والعذاب، وقدّم التّضحيات تلو التّضحيات، حتّى استطاع أن ينقذ شعبه من براثن الكفر والانحراف الطّاغوتي، وبنجاح ثورته الإسلامية الكبرى بدأ الخطوة التّالية على طريق تحقيق الهدف الإسلامي وهي خطوة إعادة الحكم الإسلامي إلى واقع التّطبيق في إيران. وهكذا انتفت شيئاً فشيئاً كلّ المظاهر المنحرفة فلم تعد إيران بؤرةً للقمار، ولا محلّاً لشرب الخمر، ولا مسرحاً للدّعارة والإنحراف، وإنّما تطهّرت أرضها من كلّ هذه الأرجاس، ومن كلّ ذلك الدّنس الشّيطاني، وراح الشّعب بقيادة زعيمه الكبير يقيم إوَدَ حياته على أساس القرآن، ويبني علاقاته على هدىً من تعليماته الخالدة..) ثمّ ابتدأت الخطوة الكبيرة الأخرى على طريق تحقيق الهدف الإنساني الكبير، وهي دعوة كلّ مسلمي العالم إلى الإسلام من جديد.. الإسلام الأصيل.. الإسلام الذي ينهض بالشّعوب بدلًا من الرّكود، ويرفض التّبعيّة المقيتة، ويبني المجتمع الإنساني الأمثل. كلّ هذا بعد أن حاول الاستعمار من قبل أن يشوّه الصّورة الإسلامية ويقتل روحها الوثّابة، ويقدّم صوراً هزيلة للإسلام، واطروحات كاذبة له حتّى انّه أقام نماذج هزيلة وكيانات كاذبة تحكم باسم الإسلام والإسلام منها بريء، كلّ هذا ليميت فاعلية الإسلام في أمّته، وليميت الإقبال البشري عليه. ولكنّ الثورة الإسلامية وقيادتها الرّشيدة وَجّهت العالم من جديد إلى الإسلام الأصيل.. الإسلام البنّاء الرّافض للصّيغ الكاذبة والأطروحات الاستعماريّة المخدّرة، فوجد المسلمون في هذه الدّعوة أملهم الحقيقي يعود من جديد، وحلمهم الكبير يتجسّد؛ فتلقّوا الثّورة بقلوبهم بكلّ أحاسيسهم، واحتضنوا مسيرتها، ووقفوا إلى جنبها. الأمر الذي هزّ الكيان الاستعماري الغربي والشّرقي على السّواء وصدمه بأشدّ من الصّدمة الأولى، إنّه وجد حضارته المادّيّة وهي تعاني الأمرَّين من الصّحوة الإسلامية العالمية، ووجد مصالحه وهي مشرفة على التمزّق فهي هباء، ووجد عملاءه وعروشهم تهتزّ بهم وشعوبهم تعمل على الانتفاض بوجوههم، ووجد كلّ مازرعه فيالارض الإسلامية يهتزّ. ومن هنا كان التّخطيط الإستعماري الرّهيب، وكان التّجميع الهائل للقوى الاستعماريّة بكلّ الوانها واتّجاهاتها وكلّ التحرّك الإستعماري الغادر ضدّ الثّورة الإسلامية العالمية. وراحت المؤامرات تترى الواحدة تلو الأخرى؛ فمن تحريك الأقلّيّات العنصريّة، إلى محاولات التسلّل الغادرة، وإلى التدخّل العسكري المباشر ومحاولات الانقلاب وتصديع الجبهة الدّاخلية، إلى غير ذلك. وكان آخر الطّبخات الاستعماريّة تحريك العراق وتموينه بالسّلاح وإعطاءه الوعود ممّا أدّى به إلى القيام بالعدوان الغادر على أراضي الجمهورية الإسلامية، وغير ذلك كثير وكثير. إلّا أنّ شعبنا بقيادته الحكيمة أكّد أنّه لن

ينثني أبداً عن سبيله.. سبيل تحقيق المستقبل الإنساني الأفضل، وقد أثبت ذلك وكان عون اللّه تعالى أعظم سند له في مسيرته يسدّدها ويدفع عنها أعداءها ويصنعها على عينه وهداه.

وإنّا عبر هذا المنبر الإسلامي لندعو المسلمين جميعاً إلى استهداف هذا الهدف الكبير والسّير المستوي على صراطه المستقيم إذا أرادوا لأنفسهم تحقيق ماآمنوا به، وصدقوا في وعدهم للّه. واللّه الموفّق.

مُستقبلُ العالمِ في القرآن

الشيخ علي الكوراني

«ويـومَ نَبْعَثُ في كُلِّ أُمَّةٍ شَهيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَجِئْنَـا بِكَ شَهيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينْ»

٨٩ ـ النّحل

يقـول المفسرون إن العموم في قوله تعالى «تِبْيَـانـاً لِكُلِّ شَيْءٍ» عموم إضافي لا حقيقي، والمعنى أن في القرآن بيان كل شيء من علوم الدين على حد تعبير الفخر الرّازي، أو بيان كلّ شيء يتعلّق بأمـر هدايـة النّاس على حدّ تعبير السيّد الطّباطبائي، وليس معناه أنّ في القـرآن بيان جميع العلوم والأمور بما فيها العلوم الطبيعيـة وعلم أحـداث المستقبـل والغيب مثلاً.

ولكن هل يمكن بهذه البساطة أن نرفع اليد عن عموم هذه الفقرة من الآية الكريمة؟

ومن جهـةٍ أخرى هل يمكن أن نقول إنّ جميع العلوم والأمور مفهومة أو مبيّنة في القرآن؟

من النّكـات الدّقيقة في الآية الشريفة أنّ الخــطاب فيهــا للنّبيّ (ص) وليس للأمّــة، والتّبيان فيها صفة للقرآن بما هو منزل على النبي (ص) وليس بمـا هو منزل على الأمّة، فكلمة «التّبيان» هي الكلمة الوحيدة في القرآن على كثرة استعماله مشتقّات (بيّن) فالموضوع فيها إذن هـــو العلم المنزّل في القرآن على النّبيّ (ص) بطريقة بيان خاصة سمّاها الله تعالى التّبيان، وليس هو العلم المبيّن للأمّة.

وعليه يكون موضـوع العموم الذي ينبغي البحث في أنّه حقيقي أو إضافي هو ما يفهمه النّبيّ (ص) ويعلمـه من القرآن لا ما تفهمه الأمّة. ويكون الأولى بنا حينئذٍ أن نرجع إلى الأحاديث الشريفة التي يصرح عدد منها بأنّ عموم «كلّ شيء» عموم حقيقي لا إضافي، وأنّ النّبيّ (ص) يعلم ذلك من القـرآن وإن كنّـا لانعلمه، أو كما في بعض الأحاديث (لاتبلغه

عقـول الرّجـال) وأنّ هذا العلم الشّامل من القرآن أورثه النّبيّ (ص) إلى الأئمة من أهل بيته (ع).

في تفسير العيّاشي عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: قال اللّه تعالى لموسى: «**وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**». فعلمنا أنه لم يكتب لموسى الشّيء كلّه، وقـال لعيسى: «**لِيُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**» وقال اللّه لمحمّد صلّى اللّه عليه وآله: «**وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ**».

وفي الكافي ج٢ ص ٥٩٩ ح٣ عن الإمام الصّادق عليه السلام قال: (إنّ العزيز الجبّار أنـزل عليكم كتـابه وهو الصّادق البارّ، فيه خبركم وخبر من قبلكم وخبر من بعدكم، وخبر السّماء وخبر الأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجّبتم).

وفي تفسير البُرهان ج ١ ص ٣٧٨ عنه عليه السلام قال: (قدْ ولدني رسول اللّه وأنا أعلم كتاب اللّه وفيه بدء الخلق وما هو كائن الى يوم القيامة، وفيه خبر السّماء وخبر الأرض، وخبر الجنّة وخبر النّار، وخبر ما كان و خبر ما هو كائن، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفّي، إنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: «**فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ**».

والنّتيجـة التي نريـد الخلوص إليهـا أنّ مستقبـل الأُمّـة الإسلامية والعالم مبيَّن في القرآن بطريقة يعرفها النّبيّ (ص) وورثة علمه الأئمـة (ع) معـرفـة كاملةً بكـل مراحله وتطوّراته، وأنّ طريقنا إلى معرفة ذلك مقدار ما نفهمه من آيات وما وصل إلينا في هذا المجال من الأحاديث والرّوايات الشريفة.

وقد تبلغ الآيات التي تتحدّث عن مستقبل الأُمّـة والعالم عشرات الآيات من قبيل قوله تعـالى: «**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ** ...» وقوله: «**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**...» وقوله: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ**.... **لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**...» إلى عشرات الآيات غيرها.

أمّا الأحاديث والرّوايات فهي مئات مبثوثة في مصـادر الحـديث والتّفسـير عند السّنّة والشّيعة، وبعضها مجموع في أبواب مستقلّة مثل أبواب الملاحم والفتن.. وهي تتحدّث عن أحداث كبيرة وصغيرة تجري على الأُمّة بعد النّبيّ (ص) وفي المراحل التي تليها حتى آخر الزّمان. ولعلّ أكثرها عدداً وأصحّها رواية عند الفـريقين تلك التي تتحدّث عن مرحلة ظهور الاسـلام ودخـول شعوب العالم فيه وإقامة دولته الإلهية على يد المهدي المنتظر من أبناء النّبيّ (ص).

وعنـدمـا تلتقي الرّوايـة مع الآيـة على موضـوع مستقبـلي يكـون لهـا قيمة علمية خاصّة، كما هو الأمر في الرّوايات الواردة في تفسير آيات بظهور الإسلام او ظهور المهدي عليه السلام.

نظرة عامّـة على الآيات المفسّرة بظهور المهدي (ع)

جمع المرحوم آية الله البحراني في كتابه المحجّة نحو مئة رواية وردت في تفسير آيات بالإمـام المهـدي عليـه السـلام. ولكن بعد استقصـائنا لأكثر من أربعمائة مصدر من كتب الحديث والتّفسير وجدنا أنها تزيد على الخمسـمائة روايـة تفسّر عشرات الآيـات بالإمـام المهدي عليه السلام، أكثرها مرويّ عن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من طرقنا وقليل منها روي من طرق إخواننا السّنّة.

أمّـا موضوعاتها فهي متنوّعة كثيراً، فهي تتحدّث عن عددٍ من الأحداث قبل ظهوره عليه السلام، وعن توافد أصحابه إلى مكّة وبداية ثورتـه من المسجـد الحرام، وعن زحفه إلى القُـدس، ثمّ توجّهه إلى العالم، وعن معاركه وانتصاراته، وعن الرّخاء والرّفاهية في عصره، وعن عدله ورحمتـه ومحبّـة النّاس له، وعن عشرات المواضيع الكلّيّة والتّفصيليّة عن هذه المـرحلة من ظهـور الإسلام على الدّين كلّه، وعمّا يرافقها ويتلوها من نزول المسيح مصدّقاً بالمهـدي عليهمـا السـلام ومؤازراً له، وعمّا يكون بعد المهدي (ع) من عودة النّبيّ (ص) والأئمة (ع) إلى الدّنيا وحكمهم مدّة طويلة، ثمّ عن بداية أشراط السّاعة وخروج دابّة الأرض ويأجوج ومأجوج.. الخ.

نماذج من مصادر الفريقين

١ـ قال الطّبري في تفسيره ج١ ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩ (... عن السّـدي في قوله تعالى: «**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيها اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَـا**» قال: الرّوم كانوا ناصروا بختنصـر على خراب بيت المقدس. وفي قوله: «**أُولَئِـكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ**» قال: فليس في الأرض روميّ يدخله إلّا وهـو خائف أن تضرب عنقـه وقـد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها. وفي قوله: «**لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ**» قال: أمّا خزيهم في الدُّنيا فإنّه إذا قام المهـدي وفتحت القسـطنـطينيّة قتلهم فذلك الخزي.

ونقل ذلك عنه الشيخ الطُّوسي في تفسيره (التِّبيان) ج١ ص ٤٢٠ وزاد في آخره (فلذلك خزيهـم في الحياة الدُّنيا أن يقتلوا إن كانوا حرباً) كما نقله السّيوطي في الدّرّ المنثور ج١ ص ١٠٨ وفي العرف الوردي في أخبار المهدي الحاوي ج٢ ص ٥٧ وصاحب كنز العمّال في كتـاب البـرهـان ص ١٥٥ وصاحب جريدة العجائب ص ٢٧٥.

ومهما قلنا في القيمة العلمية لهذه الرّواية عن السّـدي ورددنا تطبيقاته لبعض فقرات الآية على عصره، فإنّ الرّواية تكشف أنّه كان في ذهن جيـل التّـابعـين أمثـال السّدي أنّ انتصـار المسلمـين الكـامل على الرّوم وفتح عاصـمـتـهـم المـسـمّـاة في هذه الرّوايـة القسـطنطينية ـ وفي روايات أخرى بالمدينة

الرّوميـة الكُبـرى ـ إنّما يتم على يد المهدي المـوعود عليه السلام، وتتحقّق على يده عزّة المسلمين في مقابلهم.

٢ـ وفي كمال الدّين ج٢ ص ٦٧٠ ج ٥٨ ح١٦ عن الإمـام الصّـادق عليه السلام في تفسـير قوله تعـالى: «**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**» قال: واللّه ما نزل تأويلها بعد ولاينزل تأويلها حتى يخرج القائم، فإذا خرج القـائم لم يبق كافـر باللّه العظيم ولا مُشرك بالإمام إلاّ كره خروجه حتى أن لو كان كافر أو مشرك في بطن صخرةٍ لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله.

وروى بعضه فرات في تفسيره ص ١٨٤ والعيّاشي ج٢ ص ٨٧ ح٥٢ ورواه في العدد القويّة ص ٦٩ ح١٠٤ وفي تأويل الآيات ج٢ ص ٦٨٨ وغيرها من مصادرنا الشّيعية.

وروى في مجمع البيان ج٥ ص ٢٨٠ عن أمـير المـؤمنين عليه السـلام قال: «**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُوْلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ**» أظهرَ بعد ذلك؟ قالوا: نعم. قال: كلاّ. فوالذي نفسي بيده حتى لاتبقى قريةٌ إلاّ وينـادى فيها بشهادة أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّـداً رسـول اللّه بكرةً وعشياً، ورواه في تأويـل الآيات ج٢ ص ٦٨٩ ح٦ وفي تفسير الصّافي ج٢ ص ٣٣٨ وغيرها من مصادرنا.

وروت مصـادر إخـواننا السّنّة تفسيرها بنزول عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام، كما في جامـع الطّبـري ج١٠ ص ٨٢ وسُـنـن البيهقي ج٩ ص ١٨٠ والدّرّ المنثور ج٣ ص ٢١٣ وقال الشّافعي صاحب البيان ص ٥٢٨ ح٢٥ عن سعيـد بن جبـير في تفسـيره قوله «**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُون**» قال هو المَهديُّ من عترة فاطمة، ثمّ قال: وأمّا من قال إنّـه عيسى فلا تنافي بين القولين إذ هو مسـاعـد للإمام على ما تقدّم وروى الفخر الرّازي في تفسـيره ج١٦ ص ٤٠ عن أبي هريـرة قال: (هـذا وعدٌ من اللّه تعالى يجعل الإسـلام عالياً على جميع الأديان) ثمّ قال: (وتمام هذا إنّما يحصل عند خروج عيسى، وقال السّدي: ذلك عند خروج المهدي، لايبقى أحدٌ إلاّ دخل في الإسلام أو أدّى الخراج) وقد تواتـرت الأحـاديث عند الفريقين بأنّ نزول عيسى يكـون في عهد المهدي عليهما السلام وأنّه يصلّي خلفه.

٣ـ وكـذلك اتّفقت مصـادر الفريقين على تفسير قوله تعالى: «**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**» (٥١ ـ سبأ) بجيش الخسف الذي يدخل المدينة المنوّرة ثمّ يقصد مكّـة المكرّمة لقتال المهدي عليه السلام أوّل ظهوره فيخسف اللّه تعالى بهم قبل وصولهم إلى مكّة، كما ترى في تفسير الطبري ج٢٢ ص ٧٢ وتفسـير الثّعلبي ج٣ ص ١٥٤ والبـدء والتاريخ ج٢ ص ١٧٧ وعقد الدُّرر ص ٧٦ ب٤ ح٢ والدّرّ المنثـور ج٥ ص ٢٤٠ وقال: (واخرج إبن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم عن ابن عبّـاس) وعدد كبير من مصادرنا لا

مجال لتعدادها. أمّا روايات جيش الخسف بقطع النّظر عن الآية فقد تواترت في مصادر الفريقين عن النّبيّ (ص) ومنها الصّحاح السّتّة.

٤ـ وكذلك نرى مصادر الفريقين تلتقي على تفسير الآية المتعلّقة بنزول عيسى عليه السلام «وإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِم شَهِيداً» (١٥٩ ـ النّساء) كما في تفسير الطّبري ج٦ ص ١٤ وقال الشيخ الطّوسي في التّبيان ج٣ ص ٣٨٦ (... كأنّه قال: لايبقى أحد من اليهود إلّا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى، بأن ينزله الله تعالى إلى الأرض إذا خرج المهدي وانزله الله لقتل الدّجّال، فتصير الملّة كلّها ملّة واحدة وهي ملّة الإسلام الحنيفية ودين إبراهيم عليه السلام، ذهب إليه إبن عبّاس، وابو مالك، والحسن، وقتادة، وابن زيد... واختاره الطّبري. والآية خاصّة لمن يكون في ذلك الزّمان، وهو الذي ذكره علي بن ابراهيم في تفسيره أصحابنا).

نماذج من مصادر الإماميّة

١ـ في كمال الدّين للصّدوق رحمه الله ج١ ص ٣٣٠ ب ٣٢ ح١٦ ـ بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (القائم منّا منصور بالرّعب، مؤيّد بالنّصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز. يبلغ سلطانه المشرق والغرب، ويظهر الله عزّ وجلّ به دينه على الدّين كلّه ولو كره المشركون، فلا يبقى خراب إلّا عمر، وينزل روح الله عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه... فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأوّل ما ينطق به هذه الآية: «بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ» ثمّ يقول: أنا بقيّة الله في الأرض وخليفته وحجّته عليكم، فلا يسلّم عليه مسلم إلّا قال: السلام عليك يا بقيّة الله في ارضه.

٢ـ وفي غيبة النّعماني ص ٢٢٩ ب١٤ ح٤٠ عن أبي بصير قال: سُئِلَ أبو جعفر الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «سَنُرِيَهُمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي انْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ انَّهُ الحَقُّ» فقال: يريهم في أنفسهم المسخ، ويريهم في الآفاق انتفاض الآفاق عليهم، فيرون قدرة الله في أنفسهم وفي الآفاق. وقوله: «حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ انَّهُ الحَقُّ» يعني بذلك خروج القائم هو من الله عزّ وجلّ يراه هذا الخلق لابُدّ منه».

وقد يكون معنى المسخ المذكور للطغاة مسخاً في شخصيتهم وروحيتهم يظهر به ضعفهم. ومعنى انتقاض الآفاق عليهم فقدان سيطرتهم على البلاد والشعوب بسبب حالة ثوريّة أو حالة انتفاض وعصيان شاملة، شبيهاً بما نراه في عصرنا من فقدان روسيا السّيطرة على الشّعوب التي كانت خاضعه لها.

٣ـ وفي غيبة النّعماني ص ٢٥١ ب ١٤ ح٨ سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله

تعـالى: «فَـاْخْتَلَفَ الأحزابُ من بَيْنِهِمْ» فقال: انتــظروا الفـرج من ثلاث، فقيـل: يا أمـير المؤمنين وما هُنّ؟ فقال: اختلاف أهل الشّام فيمـا بينهم، والرّايـات السّود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان.

فقيل وما الفزعة في شهر رمضان؟ فقال: أوماسمعتم قول الله عزّ وجلّ في القرآن «إنْ نَشَا نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيَةً فَظَلَّتْ أعْنَاقُهُمْ لَهَـا خَاضِعِـينَ» هي آيـة تُخـرج الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتفزع اليقظان، ورواه عنه من اخواننا السّنّة السّلمي في عقد الدُّرر ص ١٠٤ ب ٤ ح٢ وعدد كبير من مصادرنا لا مجـال لتعـداده، وبعضهم رواه عن الإمام البـاقر وعن الإمام الصّادق عليهما السـلام وعن إبن عبّـاس، وفسّرت الرّوايات الأخرى هذه الفـزعة او الآية في شهر رمضان بأنّها نداء من السّماء إلى شعوب العالم بأن يتركوا صراعاتهم وبعدهم عن الدِّين ويطيعوا الإمام المهدي الموعود عليه السلام ويسمّيه باسمه واسم أبيه. وقد وردت أحاديث اخرى بقطع النّظر عن تفسير الآية في هذا النِّداء السّماوي في مصادر الفريقين لا مجال لتعداد مصادرها ايضاً.

٤ـ ورود مصادرنا في تفسير قوله تعالى: «وَلَئِنْ اَخَّـرْنَـا عَنْهُمْ العَذَابُ إلى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَـقُـولُنَّ مَا يَحْـبِسُـهُ؟ الاَ يَوْمَ يَأتِيْهِم لَيْسَ مَصْرُوفـاً عَنْـهُـمْ وَحَـاقَ بِهِـمْ مَا كَانُـوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» ٨ ـ هود.

انّ المقصـود بالأُمّـة المعـدودة أصحاب المهدي عليه السلام. ففي تفسير القمّي ج١ ص ٣٢٣ عن المعصوم(ع) في تفسيرها قال: (الأُمّـة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعـة عشر) ورواه العيّـاشي في تفسـيره أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام ج٢ ص ٥٧ وزاد فيـه (يجمعون له في ساعة واحدة قزعاً كقزع الخريف) وفي ص ١٤١ عن الإمام الصّـادق عليـه السـلام بلفـظ (هـو القائم وأصحابه) ورواه النّعماني في غيبة ص ٢٤١ ب ١٣ ح٣٦ عن الإمام الصّادق عليه السلام ورواه عدد آخر من مصادرنا لا مجال لتعدادها.

وَمِمّـا يُلاحـظ انّ تفسـير الأُمّة في الآية بالجماعة من النّاس أصحُّ من تفسيرها بالمدّة كما درج عليه المفسّرون، وذلك لأنّ الأصل في استعمالات القرآن المعنى الحقيقي ولايصحّ العـدول عنـه إلى المجـاز ما دام يوجد إليه سبيل، فقد استعملت كلمة أُمّة في القرآن ٤٩ مرّة على ما في المعجم المفهـرس، منهـا ٤٥ مورداً اتـفـق المـفسّرون على انّـهـا بمعنى الجمـاعـة المـوحّـدة من النّاس وهو المعنى الحقيقي لها. وذكروا أنّها في الآية المذكورة والآية ١١٨ من سورة يوسف بمعنى المدّة، وفي الآيتـين ٢٢ و ٢٣ من سورة الزّخـرف بمعنى الدّين والملّة. ولكن يمكن تفسيرها في الجميع بمعناها الحقيقي على حذف مضاف أو بدونه كما في الآية، وليس هذا مجال القول فيه.

٥ـ فسّرت بعض الرّوايـات «مَـطْلَع الفَجْرِ» في سورة القدر بأنّه ظهور المهدي عليه السلام كما في تفسير فرات الكوفي ص ٢١٨ وتأويل الآيات لمحمّد بن عباس ج٢ ص ٨١٨ ح٣ و ٨٢٠ ح٩ وقد يشكل على ذلك بأنّه لا معنى لأن يكون انتهاء السلام في ليلة القدر بظهور المهدي عليه السلام أي طلوع الفجر، ولكن قد يكون المعنى أنّه عند ظهوره يحدث تطوّر في ليلة القـدر والسلام فيها عليه وعلى المؤمنين. فيكون المعنى أن السلام والعطاء في ليلة القدر قبل ظهور المهدي عليه السلام يمتد إلى طلوع فجـرهـا، أمّـا عنـدما يطلع فجر الإسـلام ويشمل العالم بظهوره فإنّه يحدث تطوّر في السلام الإلهي على أهل الأرض وعلى إمـامهم تبعـاً للتـطوّر الإيماني الذي حدث فيهم. واللّه العالم.

المذهب التاريخي في القرآن

الشيخ محمد مهدي الآصفي

فلسفة التاريخ: علم حديث بالمعنى المنهجي المطروح اليوم في الثّقافة المعاصرة. ومهما قيل في الجذور التاريخية لهذا العلم؛ فإنّ هذا العلم - بالمنهجية المعاصرة - أمر جديد في ثقافة الإنسان.

هذا العلم يعنى باكتشاف القوانين الحاكمة على التاريخ، لتقنينه واكتشاف العلاقة بين حوادثه.

ولئن كان هذا العلم أمراً جديداً، في الثّقافة الإنسانية، فإنّنا نجد أنّ القرآن الكريم يطرح أفكاراً، وآراءً، وقوانين محدّدة، في هذا المجال، ومن الممكن تجميع هذه الأفكار، والتصوّرات، والقوانين وتنظيمها واستخراج المذهب القرآني في التاريخ منها.

*** تمهيد**

في تفسير وفهم التاريخ أمامنا ثلاثة اتّجاهات علميّة معاصرة نقف وقفة قصيرة عند كل واحد منها، ليتسنّى لنا الانطلاق منها - في هذا التمهيد - إلى معرفة المذهب **التاريخي في القرآن**.

الإتّجاه الاول: ينفي إمكان فهم وتفسير التاريخ، على أساس قانون العليّة، وينفي وجود الحتميّة العليّة في التاريخ بالقوّة والوضوح اللذين نجدهما في الفيزياء والميكانيك - مثلاً - من دون أن ينفي أصحاب

هذا الإتّجاه قانون العليّة راساً في التاريخ.

وإنّما يعتقدون أنّ حضور (إرادة الإنسان) في ساحة الحضارة والتاريخ، بما تمتلك هذه الإرادة، من حريّة القرار، والاختيار، تحجم دور قانون العلّيّة، وتقلّل من حجم الحتميّة والتعميم، في مساحة التاريخ.

الإتّجاه الثاني: يفسّر أحداث التاريخ بنفس الطريقة التي يفسّر بها عالم الفيزياء والميكانيك قضايا الفيزياء والميكانيك، ويعتقد أصحاب هذا الإتّجاه، أنّ الحتميّة العلّيّة تحكم التاريخ، كما تحكم الفيزياء، وبنفس الوضوح والقوّة.

الاتّجاه الثالث: يعترف بحضور وحاكمية إرادة الإنسان في التاريخ، كما يعترف بحاكمية قانون العلّيّة في التاريخ، ويعتقد أصحاب هذا الإتّجاه إننا يمكن أن نفهم التاريخ، من خلال هذين العاملين، دون أن يقلّل أحدهما من قيمة الآخر... دون ان يأخذوا بنظر الإعتبار دور الرّعاية الإلهيّة للتاريخ والإنسان.

وإليك تفصيل هذه الاتّجاهات:

الإتّجاه الأول:

أصحاب هذا الإتّجاه ينفون علاقة العلّيّة والسّببيّة في حركة التاريخ، ويعتقدون أنّ من غير الممكن أن يخضع الحدث التاريخي والحضاري والاجتماعي لقانون العلّيّة، بنفس الطّريقة التي تخضع لها قضية فيزياوية أو ميكانيكية لقانون العلّيّة، بما في هذا القانون من الحتميّة والتّعميم.

ففي حقل الفيزياء، يمكننا أن نعمّم نتائج كل تجربة في ظروف وأسباب مشابهة، على امتداد المكان والزّمان، كما يمكننا أن نحكم بحتميّة هذه النتائج في الظروف المشابهة، فحين يثبت لنا بالتجربة غليان الماء، عندما ترتفع درجة حرارته، إلى مائة درجة مئويّة، عند مستوى البحر يمكننا أن نعمّم نتيجة هذه التجربة، على الحالات المشابهة الأخرى، كما يمكننا أن نحكم بحتميّة هذه الحالة (الغليان) في الحالات المتشابهة.

وهذان الأصلان (الحتميّة والعلّيّة) تابعان لقانون العلّيّة، وفي الفيزياء والميكانيك، كما في سائر العلوم المادّيّة التجريبية، يجري قانون العلّيّة بوضوح وقوّة.

أمّا في مساحة الحضارة، والمجتمع، والتاريخ .. فلا يمكن أن نحكم بجريان قانون العلّيّة بنفس القوّة والوضوح، وذلك لأنّ حضور العنصر الإنساني، في مساحة التاريخ، وحريّة إرادة الإنسان، وحريّة إختياره وقراره يحجم دور قانون العلّيّة، ويقلّل من قيمته في حركة التاريخ، وبالتالي فإنّنا لانستطيع أن نفهم التاريخ بصورة واضحة، بموجب قانون العليّة، كما نفهم الفيزياء مثلاً، ولايمكن أن نتنبّأ بالمستقبل، ونكتشف مجاهيل التاريخ، بموجب قانون العلّيّة، كما نفهم ذلك في الميكانيك والفيزياء، وذلك لأنّ التاريخ مسرح واسع لحركة الإنسان، وحريّة إرادته، وقراره وهذا مايجعل للتاريخ صفة متميّزة وخاصّة.

يقول كارل د. بوبر في كتابه The poverty of Historicism : (إنّ النّظريّة القائلة بأنّنا نستطيع أن نأخذ التّعميم من الفيزياء، ونستعمله في التاريخ، والحضارة، والاجتماع تؤدّي نفي حركة التّكامل في المجتمع)[1].

ثمّ يقول في موضع آخر من كتابه:

(والفيزياء تستفيد من التّجربة، وعن طريق التجربة يستطيع هذا العلم أن يعرف طريقة إيجاد الحالات المتشابهة من الأوضاع المتشابهة، وأوضح أنّ ذلك يتوقّف على الفكرة التّالية: في الأوضاع والظّروف المتشابهة تتكوّن الظواهر المشابهة.

يقول أصحاب المذهب التاريخي أنّ هذه الطّريقة لايمكن الإستفادة منها في علم الاجتماع، وعلى فرض إمكانيّة تطبيق هذه القاعدة (التّجربة) في دورة خاصة، فلا يمكن نقل التّجربة من دورة إلى دورة أخرى)[2].

ويقول 'أدوارد هالت كار' في التّعليق على نظريتي توينبي واشبنكلر:

تعتمد نظريّة إشبنكلر وتوينبي على أساس وحدة التاريخ والعلم (يقصد العلوم الطّبيعية القائمة على التّجربة والتعميم).. وهذه الوحدة بين التاريخ والعلم وحدة كاذبة، ولاأساس لها من الصّحّة، ولايمكن إجراء الأحكام التي تجري في العلم (العلوم الطّبيعيّة) على التاريخ بالشكل الدّقيق.. فإنّ الظاهرة العلميّة تتكرّر، كلّما تكرّرت نفس الظّروف، وذلك لأنّ العناصر التي تتكوّن منها الظّاهرة العلميّة (الطّبيعيّة) عناصر فاقدة للإرادة والشّعور تجاه الماضي والعناصر الأخرى... بعكس الظّاهرة التاريخية، فإنّ العناصر التي تتكوّن منها هذه الظاهرة تتمتّع بالشّعور والإرادة، وهذه العناصر تعرف نهاية الدّورة من بدايتها، فلا يمكن أن تتكرّر الدّورة السّابقة[3].

والمحصّل من استقراء أطراف هذه النّظريّة أنّ القائلين بها ينفون حاكميّة مبدأ العلّيّة، في حركة التاريخ، بالشكل التفصيلي والدّقيق الذي يجري بموجبه هذا المبدأ، في حقول الفيزياء، والميكانيك، وسائر العلوم التّجريبية، وينفون إمكانيّة التنبّؤ بأحداث التاريخ والمستقبل، كما نتنبّأ بأوضاع الكواكب، والنّجوم، والشّمس، والقمر مثلاً.. والسّبب في ذلك هو وجود العنصر الإنساني في مجرى التاريخ، والتعقيدات التي ترافق حضور الإنسان في حركة التاريخ، ممّا يجعل التّطبيق لقانون العلّيّة والتنبّؤ بالأحداث المستقبليّة بموجب هذا القانون عسيراً جداً[4].

الاتّجاه الثاني:

يتّجه باتجاه معاكس للاتّجاه الأول، ويؤمن بأنّ التاريخ ليس بدعاً في أمور هذا الكون، ويخضع لقانون العلّيّة والسّببيّة بالدّقة، كما تخضع سائر الأشياء في حقل الفيزياء، ويجري فيه التعميم والحتميّة، كما يجري في الفيزياء والعلوم التجريبيّة الأخرى.

وحركة التاريخ، في هذه النّظريّة، لاتزيد على الآليّة التي يتحكّم فيها قانون العلّيّة بشكل مطلق، ولايوجد ثمّة عامل آخر غير عامل الحتميّة العلّيّة وعجلة التاريخ تتحرّك كما تتحرّك عجلة أي جهاز ميكانيكي، بموجب

قوانين حتميّة، غير أنّ التّعميم والحتميّة تجري في حقل الحياة الاجتماعية والتاريخ، وليس في حقل الميكانيك..

ونلاحظ في هذا التصوّر غياب العنصر الإنساني، وإرادته، وحريّته، واختياره بشكل كامل، فإنّ الإنسان يجري في ضمن هذا الجهاز الواسع بصورة آليّة، دون أن يملك اختياراً لنفسه في الحركة والسّكون، ودون أن يملك إرادة في تقرير مصيره.

إنّ الإنسان، في هذه النظريّة، يتحرّك ويجري بموجب قوانين حتميّة، دون أن يستطيع التحكّم فيها، أو يستخدم إرادته ضمنها.

ومن روّاد هذه النظرية، من الغرب "مونتسكيو" مؤلّف كتاب (روح القوانين) و"إشبنكلر" في كتابه الكبير[٥] عن تدهور الحضارة الغربيّة و"توينبي" في كتابه (مطالعة في التاريخ).

يقول «إدوارد هالت كار» في كتابه المجتمع الجديد[٦]:

(هناك صلة مباشرة، وعلاقة قويّة بين الماضي والحاضر، على أساس التأثير والتأثّر، والفعل والانفعال، ولايمكن فصل الماضي عن الحاضر والمستقبل، ونحن مدينون، في هذا التصوّر الجديد للتاريخ، للاتجاه العلمي الجديد الذي يبحث في العلوم، عن القوانين، والأصول القابلة للتّعميم).

يقول "مونتسكيو" في مقدّمة كتابه (روح القوانين):

(أنا في هذا الكتاب شرحت الأصول فقط، ولاحظت مواضيع كثيرة تنطبق بصورة تلقائيّة على هذه الأصول.. ومن هذا الانطباق القهري اكتشفتُ أنّ التاريخ ليس إلّا مُعطيات ونتائج هذه الأصول والقوانين).

ثم يقول "أدوارد هالت كار" بعد ذلك:

(كان إشبنكلر يعتقد بأنّ الحضارة الإنسانيّة تتبع بصورة دقيقة قوانين العلّيّة السّببيّة وتخضع لها.. وهذه القوانين هي التي تقرّر بصورة دقيقة مصير الحضارة والبشريّة والنظام الذي يتبعه إشبنكلر في إستدلاله، من الإستحكام والقوّة بمكان لايمكن رفضه والتشكيك فيه، في حدود المباني التي يتّبعها صاحب النّظريّة)[٧].

ومن هذا المنطلق يمكن التنبّؤ بالمستقبل، وحركة التاريخ والحضارة، والماركسيّة، وإن لم تكن تؤمن بقانون العلّيّة، بالشكل الذي نؤمن به نحن في الفلسفة، لكنّها تؤمن بهذا القانون، على طريقة جديدة (هي طريقة - الاطروحة والطّباق والتركيب) إلّا أنّها تنتهي إلى نفس النّتيجة، من إمكان التنبّؤ بالمستقبل، وفهم مستقبل الحضارة، من خلال قانون التّناقض والصّراع الطبقي، وقد حدّد "ماركس" المراحل الخمس للتاريخ من خلال هذا التصوّر للتاريخ، ومهما يكن المنطلق الذي يفسّر العلماء من خلاله التاريخ: قانون العلّيّة بشكله الفلسفي المألوف وقانون الإطروحة والطّباق والتركيب فإنّ حركة التاريخ تكتسب في هذه النّظريّة الصّفة الحتميّة، وهي التي يطلق عليها عادة في هذه المدارس الفكريّة بـ(الحتميّة التاريخيّة).

المذهب التاريخي عند دوركهايم:

ومن العلمـاء الذين يذهبون إلى الحتميّة التـاريخيّـة، في حركـة التـاريـخ، ويـؤمنون بحاكميّة المجتمع الحتميّة، على حياة الفرد، وعـدم قدرة الفرد على الإنفلات من سلطان المـجتمـع، هو «آميـل دوركهـايم» العـالم الاجتماعي الفرنسي الشهير.. فهو يؤمن بأنّ الأمـور والشـؤون الإجتماعيّة من معطيات الحيـاة الاجتمـاعيّـة، وليست حصيلة فكر وإرادة الأفـراد، ويـعـتقـد بأنّ الشـؤون الاجتمـاعيّة ذات ثلاث خصال دائماً، وهي الخـارجيّـة ـ والحتميّـة ـ والتّعميم، فهي (خارجيّة) لأنّها تفرض على الفرد، من خارج وجـود الفرد (من المجتمع) وهي موجودة في المجتمع قبل وجود الفرد، ويتقبّل الفرد هذه المـعطيـات الاجتمـاعيّـة ويستقبلهـا بتأثير المجتمـع.. والعـادات، والأعراف، والتّقاليد، والأخلاق الاجتماعيّة من جملة هذه الأمور.

وهي (حتميّـة) لأنّهـا تفـرض على الفرد فرضـاً ولايملك الفـرد الخيـار في قبـولهـا ورفضهـا، وتـطبـع ضمـائـر، وأحـاسيس، ومشاعر، وعواطف، وأفكار، وتصوّرات الأفراد بطابعها الخاصّ.

وهي (عموميّة) لأنّها حتميّة، وتنطبق على كل الأفراد، في الظّروف والحالات المتشابهة[٨].

يقول «أنتوني كيد نز» في دراسته الجديدة عن «دوركهايم»

(من المـلاحـظات التي أوردها الأساتذة الذين ناقشوا رسالة دور كهايم للدكتوراه أنّ «دوركهـايم» يعتبـر العـامـل الإجتماعي هو العامل الوحيد لتكامل الأخلاق....

والمـجـتمـع عنـد «دوركهـايم» جزء من الطبيعـة، فلابُـدّ أن يخضع علم الاجتماع لنفس الأصول التي تخضع لها العلوم الطبيعيّة.

ويقـول «دوركهايم» في رسالته للدّكتوراه، عن «مـونتسكيـو»: (إنّ «كنت» استـطاع أن يتجـاوز معـطيـات عصره والمتقدّمـين عليه من العلماء.. فلم يكن يتيسّر بعد «لمونتسكيو» شيء جديد في هذا الحقل إلّا القول بأنّ القوانين الحاكمة على المجتمع لا تختلف عن القوانين الحـاكمة على القوانين الطبيعيّة، ولا تختلف طريقـة إكتشـاف القـوانين الاجتماعيّة عن طريقـة إكتشـاف القـوانـين الطّبيعيّـة في الطّبيعة.. وهذا الجديد اكتشفه كنت)[٩].

(ويبلغ «دوركهـايم» أقصى مايمكن أن يقـال، بهذا الصدد، فيقول:

(إنّ القضايا الإجتماعيّة ماهي إلّا «أشياء»: (Things) ولربّمـا يكون هذا المعنى هو أكثر المفـاهيم التي طرحهـا «دوركهـايم» في كتابه (قواعد علم الاجتماع) إثارة للنّقاش والجدل.

واعتبـار القضـايـا الإجتماعيّة (أشياء) بمعنى أنّ تجـريدها الكامل.. أمر لابُدّ منه، لكن نستـطيع أن نفهم القضايا الاجتماعيّة مستقلّة عن كل فرد، في هذه الحـالة، فقـط، نستـطيـع أن نخضـع المجتمـع لدراسـة موضوعيّة، إنّ أهم خصّيصة في (الأشياء) هو أنّهـا لاتتبـع إرادة شخص، إنّنا إذا دفعنا

الكرسي يندفع كما نريد، ولكن مقاومة الكرسي النّسبيّة تدل على أنّها (المقاومة) خارجة عن حيّز الإرادة، ولاتتبع إرادة شخص من الأشخاص.

وهذه الحقيقة تنطبق على القضايا الإجتماعيّة تماماً، إلّا أنّها ليست كالكرسي من القضايا المرئيّة والمحسوسة، فإنّ القضايا الإجتماعيّة توجد دائماً خارج الأفراد، وتضغط على الأفراد، وتقيّدهم.

فإنّ كل إنسان يولد في مجتمع قد تحدّد **شكله ونظامه وطبيعته، من قبل ولادته، ولم** يكن للفرد دور في تحديد شكل، ونظام، وطبيعة المجتمع من قبل، ومن الطّبيعي أن يحدّد للفرد، في هذا الحال، شكله ولونه الخاصّ، ولربّما تمرّ على المجتمع قرون طويلة لايتغيّر فيها شكل المجتمع، وتعيش أجيال من النّاس في هذا المجتمع، وعليه فإنّ الفرد لايزيد على أن يكون جزءاً من كلّ كبير واسع الأطراف، وليس في الإمكان أن نفهم خواصّ الكلّ من خواصّ كلّ فرد من أفراده، ويحاول "دوركهايم" أن يقرّب هذا المفهوم بالتمثيل بالعناصر والتركيبات الكيمياوية، فالخصائص التي يتميّز بها كل من الأوكسجين والهيدروجين لاتوجد في قطرة الماء التي تتركّب منهما.. ولقطرة الماء خصائصها التي تختلف تماماً عن خصائص العناصر التي تشكّلها، وكذلك المجتمع بالنّسبة إلى العناصر البشريّة التي تشكّلها[١٠]، ولهذا النحو من الفهم يفهم "دوركهايم" المجتمع والتاريخ، ويعتبر القضايا الإجتماعيّة بالصراحة (أشياء) خارجة عن نطاق إرادة الفرد، كما هي حالة (الأشياء) في الفيزياء، ويعتبر الفرد محكوماً بهذا النّظام، وليس له من سلطان أو حاكميّة على التاريخ والمجتمع.

الإنتقاص من قيمة الإنسان من الحتميّات التاريخيّة:

وبطبيعة الحال فإنّ النّظريّات الحتميّة تنتقص من قيمة الإنسان، وتلغي دوره في صناعة التاريخ، فإنّ التاريخ والحضارة والمجتمع يتكوّن بموجب قوانين حتميّة، تجري بمعزل عن إرادة الإنسان، ورغبته. وتتحرّك كما تتحرّك الأشياء ـ كما يقول "دوركهايم" ـ خارج دائرة إرادة الإنسان، ويتولّد الإنسان، ويفتح عينيه على مجتمع أخذ صورته، وشكله، ونظامه من قبل أن يولد الإنسان، فلا يكون له ـ إذن ـ دور يُذكر، في صناعة هذا المجتمع، ويجري، ويتحرّك، ويتطوّر بموجب قوانين حتميّة، بمعزل عن إرادته، بينما نجد أنّ للمجتمع والتاريخ دوراً في صياغة ذهنيّة الإنسان، وتكوين أخلاقه، وتقاليده، وثقافته، وعقائده.

وهكذا تتطرّف نظريّة الحتميّة التاريخية في الإنتقاص من قيمة الإنسان، ودوره في صناعة التاريخ، والحضارة، والمجتمع، إلى حد إلغاء فاعليّة إرادة الإنسان (الفرد) في التاريخ والمجتمع، بينما يبالغ أصحاب النّظريّة الأولى في تعقيد دور الفرد في المجتمع، والتاريخ، إلى حد إلغاء إمكانيّة التنبّؤ بالمستقبل، والانتقاص من قيمة العلّيّة في

التاريخ، أو رفض جريان الحتميّة، والتّعميم الجاريتين في الفيزياء والميكانيك، في حقل التاريخ والمجتمع.

الإتّجاه الثالث:

والاتّجاه الثالث، في النظريّات المادّيّة، لا يلغي دور الإرادة، ولا قانون العليّة، ويؤمن بهذا وذاك، ويسهم العنصر الإنساني في بناء التاريخ، في الوقت الذي لاينفي الحتميّة العلّيّة والتعميم العلّيّ، وتعتقد بازدواجيّة العامل المحرّك للتاريخ (قانون العلّيّة) بآليّتها المعروفة، وإرادة الإنسان، وحريّته في اتّخاذ القرار..

هذه النّظريّة تقيّم حركة التاريخ على أساسين فقط، وتنفي حضور الرّعاية والمشيئة الإلهيّة في التاريخ، وتفهم هذه الحركة على أنّها حصيلة التفاعل القائم بين إرادة الإنسان وقانون العلّيّة، وبالتالي تكون حركة التاريخ خاضعة لإرادة الإنسان، في إستطاعة الإنسان أن يوجّه الحتميّة العلّيّة بالشّكل الذي يريد، ويكون (الإنسان) هو العامل المهيمن في هذه الحركة.. ولكن من دون حضور (للمشيئة الإلهيّة) ورعاية الله لحركة التاريخ. وقد يؤمنون بشكل أو بآخر بالله تعالى، وبأنّ الله تعالى هو خالق هذا الكون وما فيه من سنن وقوانين، ولكن ينفون حضور المشيئة والرّعاية الإلهيّة، في حركة التاريخ، كعامل أساسي ورئيسي في تحرّك التاريخ.

وهذا هو المنطلق اليهودي المعروف الذي يقول عنه القرآن الكريم: **«وقالت اليهود يدُ الله مغلولة»** (المائدة/ ٦٤)[١١]

هذه هي أهم الإتّجاهات المادّيّة المعاصرة في حركة التاريخ، ونقصد بالمادّيّة كلّ النّظريّات ذات التوجّه المادّيّ في التاريخ، سواء كان أصحابها يؤمنون بالله تعالى كاليهود أو ينفون وجود الله عزّ وجلّ.

وهذه الإتّجاهات كما شرحناها ثلاثة:

١ـ التشكيك في قيمة ودور قانون العلّيّة في حركة التاريخ.

٢ـ التشكيك في دور الإنسان في حركة التاريخ.

٣ـ الاعتراف بدور قانون العلّيّة ودور الإنسان معاً في حركة التاريخ، من دون الاعتراف بدور الرّعاية الإلهيّة في حركة التاريخ، وفيما يلي نحاول أن نكتشف أصول المذهب التاريخي في القرآن الكريم.

المذهب التاريخي في القرآن

ليس القرآن الكريم كتاباً في الفلسفة يعنى بدراسة المسائل الفلسفيّة والتاريخيّة بصورة مشروحة.. وإنّما هو كتاب دعوة وهداية وتشريع.. ولكنّنا نستطيع أن نستخرج من ثنايا آيات كتاب الله الأصول العامّة للتفكير بشكل دقيق.

وعندما نستعرض الآيات القرآنيّة نجد خطوطاً واضحة تمكّننا من رسم مجمل المذهب القرآني في حركة التاريخ.

إنّ المذهب الإسلامي في تفسير التاريخ يقيّم التاريخ على ثلاثة أسس وليس أساسين

فقط ويؤمن بأنّ بناء التاريخ لايمكن أن يقوم على أساسين فقط ولايمكن أن نفسّر حركة التاريخ على أساس (قانون العلّيّة) (وإرادة الإنسان) فقط من دون أن نأخذ المشيئة الإلهيّة ورعاية اللّه تعالى عاملاً أساسياً في حركة التاريخ بنظر الاعتبار.

وهذه الأسس هي:

١ـ قانون العلّيّة.

٢ـ حريّة إرادة الإنسان.

٣ـ الرعاية الإلهيّة.

وفيما يلي نفصّل هذا الإجمال:

١ـ قانون العلّيّة في التاريخ (السّنن الإلهيّة):

الحياة الاجتماعيّة والحضارة البشريّة والتاريخ ليست بدعاً من الأمور في هذا الكون ـ كما قلنا سابقاً ـ.. ولايمكن أن نستثني شيئاً في هذا الكون من قانون العلّيّة، ونتائج هذا القانون دائماً نتائج حتميّة لايمكن أن تتخلّف عن أسبابها وظروفها وهذه النتائج تعم كل الحالات المشابهة وتتكرر كلّما تكرّرت الأسباب والظّروف المؤدّية إلى وجودها.. ومعنى ذلك أنّ كلّ أصول قانون العلّيّة من (الحتميّة والتّعميم والمسانخة) تجري في الحقل الحضاري والتاريخي كما تجري في حقول المادّة.

والظّاهرة الحضارية لاتختلف عن الظّاهرة المادّيّة في أنّها تخضع لنفس القوانين والأصول التي تخضع لها الظّاهرة المادّيّة، فإنّ قانون العلّيّة لايقبل استثناء ولايمكن أن تحدث ثغرة أو خلل في تطبيق هذا القانون في المجتمع أو في غير المجتمع من هذا الكون.

فالحياة الاجتماعيّة والتاريخ ـ إذن ـ يسيران بموجب نظام وقانون دقيق وبنفس الدّقّة التي تجري قانون العلّيّة في الفيزياء.

والأحداث الاجتماعيّة الكبيرة والصّغيرة والانقلابات والثّورات والرّكود والحركة والفشل والنّجاح والنّصر والهزيمة والثّقافة والجهل والغنى والفقر والقوّة والضّعف والهلاك والسّقوط وولادة الحضارات ونموّها وغير ذلك من مظاهر الحركة الاجتماعيّة لاتحدث بصورة عفويّة كما تتصوّر ـ ذلك ـ بعض المذاهب التاريخيّة.

وإنّما يجري ذلك كلّه بموجب قوانين وسنن إلهيّة ثابتة، كما أنّ الحاضر ليس مفصولاً عن الماضي وإنّما هو نتيجة حتميّة للماضي ولايمكن تفكيك أجزاء الحضارة البشريّة الواقعة على امتداد الزّمان بعضها عن بعض ، فكل جزء يرتبط بالجزء الذي قبله وبعده إرتباطاً قويّاً، وكل جزء حصيلة الأجزاء السّابقة ومادّة للأجزاء اللاّحقة.. وهكذا.. فإنّ الحضارات البشريّة على إمتداد التاريخ ليست قطعاً وشرائح حضاريّة متقطّعة ومتفكّكة، وليست الشرائح المعاصرة غريبة عن الشرائح السّابقة كما ليست الشّرائح الحضاريّة المقبلة مفصولة عن الشّريحة الحاضرة والشّرائح الماضية.

وهذه الشّرائح والمقاطع الحضارية الممتدة على إمتداد التاريخ مرتبطة ببعض بقانون العلّيّة، وكما لايمكن أن يحدث شيء بصورة

عفويّة في حقول الفيزياء والكيمياء والميكانيك، كذلك لايمكن أن يحدث حدث إجتماعي أو سياسي أو اقتصادي بصورة عفويّة وإنّما يحدث ذلك جميعاً بموجب سنن وقوانين ثابتة تماماً كما يحدث في حقول المادّة.

التأثيرات السّطحيّة والعموديّة على الشّريحة الحضارية:

ولنأخذ شريحة من شرائح الحضارة الإنسانيّة للدّراسة.. نجد أنّ هناك نوعين من التّأثيرات على هذه الشّريحة تتقوّم بهما:

النّوع الأول: التّأثيرات المتقابلة (السّطحيّة) بين أجزاء وعناصر هذه الشّريحة الحضارية في مقطع زماني واحد، فالمدرسة ـ مثلاً ـ لها تأثير متقابل على المدرسة في شريحة حضارية واحدة، وهذه التأثيرات المتقابلة والتّفاعلات القائمة بين أجزاء وعناصر الشّريحة الحضارية الواحدة لها دور في بناء وصياغة هذه الشّريحة الحضارية.

والنّوع الثاني: التّأثيرات (العميقة) و(العموديّة) على الإمتداد التاريخي البعيد والقريب على هذه الشّريحة الحضارية.. وهذا النّوع من التّأثير يتقوّم به بسلسلة من العلل والأسباب والمؤثّرات المختلفة التي كان لها الدّور في بناء وصياغة هذه الشّريحة الحضارية على الامتداد الطّويل من التاريخ.. وهذه العوامل والمؤثّرات الممتدّة على عمود الزّمان والتي تساهم في فواصل زمانيّة مختلفة في بناء وصياغة هذه الشّريحة الحضاريّة.. هي (التاريخ).

فأيّة شريحة حضارية ـ إذن ـ لاتتكوّن بصورة عفويّة منفصلة عن العوامل والمؤثّرات المقارنة والعوامل والمؤثّرات التاريخية ولايمكن فهمها بمعزل عن هذين النوعين من المؤثّرات.

والمجتمع البشري كأي شيء آخر من هذا الكون يخضع لقانون العليّة (الأسباب والمسبّبات) بكل تفاصيل هذا القانون.

وقانون العليّة (الأسباب والمسبّبات) يجري في الحقل الاجتماعي والحضاري كما يجري في حقل الفيزياء والميكانيك[١٢] في هذا الكون.

القرآن يفتح أفقاً فكرياً جديداً أمام العلم:

وهذا الفهم للمجتمع وللحضارة شيء جديد في تاريخ الفكر الإنساني .. والقرآن الكريم كما سوف نرى أوّل كتاب يفتح هذا الأفق الفكري الجديد أمام العلماء.

وفي تاريخ الفكر الإسلامي نلتقي لأوّل مرّة هذا اللّون من الفهم العلمي للمجتمع والحضارة.. ونعرف أنّ الحضارة البشريّة تخضع لسلسلة من العلل والقوانين وتتبّع قوانين وأصولاً يسمّيها القرآن الكريم بـ(السّنن الإلهيّة) ونعرف أنّ هذه ثابتة لا تتبدّل في حياة الإنسان «**ولن تجد لسنّة الله تبديلاً**»، ونستطيع أن نقول إنّ أوّل من استطاع أن يستخرج جملة من هذه السّنن ويخضعها لدراسة علميّة منظمة من علماء المسلمين هو عبدالرّحمن بن خلدون المؤرّخ والمفكّر الأفريقي المغربي المعروف فقد

استطاع ابن خلدون أن يتجاوز السّطحيّة التي كانت تتّصف بها الدّراسات التاريخيّة والحضارية من قبل واستطاع أن يكتشف الأصول والقوانين التي تتبعها الحضارة والمجتمع أو كما يقول هو (العمران البشري) واستطاع أن يكشف أن (العمران البشري) ليس بدعاً من الأشياء في هذا الكون، وإنّما هو أيضاً كأيّ شيء آخر يخضع لقانون العلّيّة: (الأسباب والمسبّبات) وبغير هذه الصّورة لانستطيع أن نفهم المجتمع والحضارة الإنسانيّة.

السّنن الإلهيّة:

يشير القرآن الكريم بشكل خاصّ إلى هذه المسألة ويؤكّد بأنّ الحضارة الإنسانيّة في ولادتها ونموها ونضجها وضعفها وانتكاسها وسقوطها وموتها تتبّع قوانين وسنناً إلهيّة ثابتة.

ويؤكّد بأنّ أمثال هذه الأحداث لاتحدث بصورة عفويّة وإنّما تحدث بموجب سنن وقوانين. وانّ هذه السّنن هي من الله تعالى وانّها سنن ثابتة لاتتبدّل ولاتتغيّر.

وينظر إليها القرآن نظرة أوسع وأشمل من النّظرة المادّيّة التي ينظر بها أصحاب التّوجّهات المادّيّة التاريخية.

حتميّة السّنن التاريخة:

والسّنّة كما يقول الراغب[١٣](الطّريقة «وسنّة الله» طريقة حكمته) فهي القوانين والأصول الإلهيّة التي تجري عليه مشيئة الله تعالى في خلقه. وهذه القوانين حتميّة لاتتبدّل. والقرآن الكريم يعبّر عن هذه الحتميّة بطرق مختلفة كقوله تعالى: «**قُل للّذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّة الأوّلين**» الأنفال/ ٣٨.

هكذا سنّة ماضية وقانون نافذ، لا يتخلّف ولا يسلم منه أحد. يقول البيضاوي في تفسير هذه الآية الكريمة «**وإن يعودوا إلى قتاله** (رسول الله) **فقد مضت سنّة الاوّلين الذين تحربوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقّعوا مثل ذلك**»[١٤]

ويقول تعالى: «**سنّة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنّتنا تحويلاً**» الأحزاب/ ٣٨.

هكذا قدر مقدور لا مفرّ منه، كما جرت هذه السنّة الإلهيّة في الذين خلوا من قبل.

«**ولايحيق المكر السّيىء إلاّ باهله فهل ينظرون إلاّ سنّة الأوّلين فلن تجد لسنّة الله تبديلاً، ولن تجد لسنّة الله تحويلاً**» الفاطر/ ٤٣.

فسوف لا تحل بهم إلاّ سنّة الله في الأوّلين وهي سنّة ثابتة لا سبيل إلى تبديلها وتحويلها.

الرّؤية التّوحيديّة لسنن الله:

والقرآن الكريم ينظر إلى هذه السّنن والقوانين والأصول الثّابتة في حركة التاريخ من خلال نظريّة الشّموليّة في (التّوحيد) وينسب هذه السّنن إلى الله تعالى جميعاً، وينفى أن تكون هذه السّنن تجري بمعزل عن مشيئة الله أو خارجة عن إرادة الله تعالى.

لاحظ الآيات ١٧/ ٧٧ و٣٢/ ٢٨ و٣٣/ ٦٢ و٣٥/ ٤٣ و٤٠/ ٨٥ و٤٨/ ٢٣ و١٧/ ٧٧.

وهـذه هي الميزة الأولى للرّؤية الإسلامية إلى السّنن والقوانين عن الرّؤية المادّيّة.

علاقة الجزاء بالعمل في سنن اللّه:

وهذه السّنن تشتمل على نوع من العلاقات بين العمل والجزاء لاتخضع للحسابات المادّيّة فإنّ التصوّر المادّي لقانون العلّيّة في التاريخ وللعلاقة السّببية بين مسلسل الأحداث في التاريخ لايزيد على تصوّر العلاقة المحسوسة بين الأحداث كالعلاقة بين العرض والطّلب في السّوق وبين أسعار البضائع.

وأما علاقة الجزاء بالعمل فهو من العلاقة السّببيّة غير المحسوسة وغير المفهومة بالرّؤية المادّيّة للتاريخ. والقرآن الكريم يلفت نظرنا إلى هذا النّوع من العلاقة والإرتباط في التاريخ.

«**ولايحيق المكر السّيّئ إلا باهله فهل ينظرون إلّا سنّة الأوّلين**» فاطر/ ٤٣.

«**واتّقوا فتنة لاتصيبنّ الذّين ظلموا منكم خاصة واعلموا انّ اللّه شديد العقاب**» الأنفال/ ٢٥.

«**أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذّين من قبلهم وكانوا اشدّ منهم قوّة**» فاطر/ ٤٤.

«**ولو قاتلكم الّذين كفروا لولّوا الأدبار ثم لايجدون وليّاً ولا نصيراً سنّة اللّه التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنّة اللّه تبديلاً**» الفتح/ ٢٢-٢٣.

«**ولا تَهنُوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون إنْ كُنتم مؤمنين**» آل عمران/ ١٣٩.

«**فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا. إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون**» النمل/ ٥٢.

«**إنّا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السّماء بما كانوا يفسقون**» العنكبوت/ ٣٤.

«**ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**» الأعراف/ ٩٦.

«**ومن يتّق اللّه يجعل له مخرجاً**» الطلاق/ ٢.

«**ومن يتّق اللّه يجعل له من أمره يُسراً**» الطلاق/ ٤.

هذه العلاقة الحتميّة وغير المرئيّة بين الفعل والجزاء مما يخفى على الذّهنيّة المادّيّة، والقرآن الكريم يسلّط الضّوء على هذا النّوع من العلائق بين الفعل والجزاء ويصفها بصفة الحتميّة التي لا سبيل إلى تبديلها وتحويلها.

سنن اللّه في التاريخ مرآة لحاضر الإنسان ومستقبله:

ثم يلفت القرآن نظر الإنسان إلى هذه السّنن الإلهيّة الثّابتة في التاريخ ليتّخذ منها مرآة ينظر من خلالها إلى نفسها وحياته وعصره.

إنّ التاريخ عندما يكون شتاتاً من الأحداث المتفرّقة التي تتجمّع وتتفرّق بصورة إعتباطيّة، ومن دون قانون وسنّه.. تفقد الشفّافيّة التي تمكّن الإنسان أن ينظر من خلالها إلى نفسه وعصره وأمّته، ولكن عندما يكون التاريخ مجموعة من السّنن والقوانين

الثابتة فإن بإمكان الإنسان أن ينظر من خلال مرآة التاريخ إلى نفسه وعصره، ويقوم من خلال هذه المرآة نفسه ومجتمعة.

إنّ سرد التاريخ في القرآن الكريم يتم من خلال تكريس الأصول والقوانين الثّابتة في حركة التاريخ.

القرآن يعرض من هذه الصّورة المقنّنة من التاريخ ليجعل منها مرآة للنّاس أن ينظروا إلى أنفسهم وعصرهم من خلالها ثم يؤكّد بصورة متكرّرة الدّعوة إلى النّظر إلى هذه المرآة والإتّعاظ والعبرة وأن يعدّل الإنسان سلوكه وعمله من خلال النّظر إلى هذه المرآة.

ولنقرأ هذه الآيات المباركات في مواضيع مختلفة من كتاب اللّه:

«أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الّذين من قبلهم دمّر اللّه عليهم وللكافرين أمثالها» محمّد/ ١٠.

«ويستعجلونك بالسّيّئة قبل الحسنة، وقد خلت من قبلهم المثلات» الرّعد/ ٦.

«فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إنّ في ذلك لآية لقومٍ يعلمون» النمل/ ٥٢.

فالخطاب هنا للأمّة وليس للفرد، والسنن والقوانين التي تذكرها هذه الآيات سنن جارية في حياة الأمم والجماعات.

«وإن أساتم فلها، فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أوّل مرّة، وليتبّروا ماعلوا تتبيراً، عسى ربّكم أن يرحمكم، وإن عدتم عدنا، وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً» الإسراء/ ٤ـ٨٠.

وهذه الآيات المباركات جديرة بالكثير من التأمّل لفهم سنن اللّه تعالى في حياة الإنسان.

فالخطاب هنا للأمّة وليس للفرد، والسّنن والقوانين التي تذكرها هذه الآيات سنن جارية في حياة الأمم والجماعات.

ولنتأمّل مرة ثانية في هذه الفقرات من آيات اللّه:

«وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرّتين ولتعلنّ علوّاً كبيراً».

بعد كلّ فساد واستكبار ينذرهم اللّه بعذاب وخراب.

«فإذا جاء وعد أولاهما» بعد الفساد والاستكبار الأول **«بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد»** وسلّط اللّه عليهم رجالاً أشدّاء ليقتلوهم وليأسروهم ولينفذوا إلى داخل بيوتهم وليذلّوهم في عقر دورهم.

ثم تؤكّد الآية الكريمة بشكل حاسم أنّ هذه النتيجة مصير حتمي لبني إسرائيل ووعد قاطع نافذ للّه تعالى **«وكان وعداً مفعولاً»** لايتخلّف ولايتغيّر، والقرآن هنا يحدّثنا عن أعمق أعماق قوانين وسنن اللّه تعالى في الكون والمجتمع.

ثمّ إذا ندم بنو إسرائيل وتابوا إلى اللّه تعالى أعاد اللّه تعالى إليهم رحمته وبركاته ومكّنهم من أعدائهم ونصرهم عليهم، وأمدّهم بالأموال والبنين.. وهذا قضاء آخر وقانون آخر وسنّة أخرى للّه تعالى ثابتة أيضاً، لاتتخلّف ولاتتبدّل.

«ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً».

ثم يأتي القضاء العام، والقانون والحكم الإلهي الثابت في بني إسرائيل وفي كل الأمم.

«إنْ أحسنتم أحسنتم لانفسكم، وإنْ اساتم فلها».

«فإذا جاء وعد الآخرة» وعاد بنو إسرائيل من جديد، نتيجة الترف إلى الطغيان والاستكبار والإستعلاء، سلّط اللّه تعالى عليهم من جديد أعداءهم، ليهلكوهم وليذلّوهم كما فعل بهم أعداؤهم أوّل مرّة.

ثم إذا عدتم إلى اللّه من جديد وتبتم وأقلعتم عن المعاصي والذّنوب فـ**«عسى ربّكم أن يرحمكم»**.. وهذه فقرة أخرى من السنن الإلهيّة من هذا المقطع القرآني.. ولكن **«وإن عدتم عدنا»** إن عدتم إلى الطّغيان والاستعلاء على وجه الأرض عاد اللّه عليهم بالعذاب والتنكيل والإذلال.

أرأيت كيف ينطق القرآن بالسنن الإلهيّة الحاسمة والنّافذة والمستمرة... **«وإن عدتم عدنا»**.

ولنستمرّ مع القرآن الكريم شوطاً آخر من التأمّل في سنن اللّه تعالى في حياة الإنسان.

«فأصابهم سيّئات ماعملوا وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون»النّحل/ ٣٤.

«وإذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمّرناها تدميراً، وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربّك بذنوب عباده بصيراً» الأسراء/ ١٦ـ١٧.

«ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذّبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون» الأعراف/ ٩٦

«ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبيّنات، وماكانوا ليؤمنوا، كذلك نجزي القوم المجرمين» يونس / ١٣.

«وكذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها ومايمكرون إلّا بانفسهم ومايشعرون» الأنعام/ ١٢٣.

والآيات القرآنيّة في هذا المعنى كثيرة، وكلّها ينطق بهذا الفهم العلمي الدّقيق للتاريخ: سنن وقوانين وأصول ثابتة للتاريخ والحياة.

ولا سقط أمّه، ولا يهتك، ولا يكون مفر ولا هزيمة ولا إنتكاسة، ولا إزدهار ونمو ونضج، إلّا بموجب قوانين وسنن إلهيّة ثابتة.

وهذه السّنن كلّها للّه تعالى أوجدها بمشيئته وحكمته، وهدى إليها عباده.

أصل وحدة الأمّة في القرآن:

في الوقت الذي يقرّر القرآن الكريم قدرة الإنسان على الإختيار والإرادة وتقرير المصير بشكل تامّ.. يقرّر القرآن الكريم أصلاً هاماً في حياة الأمم في التاريخ وهو (وحدة شخصيّة الأمّة) وهذه الوحدة في نسيج الأمّة والمجتمع **تأتي على بعدين**:

١ـ البعد الأفقي.

٢ـ والبعد العمودي

١ـ البعد الأفقي: ففي البعد الأفقي لايمكن أن يعزل الفرد الذي يعيش في مجتمع ما نفسه عن عواقب وتبعات سيّئات قومه، مهما صلح أمره.

يقول تعالى:

«**واتقوا فتنة لاتصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة**» الأنفال/ ٢٥.

وقد ينسب القرآن الكريم عمل فردٍ واحد من الناس إلى الأمة جميعاً، إذا كانت الأمة راضيّة بذلك العمل.

يقول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام:

(أيّها الناس إنّما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم اللّه بالعذاب كما عموه بالرّضى، فقال سبحانه «فعقروها فأصبحوا نادمين» فما كان إلّا أن خارت أرضهم بالخسفة)[١٥].

وكلام الإمام عليه السلام كلام دقيق، فإنّ الرّضى بالجريمة في الوسط الإجتماعي نحو من المشاركة في ذلك العمل، وإن كانت ممارسة الجريمة من طائفة من المجتمع ولكن الآخرين لما أعلنوا رضاهم منها بالسّكوت عنها، كان سكوتهم عنها بحكم الإقرار لها والمشاركة فيها، وذلك أنّ الجرائم الكبيرة المعلنة تختلف عن الجرائم الفردية التي يرتكبها النّاس في الخفاء، فإنّ المجرم لايتمكّن من ممارسة الجرائم الكبيرة أمام الملأ، ويتحدّى بها مشاعر الأمّة، لولا أن يدعمه الآخرون بالتأييد والرّضا والتّشجيع.

وعند ذلك فلا يكون المجرم وحده فإنّما يمثّل تلك الجريمة، وإنّما يشاركه فيها الرّاضون الذين دعموه وأعانوه بالرّضا والتأييد، والسّكوت.

٢ـ البعد العمودي:

ويعتبر القرآن الكريم الأمّة في عمرها الزّمني وامتدادها التاريخي قطعة واحدة متصلة ومترابطة، يعتبر الجيل السّابق مادّة وأساساً لبناء الجيل الحاضر ويكون الجيل الحاضر حصيلة لعمل الجيل السّابق، وينسب القرآن الكريم عمل الجيل السّابق، عندما يحظى برضى الجيل الحاضر إلى الجيل الحاضر.

يقول تعالى: «**لقد سمع اللّه قول الّذين قالوا إنّ اللّه فقير ونحن اغنياء، سنكتب ماقالوا، وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق... ذلك بما قدّمت أيديكم و انّ اللّه ليس بظلّام للعبيد، الّذين قالوا إنّ اللّه عهد إلينا الّا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين**» آل عمران/ ١٨١ـ١٨٣.

وهؤلاء الذين قالوا إنّ اللّه فقير ونحن أغنياء هم من اليهود الذين عاصروا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله.. واللّه تعالى ينسب إليهم جرائم آبائهم في قتل الأنبياء «وقتلهم الأنبياء».

وعندما طلبوا من رسول اللّه (ص) أن يأتيهم بقربان تأكله النّار أمر اللّه تعالى نبيّه (ص) أن يحاججهم ويقول لهم: «**قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالّذي قلتم فَلِمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين**»، علماً بأنّ القوم الذين طلبوا من رسول اللّه (ص) أن يأتيهم بقربان تأكله النّار لم يقتلوا نبياً.

ومؤاخذة الحاضرين وعتابهم بأعمال أسلافهم مذكورة في القرآن الكريم في أكثر من

موضع، ولهذه المؤاخذة والعتاب رغم أنّهم لم يرتكبوا شيئاً، مغزى اجتماعي، نعرفه جيّداً، إذا عرفنا أبعاد التصوّر الإسلامي للتاريخ والحضارة.. فإنّ هذه المؤاخذة لاتتمّ إلاّ عندما يرضى الخلف بفعل السّلف ولايتبرّأ منه ويدافع عنه، وهذه هي الوشيجة والصّلة القائمة بين الأجيال من أمة واحدة والتي تربط الأجيال من أمّة واحدة وحضارة واحدة بعضها.. ببعض .

فإذا انقطعت هذه الصّلة بين الأجيال من أمّة واحدة فإنّها ستتحوّل من أمّة إلى أمّة أخرى، وتنقلب من حضارة إلى أخرى، فلا تكون بين جيل وآخر صلة أو علاقة ولا مسؤولية ولا مؤاخذة ولا عناء.

ومادامت الأمّة والحضارة قائمة فإنّ الحب والبغض والولاء والبراء واحد لايتغيّر.. وولاء الآباء ينتقل إلى الأبناء وبراءة الآباء تنتقل إلى الأبناء، ومحاسبة الأبناء ومؤاخذتهم على جرائم آبائهم تتمّ على هذا الأساس.

ثمّ نلقي نظرة ثانية على حالة وحدة الولاء والبراءة ـ هذه ـ بين الأجيال، فترى أنّ السلف هو المسؤول عن ولاء وبراءة أبنائهم وإنحرافهم وزيغهم وانتمائهم إلى محور الباطل والطّاغوت، أو في أن يرفع ذلك مسؤولية الأبناء عن إنتمائهم إلى محور الشّرك والطّاغوت، ودون أن يسلب ذلك حرية إرادة الأبناء على تقرير مصيرهم بشكل مستقل عن الآباء، كما سوف نتحدث عن ذلك إن شاء اللّه في العنصر الثاني من عناصر النظرية الإسلامية في التاريخ.. فإنّ الآباء لاشكّ يمهدون أرضيّة خصبة للإنحراف والشّرك والفساد للجيل اللاّحق ويغذّون الجيل الذي يأتي من بعدهم بشكل غير مرئي بالفكر والحضارة الجاهليّة وينقلون فكرهم وأخلاقهم وأعرافهم وتصوّراتهم إلى الجيل الذي يأتي من بعدهم، وهذا هو البعد غير المرئي للحضارة.

ونلاحظ بشكل أكثر وضوحاً هذا التصوّر القرآني للتاريخ، والصّلة الوثيقة القائمة بين الأجيال من أمّة واحدة وحضارة واحدة في دعاء نوح عليه السلام بهلاك قومه **«وقال نوح ربّ لاتذر على الأرض من الكافرين ديّاراً، إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولايلدو إلاّ فاجراً كفّاراً»** نوح/ ٢٦ـ٢٧.

فالجيل الذي تمرّد على اللّه تعالى ورسوله من قوم نوح لايلدون إلا فاجراً وكفّاراً، وهذه الحضارة والأمّة الجاهلية لاتغذي من بعدها من الأجيال إلاّ الشرّ والفساد والفجور والكفر.

ولعلّ الآية الكريمة التالية تلقي ضوءً على هذه الحقيقة: **«والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه، والذي خبث لايخرج إلاّ نكداً»** الأعراف/ ٥٨.

وبهذه الصّورة نرى أنّ القرآن الكريم يربط الحاضر بالماضي والماضي بالحاضر من أمّة واحدة في المسؤولية والمحاسبة والمؤاخذة، فالجيل الحاضر مسؤول عن سلفه والسّلف مسؤول عن الخلف.

وهذه الآيات المباركات تكشف إلى حد بعيد أبعاد التصوّر الإسلامي في النّسيج

الاجتماعي والتاريخي المترابط للأمّة الواحدة، وحكومة قانون العلّيّة في التاريخ والمجتمع، وتأثير كل جيل في الأجيال التي تليه في الخير والشّرّ.

الهوامش

(١) الترجمة الفارسية: أحمد آرام ص ١٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المجتمع الجديد - إدوارد هالت كار- ص ١١ ترجمة محسن تلاش.
(٤) ولايعنى ذلك أنّهم ينكرون أصل العلية، في الحدث التاريخي، وإنّما يعتقدون أنّ طريقة عمل قانون العلّيّة في الحضارة والتاريخ تختلف عنها في الفيزياء والميكانيك.
(٥) ترجمة إلى العربية أحمد الشسانر..
(٦) المجتمع الجديد: إدوارد هالت كار. ص ٩-١٢ من الترجمة الفارسية محسن تلاش.
(٧) المجتمع الجديد - إدوارد هالت كار - ترجمة محسن تلاش ص ١٠.
(٨) المدخل إلى التصوّر الإسلامي قسم المجتمع والتاريخ للشهيد المطهّري ص ٢٢٩-٢٣٠ الأصل الفارسي.
(٩) دوركهايم تأليف أنتوني كيدنز الترجمة الفارسية للكتاب ص ٣١ ترجمة يوسف أباذري.
(١٠) دوركهايم تأليف أنتوني كيدنز الترجمة الفارسية ص ٣١-٣٢.
(١١) نستظهر من الآية الكريمة أنّ اليهود كانوا يقصدون من الغلّ مايقابل البسط ومايقابل الفاعليّة والتأثير.
(١٢) مع فارق نذكره قريباً.
(١٣) مفردات الرّاغب ٢٤٥.
(١٤) تفسير البيضاوي ٢٤٠.
(١٥) نهج البلاغة: تحقيق د. صبحي صالح، خطبه ٢٠١ ص ٣١٩.

رجم اليهود
... حقيقة ام خيال ؟

السيد جعفر مرتضى العاملي.

نزلت بعض الآيات القرآنية في مناسبة ترتبط باليهود ،وموقفهم من الرجم في الزنا..

والآيات في سورة المائدة، وهي التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

«ياأيّها الرّسول لايحزنك الّذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا: آمنا بافهواههم ولم تؤمن قلوبهم. ومن الّذين هادوا سمّاعون للكذب، سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه، وإن لم تؤتوه فاحذروا، ومن يرد الله فتنته: فلن تملك له من الله شيئاً، أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم * سماعون للكذب أكالون للسحت؛ فان جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم، وان تعرض عنهم: فلن يضروك شيئاً، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط، إن الله يحب المقسطين * وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله، ثم يتولون من بعد ذلك، وما أولئك بالمؤمنين * إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار، بما استحفظوا من كتاب الله، وكانوا شهداء فلا تخشوا الناس، واخشون، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، ومن لم يحكم بما انزل الله، فأولئك هم الكافرون * وكتبنا عليهم فيها: أن النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف، والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص؛ فمن تصدق به فهو كفارة له، ومن لم يحكم بما انزل الله، فأولئك هم الظالمون»[1] الى آخر الآيات رقم ٥٠.

وأما القصة التي يقال ان الآيات نزلت من أجلها؛ فان نصوصها شديدة الاختلاف، بينة التهافت، ونحن نذكر خلاصات عنها على النحو التالي:

نص الرواية

وذكروا: أنه في ذي العقدة من السنة الرابعة رجم رسول اللّه (ص) يهودياً ويهودية، زنيا، ونزل في هذه المناسبة قوله تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل اللّه، فأولئك هم الفاسقون[٢].

وقيل:بل كان ذلك في شوال من السنة الرابعة[٣].

وعن أبي هريرة: ان ذلك كان حين قدوم النبي (ص) المدينة[٤].

وللرواية نصوص متعددة، ومختلفة نذكر منها:

١ ـ عن ابن عمر: ان اليهود أتوا النبي (ص) برجل وامرأة منهم قد زنيا؛ فقال: ما تجدون في كتابكم؟. (وحسب نص آخر عنه: كيف تفعلون بمن زنى منكم؟).

فقالوا: نسجّم وجوههما، ويخزيان (وفي نص آخر عنه: نفضحهم، ويجلدون، وفي نص ثالث عنه أيضاً نحجمهما ونضربهما، فسألهم: ان كانوا يجدون الرجم في التوراة، فانكروا).

فقال (ص): كذبتم، إن فيها الرجم؛ فأتوا بالتوراة؛ فاتلوها إنْ كنتم صادقين (وفي نص آخر عن ابن عمر أيضاً: ان ابن سلام قال ذلك).

فجاؤا بالتوراة، وجاؤا بقارى لهم أعور، يقال له: ابن صوريا (وفي نص آخر عنه: فدعا (أي النّبي(ص) إبن صوريا.. فقرأ، حتى انتهى إلى موضع منها، وضع يده عليه؛ فقيل له(وفي نص آخر: فقال له ابن سلام): ارفع يدك. فرفع يده؛ فاذا هي تلوح؛ فقال، أو قالوا: إن فيها الرجم، ولكنا كنا نتكاتمه بيننا؛

فأمر بهما رسول اللّه (ص) فرجما (وفي نص آخر عنه: فرجمهما رسول اللّه (ص) بالبلاط. وفي نص ثالث عنه أيضاً: انهما رجما قريباً من حيث توضع الجنائز في المسجد).

قال: فلقد رأيته يجانىء عليها الحجارة بنفسه[٥].

٢ ـ وفي نص آخر:

أن اليهود دعوْا رسول اللّه (ص) إلى القُف[٦]، فأتاهم في بيت المدارس، فقالوا:

يا أبا القاسم، إن رجلا منّا زنا بامرأة، فاحكم.

فوضعوا للرسول (ص) وسادة، فجلس عليها، ثم قال:

إئتوني بالتوراة.

فأتي بها.

فنزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها، ثم قال:

آمنت بك، وبمن أنزلك.

ثم قال: إئتوني بأعلمكم..

فأتي بفتى شاب..

ثم ذكر قصة الرجم[٧].

٣ـ وفي نص آخر، عن البراء بن عازب قال: مرّ النّبيّ (ص) بيهودي[٨] مجلود فدعاهم؛ فقال: هكذا تجدون في كتابكم حدّ الزّاني؟ قالوا: نعم.

فدعا رجلًا من علمائهم فقال: أنشدك باللّه الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني لم أخبرك نجد حدّ الزّاني في كتابنا الرّجم، ولكنّه كثر في شريعتنا فكنا إذا أخذنا الشريف

تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد.

لم تذكر الرواية اختيارهم لهذا الحل. الى أن تقول الرواية: وأمر به فرجم؛ فأنزل اللّه: يا **أيها الرّسول لايحزنك الّذين يسارعون في الكفر.. إلى قوله: إن أوتيتم هذا فخذوه.. إلى قوله: ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون. قال في اليهود إلى قوله: ومن لم يحكم بما أنزل اللّه؛ فأولئك هم الظالمون. قال في اليهود إلى قوله: ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الفاسقون الخ**(٩).

٤ ـ وفي رواية عن جابر، جاءت اليهود برجل منهم وامرأة زنيا؛ فقال رسول اللّه (ص) إئتوني بأعلم رجلين فيكم، فأتوه بابن صوريا.. ثم تذكر الرواية مناشدته (ص) لهما، واقرارهما بالرجم بالتوراة، إذا شهد أربعة أنّهم نظروا إليه مثل الميل في المكحلة إلى أن قالت الرواية: فدعا رسول اللّه (ص) بالشّهود فجاء أربعة فشهدوا، فأمر برجمهما(١٠).

٥ ـ وفي نص آخر عن الامام الباقر عليه السلام ملخصه: ان المرأة كانت من خيبر، وكانت ذات شرف، زنت مع آخر من اشرافهم، وكانا محصنين، فكرهوا رجمهما، فأرسلوا إلى يهود المدينة، ليسألوا النبي (ص) طمعاً في أن يأتيهم برخصة، فانطلق قوم منهم كعب بن الاشرف، وكعب بن أسيد بن عمرو وشعبة ومالك بن الصّيف، وكنانة بن أبي الحقيق، وغيرهم، فسألوه، فنزل جبرئيل بالرجم، فأخبرهم، فأبوا، فقال له جبرئيل: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا، وهو شاب أسود أبيض أمرد أعور يسكن بفدك، فناشده (ص) أن يخبره عن الرّجم في التوراة فاعترف به، إذا شهد أربعة شهداء بالرؤية المباشرة، ثم كان سؤال وجواب.. ثم أمر النبي (ص) بهما فرجما عند باب مسجده.

فانزل اللّه: يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير(١١).

ثم تذكر الرواية طلب ابن صوريا من النبي (ص) ان لايذكر الكثير الذي عفا عنه في الآية، فاستجاب لطلبه، ثم سأله ابن صوريا بعض الأسئلة، ثم أسلم، فوقعت فيه اليهود، وشتموه، فلمّا أرادوا أن ينهضوا تعلّقت بنو قريضة ببني النضير.. ثم تذكر الرواية ما سيأتي من قضية القود والدية والتحميم والتجبيه عند قتل واحد من هذه القبيلة أو تلك، فانتظر(١٢).

٦ ـ وعن ابن عباس: أن رسول اللّه (ص)، أمر برجمهما عند باب المسجد، فلمّا وجد اليهودي مسّ الحجارة، قام على صاحبته، فحنى عليها، يقيها الحجارة حتى قتلا جميعاً؛ فكان مما صنع اللّه لرسول (ص) في تحقيق الزّنا منهما وعند الطّبراني: انّ النّبي (ص) أتى بيهودي ويهودية قد أحصنا، فسألوه أن يحكم بينهما بالرّجم، فرجمهما في فناء المسجد(١٣).

٧ ـ وفي نص آخر عنه: أن رهطاً أتوا النّبيّ (ص) جاءوا معهم بامرأة، فقالوا: يامحمّد ما أنزل عليك بالزنا؟ فقال: إذهبوا فأتوني برجلين من علماء بني إسرائيل، فذهبوا فأتوه

برجلين أحدهما شاب فصيح، والآخر شيخ قد سقط حاجبه على عينيه، حتى يرفعهما بعصابة، فناشدهما أن يخبراه بما أنزل اللّه على موسى في الزّاني، فأخبراه بنزول الرّجم إلى أن تقول الرواية: فقال: إذهبوا بصاحبتكم؛ فإذا وضعت ما في بطنها فارجموها[١٢].

٨ـ وعن أبي هريرة طويلة ومفصّلة، وملخصها، أن يهوديين زنيا، فقرر علماؤهم رفع أمرهما إلى الرّسول(ص) فإن حكم بالرجم، كما في التوراة خالفوه، كما لم يزالوا يخالفونها في ذلك، وإن حكم بما هو أخفّ من ذلك أخذوا به، واعتذروا إلى الله بأنهم عملوا بفتيا نبي من أنبيائه.

فأتوه إلى المسجد، وسألوه؛ فلم يجبهم، بل قام ومعه بعض المسلمين، حتى أتى مدارس اليهود وهم يتدارسون التوراة، فقام (ص) على الباب وناشدهم أن يخبروه بحكم التوراة في الزاني المحصن قالوا يحمم ويجبّه (والتحميم تشويه الوجه والتجبيه أن يحمل الزانيان على حمار، ويقابل اقفيتهما، ويطاف بهما)

وسكت حبرهم الشاب.. ثم اعترف للنبي بالرجم في التوراة، ثم أمر النبي (ص) برجمها .

فبلغنا: أن هذه الآية انزلت فيه: «**انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيّون الذين اسلموا للذين هادوا**»[١٥] وكان النبي (ص) منهم[١٦].

٩ ـ وفي رواية أخرى عنه، جاء في آخرها: (فخير في ذلك، قال: فإن جاؤ ك، فاحكم بينهم، أو اعرض عنهم)[١٧].

١٠ـ وعند البيهقي عنه: ان احبار اليهود اجتمعوا في بيت المدارس، حين قدم رسول اللّه (ص) المدينة، وقد زنى منهم رجل بعد احصانه، بامرأة من اليهود قد احصنت فقال: انطلقوا بهذا الرجل وبهذه المرأة إلى محمد(ص) فسلوه كيف الحكم فيهما.. ودلوه الحكم عليهما، فان عمل بعملكم فيهما من التجبية... إلى أن قال: فاتبعوه وصدقوه، فانما هو ملك، وإن هو حكم فيما بالرجم، فاحذروا على ما في ايديكم أن يسلبكموه..... إلى أن تقول الرواية: انه طلب من اليهود أن يخرجوا إليه أعلمهم؛ فأخرجوا له ابن صوريا الاعور..

وقد روى بعض بني قريظة: أنهم أخرجوا إليه مع ابن صوريا، أبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا. فقالوا: هؤلاء علماؤنا...

إلى أن تقول الرواية: قالوا لابن صوريا: هذا أعلم من بقي بالتوراة؛ فخلا به رسول اللّه (ص) ـ وكان غلاماً شاباً، من أحدثهم سناً فألظّ به المسألة رسول اللّه (ص)...

ثم تذكر الرواية: مناشدة النبي (ص) له، واعترافه بأن التوراة جاءت بالرجم؛ فخرج (ص)؛ وأمر بهما؛ فرجما عند باب مسجد في بني غنم بن مالك بن النجار. ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، فانزل اللّه:

«يا أيها الرسول، لايحزنك الذين يسارعون في الكفر... إلى قوله: سماعون لقوم آخرين، لم يأتوك يعني الذين لم يأتوه، وبعثوا

وتخلفوا وأمروهم بما أمرهم به من تحريف الحكم عن مواضعه، قال: يحرفون الكلم عن مواضعه؛ يقولون: إن أوتيتم هذا فخذوه (للتجبية) وإن لم تؤتوه (أي الرجم) فاحذروا»[١٨].

هذا.. وقد صحّح القرطبي نزول الآيات بهذه المناسبة[١٩]، وهو ما اعتمده كثير من المفسرين. ولكن أيضاً آخر ذكر أنهم سألوا النبي (ص) فافتاهم بالرجم فأنكروه؛ فناشد أحبارهم، فكتموا حكم الرجم إلّا رجلاً من أصاغرهم أعور؛ فقال: كذبوك يا رسول اللّه، إنه في التوراة[٢٠].

وأخيراً.. فقد نقل ابن العربي، عن الطبري، والثعلبي عن المفسرين، قالوا: انطلق قوم من قريظة والنضير، منهم كعب بن الاشرف، وكعب بن اسد، وسعيد بن عمرو، ومالك بن الصيف، وكنانة بن أبي الحقيق، وشاس بن قيس، ويوسف بن عازوراء؛ فسألوا النبي (ص)، وكان رجل وامرأة من أشراف أهل خيبر زنيا؛ واسم المرأة (بسرة). وكانت خيبر حينئذٍ حرباً؛ فقال لهم: إسألوه، فنزل جبريل على النبي (ص)؛ فقال: اجعل بينك وبينهم ابن صوريا الخ[٢١].

مناقشة النص:

وبعد ما تقدم؛ فاننا نسجل على الروايات المتقدمة المؤاخذات التالية:

١ ـ إن مقارنة سريعة فيما بين هاتيك النصوص كافية للتدليل على مدى ما بينها من اختلاف، وتناقض ظاهر، وصريح حتى في روايات الراوي الواحد؛ حتى إنك لاتكاد تجد فقرة، إلّا وثمة ما ينافرها ويناقضها، الأمر الذي لا يدع مجالاً للشكك بأن التصرف والتغيير لم يكن عفوياً، وإنما ثمّة تعمد للتصرف والتزوير في هذه القضية..

فلا يمكن أن تكون الحقيقة هي كل ما تقدم على الاطلاق.

ولئن استطاعت بعض التمحلات للجمع ـ وبعضها ظاهر السخف والتفاهة ـ التخفيف من حدةّ التنافي في بعض الموارد؛ فان ذلك إنما يأتي في موارد محدودة، وتبقى عشرات الموارد الأخرى على حالها من الاختلاف والتنافر..

٢ ـ وذكرت بعض الروايات نزول قوله تعالى: «يا ايها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر، من الذين قالوا: آمنا بافواههم، ولم تؤمن قلوبهم. ومن الذين هادوا، سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين لم ياتوك إلخ...».

في ابن صوريا.. الذي أسلم، ثم كفر بعد ذلك، أو في طائفة اليهود التي قامت بهذه اللعبة.

ونقول: إن ذلك لايمكن أن يصح؛ فانه عدا عن أن سورة المائدة قد نزلت قبيل وفاة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلم. فان هاتين الآيتين لاتنطبقان على المورد، وذلك لأنّ مفادهما: وجود فريقين:

أحدهما: يسارع في الكفر، ويظهر الإيمان ويبطن الكفر.

والثاني: فريق يهودي سماع للكذب، سماع لقوم آخرين.

ويظهر أنّ الفريق الأوّل ليس من طائفة اليهود، وإنما هو من المنافقين بقرينة التنصيص على كون الفريق الثاني كان يهودياً، المشعر بأن الفريق الأول لم يكن من طائفة اليهود..

مع أن الرواية التي تذكر نزول الآيتين في ابن صوريا، أو في طائفة اليهود.. تجعل الفريقين واحداً، وهو خلاف ظاهر الآيتين..

٣ـ قد جاء في رواية ابن عبّاس: أن اليهودي لما وجد مسّ الحجارة (حتى على صاحبته يقيها الحجارة، حتى قتلا جميعاً، فكان مما صنع اللّه لرسول (ص) في تحقيق الزنا منهما لم نفهم كيف يكون حنّوه عليها، ليقيها الحجارة، دليلاً على تحقيق الزنا منهما.. فاَن الانسان قد يعطف حتى على الحيوان، فضلاً عن الانسان.. فلا يمكن أن يكون حنّوه عليها، ولا على غيرها دليلاً على شيء من هذا القبيل.

٤ـ لقد نصت رواية أبي هريرة، على أنهم يعتذرون إلى اللّه سبحانه عن ترك الرجم، بأنهم قد عملوا بفتيا نبي من أنبيائه (يعني محمداً (ص) .

ومعنى ذلك هو أنهم يعتقدون بنبوته (ص)، فلا يكونون من اليهود.

لكن نصاً آخر عن أبي هريرة نفسه يقول: إنه إن أفتى بغير الرجم، فانه يكون ملكاً، وإن أفتى بالرّجم، فاحذروا على مافي أيديكم ان يسلبكموه..

فنبوّته إذن توجب لهم الحذر من أنّ يسلبهم ما في أيديهم، وليس ثمة اعتذار منهم الى اللّه سبحانه وإن أفتاهم بغير الرجم، ذلك دليل على كونه ملكاً.

ومعنى ذلك هو ترددهم في نبّوته وعدمها، وذلك بعكس النصّ السّابق.

٥ ـ إن الآيات التي في سورة المائدة، ويدعى نزولها في هذه المناسبة، وهي من الآية ٤١ ـ ٥٠ لم تتعرض لحكم التوراة في الزنا أصلاً. وإنما تعرضت بالتفصيل لأحكام القتل والجروح ونحوهما.. مع أنّها لو كانت نازلة في هذه المناسبة، فان المفروض هو أن تبين حكم الواقعة المختلف فيها، والتي أوجبت نزولها.

والذي يلاحظ الآيات المذكورة، فإنّه يجدهامترابطة ومنسجمة مع بعضها البعض، ويدرك أنّها نزلت في واقعة واحدة، لا أنّ كلّ واحدة منها نزلت في واقعة تختلف عن الواقعة التي نزلت في الآية الأخرى.

٦ـ إن بعض الروايات تفيد: أنه (ص) هو الذي عرض نفسه للحكم في هذه المسألة، حينما رآهم يجرون أحكام دينهم على الزانيين، فتدخّل هو نفسه، متبرّعاً، وانجر الأمر إلى الحكم بالرّجم.

مع أن الآيات المذكورة تقول: «**فان جاءوك فاحكم بينهم. أو اعرض عنهم. وإن تعرض عنهم؛ فلن يضّروك شيئاً، وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط**»

وإذن.. فحكمه (ص) بينهم معلق على مجيئهم إليه، وترافعهم «**فان جاؤوك فاحكم**».

أضف إلى ذلك: أنّ الآية تقول: «**فاحكم بينهم**»، الظاهر بحدوث خلاف بين المترافعين،

المتنازعين، يحتاج إلى الحكم، وفصل الخصومة فيه. وليس في النصوص المتقدمة ما يشير إلى حدوث خلاف في أمر الزانيين المرجومين، بل في بعضها تلويح، بل وتصريح **بعدمه**..

٧ ـ ويلاحظ على بعض الروايات أيضاً: **محاولة إظهار تعظيم النبي (ص) للتوراة،** التي كانت لديهم، وايمانه (ص) بما جاء فيها.

وهذا هو ما دعا البعض إلى القول بأن التوراة لم تتعرض للتحريف، حيث استدل بالروايات المتقدمة على ذلك[٢٢].

ولعل مما يزيد في تأكيد ذلك وتثبيته قولهم بنزول آية: «**إنا انزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيّون الّذين اسلموا للّذين هادوا**» في هذه المناسبة.

على اساس أن مراد الآية ـ والحالة هذه ـ بالتوراة التي لها هذه المواصفات هي نفس هذه التوراة التي عظمها رسول اللّه (ص)، وقرأها إبن صوريا، وعليه فإنّ التوراة التي كانت بحوزة اليهود وكانت سليمة عن التحريف، بنص الآية الشريفة.

مع أن تحريف التوراة كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النّهار.

وقد حاول العسقلاني دفع هذه الغائلة، بطرح فكرة: أنّ المراد أنّه (ص) مؤمن بما جاء في أصل التوراة، لا بهذه التوراة المحرفة[٢٣].

وهو تمحل ظاهر؛ فانه (ص) إنما خاطب بكلامه هذا خصوص التوراة الموضوعة امامه.

واحتمال أن تكون خصوص تلك النسخة غير محرفة، دون غيرها[٢٤].

يدفعه: أن من غير المعقول: أن يأتوه بالتوراة الصحيحة، لأجل التحاكم إليها، وليس من الممكن لهم تسجيلي ادانة ضدهم، بأنهم يتعاملون بتوراتين: احداهما محرفة، والأخرى صحيحة!!

٨ ـ وحين قال البعض: إن حكم الرجم لم يكن مشرعاً في الاسلام، فانه ادّعى أنه (ص) إنما رجمهم بحكم التوراة، فانه (ص) كان أول قدومه إلى المدينة مأموراً باتباع التوراة، والعمل بها حتى يأتي ناسخ، ثم نسخ حكم التوراة بالرجم، بعد ذلك[٢٥].

وأجابوا عن ذلك: بأن اليهود إنما جاؤا يسألون النبي (ص) عن الحكم الذي عنده، وقد قال سبحانه: «**وان احكم بينهم بما انزل اللّه، ولا تتبع اهواءهم**».

فمراجعته للتوراة، إنّما كانت من أجل أن يثبت لليهود: أن حكم التوراة لايخالف حكم القرآن[٢٦].

هذاكله.. عدا عن الأحاديث التي أشرنا إليها في عدة مواضع، من أنه صلّى اللّه عليه وآله وسلم كان يخالف اليهود في كل مورد، حتى قالوا: إن محمداً يريد أن لايدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه..[٢٧]

٩ ـ وأما أنه (ص) قد رجم اليهوديين في أول قدومه المدينة، أو في السنة الرابعة، ويؤيد الأول ذكر كعب بن الأشرف في عدد من النصوص، مع أن كعباً قد قتل قبل السنة

الرابعة بمدة طويلة ـ أما ذلك فيرد عليه:

أ: انهم يقولون: إن عبدالله بن الحرث بن جزء قد حضر ذلك، وعبدالله إنما قدم المدينة مسلماً بعد فتح مكة[٢٨].

ب: انه يظهر من حديث ابن عباس: أنه هو أيضاً قد شاهد ذلك[٢٩]، اي وابن عباس إنما قدم المدينة مع أبيه بعد فتح مكة أيضاً.

ج: ان الآيات التي يدعي نزولها في هذه المناسبة قد جاءت في سورة المائدة، النازلة في آواخر حياته (ص) وقد نزلت دفعة واحدة، كما سنشير إليه ان شاء الله تعالى..

د: قال العيني: (.. وقد وقع الدليل على أن الرجم وقع بعد سورة النور، لأن نزولها كان في قصة الإفك، واختلف هل كان سنة أربع، أو خمس أو ست، والرجم كان بعد ذلك، وقد حضره أبوهريرة، وإنما اسلم سنة سبع)[٣٠].

وبعد ما تقدم، فكيف يكون رجم اليهوديين في السنة الرابعة، أو في أول الهجرة؟!

١٠ ـ وترد هنا الأسئلة التالية:

لماذا عرف المؤرخون اسم المرأة المرجومة ولم يعرفوا اسم الرجل[٣١]!

ولماذا تعلقت بنو قريظة ببني النضير، حينماحكم رسول الله (ص) بالرجم؟!

ولماذا يستفتي اليهود النبي (ص) حينما كرهوا رجم صاحبيهما؟.

وكيف ذكرت رواية الامام الباقر (ع) التحميم والتجبيه عند القتل، لا عند الزنا؟

ثم إننا لم نفهم المراد من كونه كان يحاني (أي ينحني) على المرأة، يقيها الحجارة بنفسه. فهل كانا في حفرة واحدة؟!

أضف إلى ذلك: أن الرواية عن الامام الباقر (ع) تفيد: أن الرجم كان معمولاً به عند اليهود حتى ذلك الوقت، حيث تقول: إن اليهود كرهوا رجم صاحبيهما، ولذلك استفتوا النبي (ص).

١١ ـ إن نزول الآيات المتقدمة في اول البحث: «وان احكم بينهم بما أنزل الله»، وغير ذلك من آيات تقدمت غير معقول، وذلك للامور التالية:

أ ـ لأن هذه الآيات في سورة المائدة: ٤١ ـ ٤٧ وسورة المائدة كانت من آخر ما نزل؛ فلا يعقل أن يحتفظ بهذه الآيات من اول الهجرة إلى قبيل وفاته (ص) ثم تنزل سورة المائدة؛ فيجعلها فيها.

ب ـ أضف إلى ذلك: انه يقولون: انها قد نزلت كلها، دفعة واحدة؛ فراجع[٣٢].

ج ـ انهم قد ذكروا سبباً آخر لنزول الآيات في بني النضير، وبني قريظة، وهو: أن بني النضير، كانوا اكثر مالاً وأحسن حالاً من بني قريظة. وكانوا حلفاء لابن أبي. وكان من يقتل منهم، لايرضون من بني قريظة بالقود، بل يلزمونهم بالدية وبالقود من القاتل معاً. أما لو قتل نضري قريظياً؛ فان القاتل يحمم، او يجبّه، ويدفع نصف الدية، ولايقاد به، وكتبوا بذلك كتاباً في الجاهلية؛ فلما هاجر (ص) إلى المدينة، وضعف أمر اليهود قتل قريظي نضريا فطالبوهم بالدية والقود، فأبوا وطلبوا أن يحكم (ص) بالأمر، فطلب بنو النضير من حليفهم ابن أبيّ أن يقنع النبيّ بعدم نقض الشرط

الذي بينهم وبين القريظيين وقال لهم ابن أبي: ان حكم بنقض الشرط فلا تطيعوه في ذلك.. فنزلت الآيات.

يا أيّها الرّسول لايحزنك الّذين يسارعون في الكفر الخ.. إلى قوله: ومن لم يحكم بما أنزل اللّه؛ فأولئك هم الكافرون بل في بعض النصوص: أن الحرب كادت أن تقع بينهما، ثمّ ارتضوا بالنّبي (ص)(٣٣).

ولعل هذا أنسب؛ بالآيات وسياقها، كما أنه هو الانسب بالمعاهدة التي ابرمت بين المسلمين واليهود حين قدوم النبيّ (ص) إلى المدينة؛ حيث قد نصت على (ان ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده؛ فان مرده إلى اللّه عز وجلّ وإلى محمد (ص) فهذه القصة كاد أن يحدث فيها حدث، او اشتجار يخاف فساده، فالمرجع فيها إلى اللّه سبحانه وإلى محمد (ص)..

ويظهر من رواية ابن جريح، وغيره: أن النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم، لما حكم بالرجم في الزنا، ورأت قريظة: أنه قد جاء بحكم التوراة، عرفت: أن بإمكانها أن تطرح قضيتها عليه (ص) وتحصل على حقها، ففعلت ذلك؛ فلما حكم النبي صلّى اللّه عليه وآله وسلم فيها، غضب بنو النضير وقالوا: لا نطيعك في الرجم، ولكنا نأخذ بحدودنا التي كنا عليها، وذلك من أجل أن يتملّصوا من حكمه (ص).

ولكن يبقى في المقام اشكال، وهو: أن نزول الآيات، قد كان بعد محاربته صلّى اللّه عليه وآله وسلم لهاتين الطائفتين بمدة طويلة، فلابد وأن يكون سبب نزولها أمراً آخر.

إلا أن يدّعى: أن بقايا هاتين الطائفتين كانت لاتزال في المنطقة، ولاسيّما أولئك الذين لم يشاركوا في الحرب منهم ـ إن كانوا ـ فلعل القصة قد حصلت بعد ذلك، أي في آواخر حياته (ص).

وأما بالنسبة لعبداللّه بن أبي، فانهم يقولون: إنّه قد توفّي في سنة تسع من الهجرة فلا إشكال من هذه الناحية..

سّر الوضع والاختلاق

ويبقى أن نشير إلى أن سر وضع الرواية المتقدّمة، التي عرفنا عدم إمكان صحّتها بوجه، فيمكن أن يكون هو ـ حسبما يفهم من النصوص من تصريحاتهم ـ بما يلي:

١ ـ ما تقدم من اظهار تعظيم النبي (ص) للتوراة حتى لينزع الوسادة من تحته ليضع التوراة عليها.

٢ـ النصّ على إيمانه(ص) بما جاء فيها، وإذن.. فيجب على كل مسلمّ أن يقتدي برسول اللّه سبحانه، ويؤمن بها..

٣ ـ وذلك يعني: أنها صحيحة وغير محرفة، فلا يصح ما يدعيه المسلمون على اليهود من تحريفهم لها..

٤ ـ إظهار: أن رسول اللّه (ص) كان يعمل بالتوراة في كل ما لم ينزل فيه عليه شيء، فلا مانع من العمل بها الآن في كل مورد لايجد المسلمون حكمه، أو يرون: أنه لم ينزل فيه شيء..

٥ـ إظهار دور عبدالله بن سلام المتمين، في تحقيق الحق، واظهاره، حتى ليأتي بنفس التعبير القرآني «**فاتوا بالتوراة، فاتلوها، إن كنتم صادقين**»[٣٤].

ولابد ان يكون هذا من شدة انسجامه مع القرآن، ومع آيا ته، وعمق ايمانه به، حتى اصبح كلامه عين الآيات القرآنية، نفس عباراتها..

٦ ـ إظهار ورع أحبار اليهود ورؤساءهم، حتى ليقروا للنّبي(ص) بالحقيقة بمجرّد مناشدته لهم..

ولاندري كيف يكون هذا الورع والتقوى من أناس يحرفون كتابهم ويستبدلون أحكامه، أو يسكتون على تبديلها، ويرضون به؟!

٧ـ التأكيد او نقل الالحاح إلى جواز: أن يفتي الرجل الآخرين بما يخالف دينه وشريعته، لأنّهم يقولون: إنّ حكم الاسلام لم يكن هو الرجم، رغم أن اللّه سبحانه قد أمره (ص) ان يحكم بينهم بما أنزل اللّه..

٨ـ إن النبي (ص) يشارك اليهود في كتمان ما أنزل اللّه سبحانه، حيث طلب ابن صورياً من النّبي(ص) أن لايذكر الكثير ممّا حرفوه، فاستجاب (ص) لطلبه..

٩ ـ ولعل أيضاً ابعاد سورة المائدة عن أن تكون قد نزلت في أواخر ايام حياته صلّى اللّه عليه وآله وسلم، وذلك لأن فيهاآيتي الولاية النازلتين يوم غدير خم، الذي كان قبيل وفاته (ص)، والآيتان هما، قوله تعالى:

«**يا ايها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك، وان لم تفعل فما بلغت رسالته. واللّه يعصمك من النّاس**»[٣٥].

وقوله تعالى: «**اليوم اكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**»[٣٦].

فاذا كانت سورة المائدة قد نزلت دفعة واحدة، وثبت نزول آيات في قضية رجم اليهوديين، التي يصّرحون: أنّها كانت في أوّل الهجرة، أو في السنة الرابعة..

فان معنى ذلك هو أن الآيتين المتقدمتين لم تنزلا في مناسبة غدير خم قبيل وفاته، فيتطرق الشك إلى أهل حديث الغدير..

اليهود في آيات سورة المائدة:

إننا إذا راجعنا الآيات الكريمة الواردة في سورة المائدة، أعني قوله تعالى: «.. **يا ايها الرسول، لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر، من الذين قالوا: آمنا، بافواههم، ولم تؤمن قلوبهم، ومن الذين هادوا، سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين، لم يأتوك. يحرفون الكلم من بعد مواضعه. يقولون: إن اوتيتم هذا؛ فخذه؛ وان لم تؤتوه؛ فاحذروا، ومن يرد اللّه فتنته؛ فلن تملك له من اللّه شيئاً. أولئك الذين لم يرد اللّه أن يطهر قلوبهم. لهم في الدّنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم.**

سماعون للكذب، اكالون للسحت، فان جاؤوك، فاحكم بينهم، أو أعرض عنهم؛ وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً، وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط. إنّ اللّه يحبّ المقسطين. وكيف يحكّمونك وعندهم التوراة فيها حكم

اللّه، يتولّون من بعدك، وما أولئك بالمؤمنين»[٣٧].

إننـا إذا راجعنا هذه الآيات، وتأملناها، فسوف نجد فيها الكثير من الحقائق الهامة، والمطالب العالية، التي يهم الانسان المسلم الوقوف إليها، والتعرف عليها، وبما أن المجال لا يتسع لطرح كل ما نجده ـ بفهمنا القاصر ـ في ثنايا هذه الآيات، فلسوف نقتصر على الإلماح العابر لأمرين فقط، لربّما نجد فيهما بعض الصلة فيما نحن بصدده، وهذان الامران هما:

الأول: اننا نلاحظ: أن بعض الأمور، تبدو لنا صغيرة وثانوية، وغير ذات أهمية، ثم إننا إذا رجعنا إلى القرآن الكريم، نجده قد أولاها المزيد من العناية، واهتم بها اهتماماً بالغاً، فنزلت بخصوصها الآيات الكثيرة، ذات الطابع القوي، والعنيف، والمركّز.. مع إظهار: أن النبي (ص)، الذي يتصرف من موقع الوالد الرحيم لكل أحد، والذي تذهب نفسه حسرات، من أجل هداية الناس، وابعادهم عن مزالق الشر والجريمة ـ هذا كله عدا عن موقعه (ص) كقائد ومشرع حكيم ـ نعم.. إن هذا النبي، يهتم ويغتم، ويحزن كثيراً، لأجل هذه الامور بالذات..

ولعل ذلك يرجع: إلى أن هذا الذي رأيناه ثانوياً، وغير ذي اهمية، بنظرنا القاصر.. إنما يكشف عن خلفيات مرعبة، وبواعث ومنطلقات خطيرة، من شأنها أن تقوض كل بناء، وتنسف كل جهد، وتحبط كل مسعى في سبيل اقامة صرح العدل، وتثبيت الحق وترسيخه..

ولتصبح من ثم كل تلك الجهود، وهاتيك المنجزات مجرد ظواهر ومظاهر لامعة، وشكليات خادعة، ليس لها من الثبات، والاصالة والرسوخ، ما يمكنها من الصمود والتصدي في مواقع التحدي، ولا من مواجهة المحن، والعوادي، والاخطار..

وواضح: أن كل جهد وبناء، لايقوم على الركائز العقيدية والايمانية، والاخلاقية، والسلوكية الثابتة، ولايكون سوى جهد ضائع، وسراب خادع، لا حياة له ولا بقاء، ولسوف ينتهي إلى التلاشي، والدمار والفناء..

وهذا هو القرآن نراه في هذه المناسبة يركز على الخصائص الايمانية والعقيدية بالنسبة إلى اليهود، والمنافقين على حد سواء..

فهو تعالى يقول عن اليهود: «**وما أولئك بالمؤمنين**».

ويقول عن المنافقين: «**الذين آمنوا، ولم تؤمن قلوبهم**» و «**يسارعون في الكفر**».

وعنهما معاً يقول: «**ومن يرد اللّه فتنته؛ فلن تملك له من اللّه شيئاً، أولئك الذين لم يرد اللّه ان يطهر قلوبهم**».

وعن خصائصهم السلوكية والاخلاقية يقول: «**سماعون للكذب اكالون للسحت**» «**يحرّفون الكلم من بعد مواضعه**»[٣٨].

أي أنهم رغم كل خبثهم وشيطنتهم، هم من الحمق، وقلّة العقل إلى حدّ أنّهم أصبحوا سماعين للكذب، الذي ينبت النفاق[٣٩]. وهو كلّ شيء[٤٠] وجعلت مفتاحه الكذب[٤١] إلى غير ذلك من مما يوضح: أن الكذب هو أم الخبائث، وأساس الموبقات.

لقد بلغ الحمق وقلة العقل بهم حداً، أصبحوا معه بحيث يستهويهم الكذب وأصبح دوراً رئيسيّاً في حياتهم وتعاملهم؛ فهم سماعون له، بملء إرادتهم، ومع مزيد من الانس به، والالف له.

كما أنهم قد رضوا بأن يكونوا آلات بأيدي الآخرين، الذين يرون: أنّ الحفاظ على امتيازاتهم الظالمة، لن يكون إلا في ظل مقاومة دعوة الاسلام، التي هي دعوة الحقّ والعدل والخير، والأمن والسلام، والنعمة والبركان..

ويلاحظ هنا: أنّه سبحانه وتعالى قد كرّر عبارة «سماعون للكذب»، ولعله ليشير بذلك إلى أن تعاملهم قائم على أساس مواصلة السماع للكذب، الذي هو أحد أهم مناشيء البلايا والمصائب، والنكبات، حينما يكون ثمة منْ يتّخذ الكذب شعاره ودثاره فهو يتحرك، ويخطط، ويتعامل على اساسه، عن سابق إرادة، واختيار، وسابق معرفة وتصميم، حيث رضي بأن يكون الكذب رائد انطلاقته في الحياة؛ بهدف الحصول على الامتيازات الظّالمة واللامشروعة، والحفاظ عليها.

لقد كرر سبحانه وتعالى ذلك، ليؤكد على مدى حمقهم وقلّة عقلهم، حتى لقد رضوا لانفسهم أن يصبحوا العوبة في أيدي الذين يتعاملون على اساس الكذب والدجل فهم سماعون للكذب، سماعون لقوم آخرين. من دون تعقل و تدبر أو تفكير وتأمل..

والصّفة الثانية، التي نعى سبحانه وتعالى اتّصافهم بها، هي: حبّهم للمال، وتفانيهم في سبيله، ولكن المال الذي لايحصل عليه الإنسان بالطّرق المشّرفة والمشروعة، وإنّما يرتكب من أجله مايسحت دينه ومروءته، ويلزمه العار؛ ليكون «سحتاً» حسبما ورد في تفسير السّحت[٤٢].

وهذا يدلّل على مدى الانحطاط والمهانة، والرذالة في شخصيتهم، وفي انسانيتهم حتى ليصح أن يُقال: انهم قد أصبحوا موجودات ممسوخة، لا تملك شيئاً من الميزات والخصائص الانسانية على الإطلاق.

فالمهم لدى هؤلاء هو الدنيا، والحصول على زخرفها، من أى طريق كان، وبأيّة وسيلة كانت، حتى ولو كان ثمن ذلك هو دينهم ومروءتهم ولزوم العار الدائم لهم.

ولعل هذا هو ما سهلّ على الآخرين أن يسخروهم لارادتهم، حتى ليصبحوا ادوات طيّعة في أيديهم؛ فإنّ حبّهم العظيم للمال وتفانيهم في سبيل الحصول عليه قد أعمى بصائرهم، وسلبهم عقولهم، وأعماهم وأصمهّم، وأصبحوا حمقى وقليلي عقل، ودمى طيعة بأيدي الطامعين المستغلين إذ قد أصبح المال والدنيا بالنسبة إليهم هو كل شيء، وليس قبله ولا بعده شيء، فهو المعيار لهم في كل موقف، وليست هي المبادئ الالهية، والمثل والقيم الانسانية..

وإن هذين الأمرين.. أعني: قلة عقولهم، وصيرورتهم أدوات طيعة مسلوبة الأختيار بأيدي الطامعين والمفسدين.

وأيضاً.. انسلاخهم عن الخصائص الانسانية، وعن الالتزام بالمبادئ الالهية، بسبب حبهم للمال، حتى لو كان ثمنه هو أن

يسحت دينهم ومروءتهم ويلزمهم العار..

إن ذلك.. هو من أهم العوامل لتبديد كل الجهود الخيرة، واحباط كل الأعمال الجهادية والتضحيات الكبيرة في سبيل اعلاء كلمة الحق، والعدل وتعميق جذور شجرة الاسلام المباركة لتنمو باسقة وارفة الظلال، عزيزة الشموخ..

الثاني: اننا نلاحظ: ان القرآن الكريم حين يستنكر تحاكمهم للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، إنّما يستنكر أن يكون قصدهم من ذلك هو الوصول إلى الحق، والحصول على الحكم العدل، إذ لو كان الأمر كذلك، لما احتاجوا إلى التحاكم إليه (ص)؛ لأن حكم هذه القضية، سواء أكانت هي قضية الرجم، أو هي قضيّة التمرّد التي نميل إلى انّها هي مورد نزول الآية ـ إن حكم هذه القضية واضح وجلّي في التوراة التي عندهم، وهي واضحة الدالة على هذا الحكم..

وهم إنّما يقبلون بالتحاكم إليه(ص) من أجل تحقيق مآربهم في الابتعاد عن حكم اللّه، حسب ظنّهم، حتى إذا ماأحسّوا بأنّ الحكم سوف يأتي موافقاً لما عرفوه من حكم اللّه في التوراة نجد لديهم التصميم والتآمر، والتمرد سلفاً على هذا الحكم الالهي، حتى قبل صدور الحكم..

فتواجههم الارادة الالهية بالاصرار على اقامة حكم اللّه سبحانه، إن كان لابد من الحكم.. وإلا.. فان الاعراض عنهم، حيث يكون هذا الحكم في معرض الاغتيال والتآمر هو أيضاً لا حرج فيه، مادام أنهم قد تآمروا على هذا الحكم سلفاً، بهدف اغتياله، بل و حتى التمرد عليه بصورة علنية وفاضحة.

فيكون النبيّ فيما بينهم خاضعاً لما يراه مفيداً للاسلام، وللمسلمين، ويساهم بشكل أو بآخر في فضيحتهم وخزيهم، وإبطال تآمرهم في الدنيا ثم لهم في الآخرة عذاب عظيم، تماماً كما قال تعالى: «**لهم في الدنيا خزي، ولهم في الآخرة عذاب عظيم**».

وبعد كل ما تقدم فان هذه الآيات تفيدنا: انه لا مجال للمهادنة، ولا للمساومة مع أحد أياً كان على حساب الدين والحق، وأنه لايمكن التنازل عن الاحكام الالهية في مجال التشريع، لإستجابة لحالات طارئة، ولضغوطات معينة.. وإن كان قد يفرض الواقع عدم التوسّل ببعض الوسائل العنيفة، لفرضه الحكم الإلهي وتطبيقه، أو انتظار الفرصة المناسبة من أجل ذلك..

وفقنا اللّه للسير على هدى القرآن، والإلتزام بتعاليمه، والإهتداء بنوره، إنّه ولي قدير، وبالاجابة جدير.

الهوامش

(١) المائدة ٤١ ـ ٤٥.

(٢) تاريخ الخميس ج١ ص ٤٦٧ وراجع: عون المعبود ج١٢ ص ١٣١ عن القسطلاني، وشرح الوطأ للزرقاني ج٥ ص ٨٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص ١١٧. اما الذهبي، فذكر ذلك في السنة الرابعة، من دون تحديد الشهر، فراجع تاريخ

الاسلام (المغازي) ص ٢١٠.
(٣) التنبيه والاشراف ص ٢٢٣.
(٤) نصب الراية ج٣ ص ٣٢٦ وسنن ابي داود ج٤ ص ٥٦ وعمدة القاري ج١٨ ص ١٤٧ وفتح الباري ج١٢ ص ١٥١ و ١٥٢.
(٥)راجع في النصوص المختلفة لرواية ابن عمر، المصادر التالية:
منحة المعبود ج١ ص ٣٠١ ومسند الطياسي ص ٢٥٣/٢٥٤ وسنن ابن ماجة ج٢ ص ٨٥٤ ومسند أحمد ج٢ ص ٥ و أشار إلى ذلك بصورة مجملة أو مفصلة في ص ٧ و ٦٢ و ٦٣ و ٧٦ و ١٢٦ و ٢٨٠ و ج٤ ص ٢٥٥ و ج٥ ص ٩١ و ٩٧ و ٩٤ و ٩٦ و ١٠٤ وراجع: المسند للحميدي ج٢ ص ٣٠٦، والجماع الصحيح ج٤ ص ٤٣ والمنتقى ج٢ ص ٧٠٦ وكنـزل العمال ج٥ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وعمدة القاري ج٢٤ ص ١٩ و ١٨ و ج٢٣ ص ٢٩٤ والمصنف للصنعاني ج٧ ص ٣١٨ و ٣١٩ و جامع البيان ج٦ ص ١٠٣ و ١٦٣ و ١٥٢ و ١٥٦ و ١٥٧ و المغني ج١٠ ص ١٢٩ و ١٣٠ والشرح الكبير بهامش ج١٠ ص ١٦٢ وعون المعبود ج١٢ ص ١٣١ ـ ١٤٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص ١١٦ و ١١٧ والدر المنثور ج٢ ص ٢٨٢ ونصب الراية ج٣ ص ٣٢٦ عن الستة وعن ابن حبان في صحيحه وصحيح البخاري ج٤ ص ١١٧ وراجع ص ١١٤ و ج٣ ص ٧٤، وتاريخ الخميس ج١ ص ٤٦٧ وسنن الدارمي ج٢ ص ١٧٨/١٧٩ والسنن الكبرى ج٨ ص ٢٤٦ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٨ وراجع: فتح الباري ج١٢ ص ١١٤/١١٥ و ١٤٨ ـ ١٥٣ والموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك ج٣ ص ٣٨ وسنن ابي داود ج٤ ص ١٥٣ وراجع: صحيح مسلم ج٥ ص ١٢٢ و اعلام الموقعين ج٤ ص ٣٦٧/٣٦٨ وفتح القدير ج٢ ص ٤٤ وتفسير الخازن ج١ ص ٦٤ وفي ظلال القرآن ج٢ ص ٨٩٤.
(٦) القف ـ بالضم ـ: اسم واد بالمدينة. وفي بعض المصادر: الاسقف. بدل القف.
(٧) سنن ابي داود ج٤ ص ١٥٥ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٨. والجامع لاحكام القرآن ج٦ ص ١٧٨ وعمدة القاري ج٢٣ ص ٢٩٤، وفتح الباري ج١٢ ص ١٤٩.
(٨) محمم أي مسود الوجه بالحمم، وهو ما أحرق من خشب ونحوه.
(٩) راجع الحديث: سنن البيهقي ج٨ ص ٢٤٦ وسنن ابن ماجه ج٢ ص ٨٥٥ والنص لهما وصحيح مسلم ج٥ ص ١٢٢/١٢٣ وسنن ابي داود ج٤ ص ١٥٤ والمنتقى من أخبار المصطفى ج٢ ص ٧٠٦/٧٠٧ ومسند أحمد ج٤ ص ٢٨٦ وجامع البيان للطبري ج٦ ص ١٥٠ و ١٦٤ وتفسير النيسابوري بهامشه ج٦ ص ١٤١ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٩ والدر المنثور ج٢ ص ٢٨٢ و ٢٨٥ عن أحمد ومسلم، وابي داود النسائي، والنحاس في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابي الشيخ، وابن مردويه الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص ١٧٧ وراجع: فتح الباري ج١٢ ص ١٥٠.
(١٠) مجمع الزوائد ج٦ ص ٢٧١/٢٧٢ وكشف الاستار ج٢ ص ٢١٩ وسنن أبي داود ج٤ ص ١٥٦ وتفسير الخازن ج١ ص ٤٦٤ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص ٥٩ والدر المنثور ج٢ ص ٢٨٢ و ٢٨٣ عن ابن جرير، وابن ابي حاتم وابي الشيخ، وابن المنذر والحميدي في مسنده، وأبي داود، وابن ماجه، وابن مردويه وتفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص ١٧٧ وفتح الباري ج١٢ ص ١٥٠.
(١١) المائدة / ١٥.
(١٢) تفسير البرهان ج١ ص ٢٧٢/٢٧٣ وتفسير نور الثقلين ج١ ص ٥٢٢ ومجمع البيان ج٣ ص ١٩٣ وروى عنه غيره ثم نظيره فراجع تفسير الخازن ج١ ص ٤٦٣/٤٦٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص ١١٦/١١٧ و ١١٨ وراجع: شرح الموطأ للزرقاني ج٥ ص ٨٠ ـ ٨٣ و التفسير الكبير ج١١ ص ٢٣٢/٢٣٣ وفتح القدير ج٢ ص ٢٣ وتفسير النسفي بهامش الخازن ج١ ص ٤٦٥

وتفسير الطبري ج٦ ص ١٠٣/١٠٤ و ١٥٧ وتفسير النيسابوري بهامش ج٦ ص ١٤٢ وتفسير البيان ج٣ ص ٥٢٠.

(١٣) مجمع الزوائد ج٦ ص ٢٧١ عن أحمد والطبراني، ومسند أحمد ج١ ص ٢٦١ وراجع: فتح الباري ج١٢ ص ١٥١.

(١٤) راجع: مجمع الزوائد ج٦ ص ٢٧١ عن الطبراني وراجع: تفسير جامع البيان للطبري ج٦ ص ١٥٣ وراجع الدر المنثور ج٢ ص ٢٨٢ عن ابن جرير، والطبراني، وابن مردويه وراجع فتح الباري ج١٢ ص ١٤٩.

(١٥) المائدة / ٤٤.

(١٦) كنز العمال ج٥ ص ٢٤٥ ـ ٢٤٧ والمصنف ج٧ ص ٣١٨ وليراجع: سنن ابي داود ج٤ ص ١٥٥/١٥٦ واعلام الموقعين ج٤ ص ٣٦٨ وفتح القدير ج٢ ص ٤٣ عن عبد الرزاق وأحمد، وعبد بن حميد وابي داود وابن جرير او ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل والسنن لابي اسحاق وابن المنذر وتفسير الطبري ج٦ ص ١٥١ و ١٦١ وراجع: شرح الموطأ للزرقاني ج٥ ص ٨١ وتفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٨/ ٥٩ والدر المنثور ج٢ ص ٢٨٢ عن عبد الرزاق وأحمد، وعبد بن حميد وابي داود، وابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي في الدلائل وتفسير القرطبي ج٦ ص ١٧٨ وراجع: فتح الباري ج١٢ ص ١٤٨.

(١٧) سنن ابي داود ج٤ ص ١٥٦.

(١٨) راجع: السنن الكبرى ج٨ ص ٤٦/ ٢٤٧، وتفسير جامع البيان ج٦ ص ١٥٠ والسيرة الحلبية ج٢ ص ١١٧ والدر المنثور ج٢ ص ٢٨١ عن ابن اسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي وراجع فتح الباري ج١٢ ص ١٥٠ وراجع في النصوص المتقدمة: عمدة القاري ج٢٣ و ج٢٤ وفتح الباري ج١٢ ص ١٤٨ ـ ١٥٥ وارشاد الساري، وغير ذلك.

(١٩) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص ١٧٦.

(٢٠) فتح الباري ج١٢ ص ١٥٠.

(٢١) فتح الباري ج١٢ ص ١٤٨ وتسمية المرأة بـ «بسرة» ذكره السهيلي وغيره أيضاً؛ فراجع: عمدة القاري ج١٨ ص ١٤٧ وعون المعبود ج١٢ ص ١٣١ وكذا في جامع البيان للطبري أيضاً.

(٢٢) راجع: فتح الباري ج٢١ ص ٣٥١.

(٢٣) المصدر السابق.

(٢٤) راجع: فتح الباري ج١٢ ص ١٥٣.

(٢٥) فتح الباري ج١٢ ص ١٥١ وراجع المصادر الآتية في الهامش التالي أيضاً.

(٢٦) فتح الباري ج١٢ ص ١٥٢ وراجع: المغني لابن قدامة ج١٠ ص ١٣٠ والشرح الكبير بهامشه ج١٠ ص ١٦٢/١٦٣، وراجع أيضاً: عون المعبود ج١٢ ص ١٣٣.

(٢٧) قد تحدثنا عن اصرار النبي (ص) على مخالفة اليهود في الجزء الثالث.

(٢٨) فتح الباري ج١٢ ص ١٥٢.

(٢٩) المصدر السابق.

(٣٠) عمدة القاري ج٢٣ ص ٢٩١.

(٣١) راجع: عون المعبود ج١٢ ص ١٣١.

(٣٢) راجع: الدر المنثور ج٢ ص ٢٥٢، عن أحمد، وابي عبيد في فضائله، والنحاس في ناسخه، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم، وصححه، وابن مردويه والبيهقي في سننه، والترمذي، وحسنه، وسعيد بن منصور، وابن جرير. حيث صرحوا بتاريخ نزول السورة. وصرح بأنها نزلت دفعة واحدة، كل من: أحمد، وعبد بن حميد، والطبراني، وابن جرير، ومحمد بن نصر في الصلاة، وابن نعيم في الدلائل، والبيهقي في شعب الايمان.

(٣٣) انتهى ملخصاً عن البرهان ج١ ص ٤٧٢ و ٤٧٨، وتفسير نور الثقلين ج١ ص ٥٢٣/٥٢٤. وعون المعبود ج١٢/١٢٦ والدر المنثور ج٢ ص ٢٨١ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٩٠، عن أحمد، وابي داود، وابن جرير، وابن المنذر والطبراني، وابي الشيخ، وابن مردويه وعبد بن حميد، وابن اسحاق، وابن ابي شيبة والحاكم وصححه، وابن ابي حاتم والبيهقي في سننه وفتح القدير ج٢ ص ٤٣ و ٤٤ وتفسير القرطبي ج٦ ص ١٧٦ و ١٨٧ و ١٩١ وتفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٨ و ٦٠ و ٦١ وتفسير القمي ج١ ص ١٦٨/١٦٩ وتفسير البيان ج٣ ص

٥٢١ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥١٨ والتفسير الحديث ج١١ ص ١٠٧ و ١٠٨ ومجمع البيان ج٣ ص ١٩٤ و ١٩٦ وفي ظلال القرآن ج٢، ص ٨٩٤ وتفسير الرازي ج١١ ص ٢٣٥ و ج١٢ ص ٦ وتفسير الخازن ج١ ص ٤٦٨ وتفسير الطبري ج٦ ص ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥٤ و ١٥٧ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٧ وتفسير النيسابوري بهامشه ج٦ ص ٤٥ وعون المعبود ج١٢ ص ١٣٦ والكشاف ج١ ص ٦٣٣.

(٣٤) آل عمران/ ٩٣.

(٣٥) المائدة/ ٦٧.

(٣٦) المائدة/ ٣.

(٣٧) المائدة/ ٤١ ـ ٤٣.

(٣٨) كلّ ماتقدّم ماهو إلاّ فقرات من الآيات ٤١ـ ٤٣ من سورة المائدة وقل سلقت.

(٣٩) راجع: ميزان الحكمة، حرف الكاف، مادة: كذب.

(٤٠) غرر الحكم، ودرر الكلم.

(٤١) راجع: بحار الانوار، للعلامة المجلسي ج٧٢ ص ٢٦٣ وراجع ج٧٨ ص ٢٧٧ وميزان الحكمة، حرف الكاف، مادة كذب.

(٤٢) راجع: مفردات الراغب، مادة: السحت.

القرآن الكريم عند أهل البيت ع

الشيخ جعفر الهادي.

لقد حَظِيَ القرآنُ الكرَيمُ بمكانةٍ كبرى عند المسلمين لم يَحْظَ بها أيُّ كتاب آخر سواه.

فمنذ نزوله أحبُّوه، وتَلَوْا ما تيَسَّر لهم منه آناء الليّل، وأطراف النّهار، وحَفِظُوا آياته، وحَفَّظوهُ لأبنائهم، واعتنَوا بتفسيره، واستجلاءِ مقاصده.

وقد كان هذا طبيعيّاً، فهو كتاب اللّه العظيم، المستجمع لجميع عناصر الرّوحانية والجمال، وهو الذي أوجدَ منهم أُمةً عظيمةَ الشّأن، منيعة الجانب، سامية الحضارة، محترمةً بين الشّعوب والأمم، بما أعطاهم من شخصيّة، وسموٍّ في الذّات والمعنى.

غير أنّ القرآن الكريم حظي عند أهل بيت النّبوّة بدءً من الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام ومروراً بفاطمة الزّهراء عليها السلام ثمّ الحسنين والأئمة التّسعة من وُلْد الحسين بمكانةٍ أكبر، ومنزلةٍ أسمى فاقت ما حظِيَ به هذا الكتاب العظيم من المكانة والمنزلة عند غيرهم من المسلمين.

١- أهميّة القرآن الكريم عند أهل البيت

فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول في شأن القرآن موجّهاً أنظار المسلمين إلى أهميَّة هذا الكتاب:

«اللّهَ اللّهَ أيُّها النّاسُ فيما استحفظكم من كتابه»[١].

وقال في هذا المجال أيضاً:

«عَليكُم بكتاب اللّه فإنّه الحَبْلُ المتين، والنّورُ المبين، والشّفاءُ النّافع، والرّيّ النّاقع، والعصمةُ للمتمسّك، والنّجاةُ للمتعلّق، لايَعْوَجُّ فيُقام، ولايزيغُ فَيُسْتَعْتَب»[٢].

وهذا الإمام سيّد السّاجدين علي بن الحسين عليه السلام يقول عن القرآن الكريم:

«لو ماتَ مَنْ بينَ المشرق والمغرب لَما أستوحشتُ، بعد أنَ يكون القرآن معي»[٣].

ولم يكن هذا بالأمر الغريب فهم قرناء الكتاب حسب حديث (الثّقلين) المتواتر[٤]، وهما معاً يشكّلان المصدرَين الأساسيَّيْن للثّقافة الإسلاميّة بعد رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله، فلا غرابة أن تهتمّ العترةُ النّبويّة بالكتاب وتلفت النظر إليه كما اهتمّ الكتابُ بالعترة الطاهرة، ولَفْت الأنظار إليها بقوله: «**إنمّا يريدُ اللّه ليُذهب عنكم الرّجس أهل البيتِ ويطهّركم تطهيراً**»[٥] وقوله «**قلْ لا أسألكم عليهِ أجراً إلاّ المَودّة في القربى**»[٦].

من هنا بالغَ أهلُ البيت عليهم السلام في الحث على العناية بالقرآن الكريم بجميع الأشكال والصور:

فتارةً حثّوا على تعلّمه؛ ولو بمشقّة وصعوبة، فقد قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«تعلّموا القرآن فانه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنّه ربيع القلوب»[٧].

وقال حفيده الإمام جعفر الصّادق عليه السلام:

«يَنْبغي للمؤمن أنْ لايموت حتّى يَتعَلّم القرآنَ، أو يكونَ في تعلّمه»[٨].

وقال الإمام الصّادق عليه السلام أيضاً:

«مَنْ شُدِّدَ عليه في القرآن كان له أجران، ومن يُسّرَ له كان مع الأوّلين»[٩].

وتارة اكّدُوا على تعليمه للشّباب والأولاد خاصة: فقد قال الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام:

«إن القرآن يأتي يومَ القيامة بالرّجل الشّاحب يقولُ لربه: يا ربّ هذا أظْمأْتُ نهارَه، وأسهرتُ ليلَه، وقوّيت في رحمتك طمعه، وفسحتُ في رحمتك أمله، فكن عند ظنّي فيك وظنّه.

يقول اللّه تعالى: أُعطوه الملكَ بيمينه والخُلدَبشماله، وأقرنوه بأزواجه من الحور العين، واكسُوا والديه حلّة لاتقومُ لها الدّنيا بما فيها، فينظر إليهما الخلائق فيعظّمونهما، وينظران إلى أنفسهما فيعجبان منهما، فيقولان: يا ربّنا أنّى لنا هذه؟ ولَمْ تَبْلُغْها أعمالُنا، فيقول اللّه عزّ وجلّ ومع هذا تاج الكرامة، لم ير مثلَه الرّاؤون ولم يسمع بمثله السّامعون، ولايتفكّر في مثله المتفكّرون، فيقال: هذا بتعليمكما وَلَدكُما القرآنَ، وبتبصيركما إيّاه بدين الإسلام، وبرياضتكما إيّاه على حُبّ محمّد رسول اللّه وعليّ وليّ اللّه صلوات اللّه عليهما،

وتفقيهكما إيّاه بفقههما»[١٠].

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا الصّدد:

«إنّ اللّه عزّ وجلّ لَيهمُّ بعذاب أهل الأرض جميعاً حتى لايحاشي منهم أحداً إذا عَملوا بالمعاصي واجترحوا السّيّئات، فإذا نظر إلى الشّيب ناقلي أَقدامهم إلى الصّلوات، والولدان يتعلّمون القرآن، رحِمَهُمْ فأخَّر ذلك عنهم»[١١].

كما دعا الأئمةُ الطّاهرون النّاسَ وشيعتهم خاصّة إلى الإكثار من قراءة القرآن الكريم وتلاوة آياته، فقد قال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام:

«إنّما شيعةُ عليّ.. كثيرةٌ صَلاتُهم كثيرةٌ تلاوتُهم للقرآن.»[١٢].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«عليكُم بتلاوة القرآن فإنَّ درجاتِ الجنّة على عَدَد آيات القرآن، فاذا كان يومُ القيامة قيل لقارئ القرآن إقرأ وارق، فكلّما قرأ آية يرقى درجة»[١٣].

وقال عليه السلام ايضاً:

«القرآنُ عهدُ اللّه إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن يَنظُرَ في عهده، وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية.»[١٤].

وَقال (ع) كذلك وهو يؤكد على التّلاوة في المصحف بالذّات:

«من قرأ القرآن في المصحَف مُتّعَ ببصره وخُفّفَ عن والِدَيه وإن كانا كافِرَيْن»[١٥].

وقد سئِلَ الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) ذات مرّة: أيّ الأعمال أفضلُ؟ فقال: الحالُّ المُرْتحِل.

فقيل: وما الحالُّ المرتحِل؟ فقال عليه السلام:

«فَتْح القرآن وَخَتْمه، كلّما جَاءَ بأوّله ارتحَلَ في آخره»[١٦].

أي خَتَمَ القرآن وابتَدَأ بأوّله ولم يفصل بينهما بزمان[١٧] بل وحثَّ الأئمة من أهل البيت عليهم صلوات اللّه على حفظ آيات القرآن واستظهارها، وقراءتها عن ظهر قلب ليختلط بدم المسلم ولحمه، ويملأ عقلَه وفؤادَه:

قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام:

«إقرَأوا القُرآنَ واْستَظهِرُوهُ فإنَّ اللّهَ لا يُعَذّبُ قلْباً وَعى الْقُرآنَ»[١٨].

وقال عليه السلام في هذا الصدد:

«مَن استَظْهَرَ القرآن، وحفظَهُ وأحلَّ حلاله وحرَّمَ حرامَه أدخلَهُ اللّه الجنّة به وشفَّعه في عشرة من أهله كلّهم قد وجبَ لهمُ النّار»[١٩].

وعمّن يعالج حفظ القرآن وهو يعاني من ضعف الذّاكرة وقلّة الحفظ قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام:

«إنَّ الذي يعالجُ القرآنَ
ليحفظه بمشقّة منهُ، وقِلَّة
حفظه، له أجران»[٢٠].

ولم يَفُتْهُمْ عليهم السلام أن يؤكّدوا على قراءة القرآن الكريم بالصَّوت الحَسَن لأنَّ ذلك يزيد من روعته وجماله، ويساعد على تأثيره في النفوس ونفوذه في القلوب، لأنّ الصَّوت الحَسَن قيمةٌ جماليّةٌ وأحرى بها أن تَنْضَمَّ إلى أجمل جَمالات الكون ألا وهو القرآن الكريم، وبالتالي تتناسق نغمة الصوت الحَسن ونسمة الوحي المقدّس لتحيي القلوب، وتنعش النّفوس. ألم يقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله: (إن من أجمل الجمال الشِّعر الحسن، ونَغْمةُ الصَّوتِ الحَسَن)[٢١].

فأيّ موضع أجدر بأن تستعمل فيه هذه الموهبة الألهيّة من قراءة القرآن وتلاوته.

ولهذا قال الإمامُ ابو جعفر الباقر عليه السلام لأبي بصير عندما قال للإمام عليه السلام: إذا قرأتُ القرآن فرفعتُ به صَوتي جاءني الشّيطانُ فقال: إنّما ترائي بهذا أهْلَكَ والناسَ:

«يا أبا محمد، إقرأ قراءة ما
بين القرا'تين تُسمعُ أهلَك.
ورجّعَ بالقرآنِ صوتَك فإنَّ اللّه
عزّ وجَلّ يحبّ الصَّوتَ الحَسَن
يُرجَّع فيه ترجيعاً»[٢٢].

أي إقرأ قراءةً متوسّطةً، لا هي بالخفيَّة التي لاتسمَع ولا هي بالعالية التي تَصُكُّ الآذان.

هذا وقد صحَّحَ العلاّمة المجلسُّي في مرآته هذا الحديث[٢٣].

ومن هنا قال الإمام أبو عبداللّه جعفر الصادق عليه السلام:

«يكرَه أن يُقرَأ «قل هو اللّهُ
أحدُ» بنفس واحد»[٢٣].

لأن ذلك من شأنه التقليل من فرَص الانتباه إلى جمال هذه السورة، والتقليل بالتالي من نفوذها في نفس القارئ والسّامع.

وقد كان تلاوة القرآن بالصَّوت الحَسَن والقراءة الجميلة هو دأب أهل البيت عليهم السلام وديدنهم فعن أبي عبداللّه الإمام جعفر الصّادق عليه السلام أنه قال:

«كان علي بن الحسين
(السجّاد) صلوات اللّه عليه
أحسَنَ النّاس صوتاً بالقرآن
وكانَ السَّقّاؤون يمرُّون
فيقفون ببابه يسمَعون
قراءته. وكان أبو جعفر(الباقر)
عليه السلام أحسَنَ النّاس
صوتاً (أي بالقرآن)»[٢٥].

وممّا أكّد أهل البيت عليهم السلام، عليه في مجال القرآن هو قراءته في البيوت، بل وجود مصحف شريف في البيت لما يتركه ذلك (أي القراءة ووجود المصحف الكريم في البيت) من آثارٍ معنويةٍ في نفوس أهله وعقولهم وخلقهم وسلوكهم.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«البيت الذي يُقرَأُ فيه القرآن
ويذكَرُ اللّه عزَّ وجلّ فيه، تكثر

بركتـه، وتحضره الملائكة، وتهجره الشّياطين، ويُضيء لأهل السّماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض.
وانّ البيت الذي لايُقرأ فيه القرآن ولايُذكر اللّه عزّ وجلّ فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة، وتحضره الشّياطين».

وقال الإمام الباقر محمد بن علي عليه السلام في هذا الصّدد:

«إنّي ليعجبني أن يكون في البيت مصحَف يطرد اللّه عزّ وجلّ به الشّياطين»[٢٧].

كما وأكّدوا على ختم القرآن الكريم في مكّة المكرمة أي في أجواء نزول القرآن المكانيّة، وإن حُرمْنا من أجوائها الزّمانيّة، ومن المعلوم ما للأجواء الزّمانيّة والمكانيّة: من تأثير وإيحاء نفسي.

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:
«من خَتَمَ القرآن بمكّة لم يمتْ حتى يرى رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله ويرى منزلَه من الجنّة»[٢٨].

بل وعلى كثرة تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان، شهر نزول القرآن الكريم والذي يمثّل الأجواء الزّمانيّة، أليس نزول القرآن في شهر رمضان؟

ففي فقه الرضا عليه السلام في باب الصوم:

«وأَكثِرْ في هذا الشّهر المبارك من قراءة القرآن»[٢٩].

وأما الإصغاء إلى القرآن الكريم عند تلاوته، احتراماً وتبجيلاً، بل واحترام القرآن الكريم مطلقاً، وفي كلّ زمان ومكان، فقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام في شأنه وحقّه ما يحمل المسلم على احترام الكتاب العزيز أشدّ احترام، وتكريمه أشدّ إكرام.

فقد قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام:

«من استَمع حَرفاً من كتاب اللّه من غير قراءة كَتَبَ اللّهُ له حسنة ومحا عنه سيّئةً ورفعَ له درجة»[٣٠].

وقال عليه السلام أيضاً:
«يجبُ الإنْصات للقرآن في الصّلاة وغيرها، وإذا قُرئَ عندك القرآنُ وَجَبَ عليكَ الإنصات والاستماع له»[٣١].

وقال علي عليه السلام عن المواضع التي ينبغي او يجب تجنُّبُ قراءة القرآن فيها إكراماً له، وحفظاً لشأنه:
«سبعةٌ لايقرأون القرآن: الرّاكعُ والسّاجدُ وفي الكنيفِ وفي الحمّام والجنُب والنُفَساء والحائض»[٣٢].

٢- موقف أهل البيت العملي من القرآن

وأما موقف أهل البيت العمليّ من القرآن

الكـريم فكان موقفاً يدعو إلى التأمّل والتدبر ، كما يدعو الى الإعجاب والإكبار.

ونحن ننقـل هنـا نماذج مما وَرَدَ في هذا القسم، في هذا المجال سواء على لسان أهل البيت أنفسهم أو على لسان من كتَب عنهم من علمـاء الإسـلام ومـؤرّخيـه ومن المتعرّضين لسيرتهم عليهم السلام.

* روى الصّدوق في الخصال بسنده إلى نوف البكالي قال: بتُّ عند أمير المؤمنين (عليّ) عليـه السلام فكان يُصلّي اللّيل كلّه ويخرج ساعة بعد ساعة فينظر إلى السّماء، ويتلو القرآن»[٣٣].

وكتب ابن كثـير في تاريخـه: كان الامـام الحسَن بن علي عليـه السـلام لايمـرُّ بآيـة تشتمل على نداء المؤمنين إلاّ قال: اللّهمّ لبَّيك، اللّهمّ لبَّيك، وكان يقرأُ في كلّ ليلة سورة الكهف[٣٤].

وكتب محمد بن طلحة الشّافعي في عبادات الإمام الحسن يقول:

كان كأبيـه في الجهاد بنفسه وبماله وفي العبادة والصّلاة والصّيام وتلاوة القرآن[٣٥].

وعنه يقول ابن نسوة التّميمي:

فليت قلوصي عرّيت أو رحـلتـهـا

الى حَسَن في داره وابن جعـفـر

الى ابن رسول اللّه يأمر بالتُّـقـى

ويقرأ آيات الكتاب المطهَّر[٣٦]

وروى الطّبريّ فيمن روى أحداث واقعة كربلاء أنّه لّما أراد جيش ابن سعد بدء القتال ومهـاجمـة المعسكـر الحسيني، قال الإمـام الحسين لأخيه العبّاس بن علي: إذهب إليهم واستمهلهم هذه العشيّة إلى غد لعلّنا نصلّي لربّنـا اللّيلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أنّي أُحبّ الصّلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدّعاء والاستغفار[٣٧].

إنّ الحسـين عليـه السـلام يطلب تأخير القتـال ليلة واحـدة حتى يتمكن من تلاوة القرآن في تلك الليلة العصيبة.

وعن أبي الحسن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أنّه قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقرأ القرآن فربّما مرّ به المارُّ فصعق من حسن صوته[٣٨].

وقـال مالك بن أنس (مـؤسّس المـذهب المالكي) عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام:

«جعفـر بن محمد اختلفتُ إليه زماناً فما كنتُ أراه إلاّ على إحـدى ثلاث خصال: إمّا مُصَلّياً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن»[٣٩].

وجـاء في الكـافي عن حفص حول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: أنّه قال ما رأيت أحداً أشدَّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليـه السلام، ولا أرجى للنّاس منه، وكانت قراءتـه (أي للقـرآن) حزناً، فإذا قرأ فكأنّه يخاطب إنساناً»[٤٠].

وقـال ابن شهر آشوب عنه عليه السلام ايضاً: كان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب اللّه وأحسنهم صوتـاً بالقرآن فكان إذا قرأ

تحزَّنَ وبكى، وبكى السّامعون لتلاوته»[٤١].

وأمّا الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام فقد جاء في كتاب «إعلام الورى بأعلام الهدى» عند ذكر طرف من خصائصه ومناقبه وأخلاقه انّ إبراهيم بن العبّاس (الصّولي) قال: ما رأيت الرّضا عليه السلام سئِل عن شيء الاّ علِمه، ولا رأيتُ أعلَم منه بما كان في الزّمان إلى وقته وعصره، وكان المأمون يمتحنه بالسّؤال عن كلّ شيء فيجيب عنه، وكان جوابه كلّه وتمثُّله إنتزاعات من القرآن المجيد، وكان يختمه في كلّ ثلاث، وكان عليه السلام يقول:

«لو انّي أردتُ أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمتُ، ولكنّني ما مررتُ بآية قطّ إلاّ فَكَّرْتُ فيها، وفي ايّ شيء أُنزِلَتْ وفي أي وقت، فلذلك صرتُ أختمه في كلّ ثلاث»[٤٢].

وقال المسعودي في مروج الذّهب: سُعِيَ إلى المتوكل بعلي بن محمد الجواد عليه السلام أنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وانّه عازم على الوثوب بالدّولة، فبعث إليه جماعةً من الأتراك فهجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيتٍ مغلَقٍ عليه، وعليه مدرعةٌ من صوف وهو جالس على الرّمل والحَصا وهو متوجّهٌ إلى اللّه تعالى يتلو آياتٍ من القرآن[٤٣].

أجل هكذا كان سلوك أهل البيت العمليّ مع القرآن الكريم، تلاوةٌ كثيرةٌ، ومتدبرةٌ، وحزينةٌ.

تلاوةٌ مستمرةٌ لآيات الكتاب الإلهيّ العظيمِ لايمنع منها شيءٌ لا ليلٌ ولا نهارٌ، ولا شغلٌ ولا شاغلٌ.

وما ذكرناه هنا ليس سوى نماذج معدودة من موارد عديدة كثيرة، لو أحصاها أحد وتقصّاهاوتتبعَّها لتهيّأ منها مجلد ضخم كثير العبر، والدروس.

ولم يكن هذا بالأمر العجيب فأَهلُ البيت مبتَدَئين بعلي عليه السلام ولديه الحسن والحسين أعرف من غيرهم بقيمة القرآنِ الكريمِ وعظمته وبفضله ومحتواه.

٣- أهلُ البيت وعلومُ القرآن

ولقد كان أهلُ البيت عليهم السلام السبّاقين إلى التحدث في علوم القرآن الكريم من تفسيره وبيان مقاصده وتعليم مفاهيمه للناس وبيان ما يرتبط به من شؤون مثل أسباب النزول ومواقع النزول وما شابه ذلك.

وإليك ما كتبه ابن النديم في فهرسه حول الإمام علي بن ابي طالب في مجال الإهتمام بالقرآن جمعاً وتدويناً و إليك نص ما دبَّجه بالنص:

ترتيب سور القرآن في مُصحَف أمير المؤمنين علي بن ابي طالب كرّم اللّه وجهه، قال ابن المنادي حدَّثني الحسنُ بن العباس قال: أُخبرتُ عن عبدالرحمان بن ابي حماد عن الحكم بن ظهير السَّدوسي عن عبد خير عن علي عليه السلام أنّه راى من النّاس طيرة عند وفاة النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله وسلّم فأقسم أنه لا يضعُ عن ظَهره رداءه حتى يجمع القرآن فهو

أوّل مصحَف جمع فيه القرآن من قلبه[٤٤].

وهكذا كان أوّل اهتمامات الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، عقب وفاة رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله والتحاقه بالرفيق الأعلى هو جمع القرآن المنزّل من أوله إلى آخره.

وقال السيوطي في «الإتقان» وأمّا علّي فرَوى عنه الكثير، وقد روى معمَّر عن وهب بن عبداللّه عن أبي الطفيل قال شهدتُ عليّاً يخطب وهو يقول:

سلوني فواللّه لا تسألونني عن شيء إلّا اخبرتكم، وسلوني عن كتاب اللّه فواللّهِ ما من آية إلّا وانا اعلمُ ابليلٍ نزلَت أم بنهار، في سَهلٍ أم في جَبل.

واخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال: إن القرآن أُنزِلَ على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا ولَه ظهر وبطن وانّ علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن[٤٥].

واليك ايضاً نصّ ما كتبه ابن النديم عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام في فهرسته:

«تسمية الكتب المصنَّفة في تفسير القرآن ثم قال: كتابُ الباقر محمدّ بن علي بن الحسين عليهم السلام»[٤٦].

وقال الشيّخ المفيد ابو عبداللّه محمد بن محمد النعمان: لم يظهر عن أحد من ولُد الحسن والحسين عليهم السلام من علم الدين والسُّنَن وعِلم القرآن والفنون والأدب ماظهر من أبي جعفر الباقر عليه السلام[٤٧].

وكتب العلامة كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي عن نشاط الإمام جعفر الصادق عليه السلام القرآني يقول:

«جعفر بن محمد من علماء أهل البيت وساداتهم ذو علوم جمّة... وتلاوةٍ كثيرةٍ يَتَتَبَّعُ معاني القرآن ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه»[٤٨].

وأنشد مالك الجهنيّ في شأن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول:

أذا طلَبَ الناسُ علم القُرآنِ
كانت قريشٌ عليه عيالاً
وإن فاه فيه ابنُ بنتِ النبيّ
تلقّت يداهُ فُروعاً طِوالا
نجومٌ تهلَّلُ للمُدلجين
فَتهدي بأنوائهن الرجالا[٤٩]

وجاء في «ارشاد» الشيخ المفيد رحمه اللّه، ان المأمون العباسي لما أراد أن يزوج ابنته أُمَّ الفضل أبا جعفر الإمام محمد بن علي (الجواد) عليهما السلام بلغ ذلك العباسيين فشقّ عليهم ذلك، واعترضوا على المأمون، وجرى بينهم وبينه جدال ونقاش.

ومما قالوه هو: يا أمير المؤمنين اتزوج ابنتك وقرة عينك صبيّاً لم يتفقّه في دين اللّه، ولا يعرف حلاله من حرامه ولا فرضه من سنته... فامهله ليتأدب ويقرأ القرآن ويتفقه في الدين ويعرف الحلال من الحرام، ثمّ اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم المأمونُ: ويحكُم أني أعرفُ بهذا الفتى منكم، وانه لأفقهُ منكم وأعلم باللّه ورسوله وسنّته واحكامه، وأقرأُ لكتاب اللّه منكمْ وأعلمُ بمحكمه ومتشابهه، وناسخه

ومنســوخــه وظاهــره وباطنه وخاصّه وعامه، وتنزيله وتأويله منكم.. الى آخر كلامه[٥٠].

ولنعم ما قال أبو نؤاس وهو يمدح الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عاكساً نظرة الناس إليه والى من تقدَّمه من أئمة اهل البيت:

مُطَهَّـرون نَقيّـاتٌ ثيـابُـهمُـو
تجري الصلاةُ عليهم اينما ذُكروُا
من لم يكُنْ عَلَويّـاً حين تَنْسُبـُهُ
فمـا له في قديم الدهـر مفتَخَـرُ
فاللّه لما بَرا خَلْقـاً فأتـقـنـه
صفّـاكمو واصطفاكم أيّها البشُر
وانتمُ المَـلأُ الأَعْـلى وعِنـدكُمـو
علْمُ الكتـاب وما جاءَت به السُّـور[٥١].

وروى الحميري عن محمد بن سعيد مولى لوُلد جعفر بن محمد قال قدم عمر بن الفرج المرخجي المدينةَ حاجّاً بعد مضي ابي جعفر (أي وفاة الإمام الجواد عليه السلام) فاحضر جماعة من اهل المدينة والمخالفين المعاندين أهل بيت رسول اللّه فقال لهم: إبغُوا لي رجلاً من أهل الأدَب والقرآن والعلم لايوالي أهلَ هذا البيت لأضمَّهُ إلى هذا الغلام، وأُوكله بتعليمه، واتقـدم إليـه بأن يمنع منه الرافضةَ الذين يقصدونه، يمسُّونه، فأسمَوْا له رجلاً من أهل الأدب يكنى أبـا عبـد اللّه ويعرف بالجنيدي متقـدمـاً عند أهل المدينة في الأدب والفهم، ظاهر الغضب و العداوة..

فاحضره عمر بن الفرج وأسنى له الجاري من مال السلطان وتقدَّم اليه بما أراد، وعرّفه أن السلطان أمَرَهُ باختيار مثله، وتوكيله بهذا الغلام.

قال: فكـان الجنيدي يلزم ابا الحسن في القصر بـ «صريا» فاذا كان الليل اغلق الباب، واقفله، واخذ المفاتيح اليه.

فمكث على هذا مدةً وانقطعت الشيعةُ عنه وعن الإستماع اليه منه والقراءة عليه.

ثم اني لقيته في يوم جمعة فسلّمت عليه، وقلت له: ما قال هذا الغلام الهاشميّ الذي تؤدّبُهُ؟

فقال منكراً عليَّ: تقولُ هذا الغلام، ولا تقول الشيـخ الهاشمي؟ أُنشدكَ اللهَ هل تعلمُ في المدينة أعْلَمَ منّي؟

قلت: لا.

قال: فاني واللّه اذكر له الحزبَ من الأدَب أظنُّ اني قد بالغتُ فيـه فيمـلي عليَّ بما فيه أستفيده منه، ويظنُّ الناس انّي أُعلّمُهُ، وانا واللّه اتعلَّم منه.

قال فتجـاوزتُ عن كلامه هذا، كأنّي ما سمعتهُ منه، ثم لقيتُه بعد ذلك فسلّمتُ عليه وســألتُه عن خبره، وحاله. ثم قلت: ما حال الفتى الهـاشميّ؟ فقـال لي: دعْ هذا القولَ عنكَ، هذا واللّهِ خير أهلِ الأرض وأفضلُ مَن خُلِقَ، إنّه لربما همّ بالدخول (اي الدخول الى حجرته للاستراحة) فاقول له: تَنَظَّرْ حتى تقرأ عُشْرَكَ، فيقول لي أي السُّور تحبُ أن اقرأها؟ فاذكـر له من الســور الطوال لم يبلغ اليـه، فَيَهُـذُهـا بقـراءة لم اسمع اصحَّ منها من أحدٍ قط، وحزمٍ اطيب من مزامير داود النبي الذي بقرائته يضرب المثل.

قال: ثم قال: هذا ماتَ أبوهُ بالعراق وهو صغير بالمدينة ونشأ بين هذه الجواري السود فمن اين عَلِمَ هذا؟!!

قال: ثم ما مرّت به الأيـامُ والليـالي حتى لقيتُه فوجدتُه قد قال بإمامته وعرف الحق[٥٢].

ونشـير في آخـر هذا الفصـل إلى تفسير الامام الحسن بن علي العسكري الذي قال عنه العلامة المجلسي مؤلف بحار الأنوار: إنه من الكتب المعـروفـة واعتمد الصدوق عليه وأخـذ منـه، وإن طعَنَ فيه بعضُ المحدّثين، ولكنَّ الصدوقَ أعرف، وأقرب عهداً ممّن طعن فيه وقد روى عنه أكثر العلماء من غير غمز فيه[٥٣].

٤ـ أهلُ البيت بالمرصاد لمن يسيء الى القرآن

على أن عِناية أهل البيت عليهم السلام لم تقتصر على ما مرَّ، بل كانوا بالمرصاد لكل من يكيـد للقرآن الكريم ويريد الإساءة إليه، او حصلت له شبهة فراح يجـري وراء شبهتـه فكـانـوا يردُّون عنـه كيدَ الكائدين، وعادية العادين، أو يدفعون عنه ما يحوم حوله من شبهات. ونحن ننقـل هنا بعض النماذج من هذا الموقف العظيم،

قال هشـام بن الحكم (وهـو من تلامذة الإمـام الصـادق عليـه السلام واصحابه): اجتمـع ابنُ أبي العــوجـاء و أبـو شاكـر الديصاني الزنديق، وعبدُ الملك البصري، وابنُ المقفـع عنـد بيت اللّه الحـرام يستهـزئون بالحاجّ ويطعنون بالقرآن.

فقال ابن ابي العوجاء: تعالَوا ننقض كل واحدٍ منّا رُبْعَ القرآن وميعادُنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه، وقد نقضنا القرآنَ كلَّه، فانَّ في نقض القرآن إبطال نبوّة محمّد، وفي إبطال نبوّته إبطال الاسلام، واثبات ما نحن فيه.

فاتفقـوا على ذلك وافترقوا، فلما كان من قابِل اجتمعوا عند بيت اللّه الحرام فقال ابن أبي العوجاء:

أمّـا انا فمفكّرٌ منذ افترقنا في هذه الآية: **«فَلَمّا أستيأسُوا منه خَلصُوا نجيّاً»** فما أقدرُ أن أضمَّ إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشغلتني هذه الآية عن التفكّر فيما سواها.

فقال عبدالملك: وأنا منذُ فارقتُكم مفكّرٌ في هذه الآية **«يا ايها الناسُ ضُربَ مثلٌ فاستمعُوا لهُ إنَّ الذين تدعُون من دونِ اللّه لن يخلُقوا ذبـابـاً ولو اجتمعوا له وان يسلُبْهمُ الذُّباب شيئـاً لا يستـنقـذوه منـه ضعف الطّالب والمطلوب»** ولم أقدر على الإتيان بمثلها

فقال ابو شاكر: وأنا منذ فارقتكم مفكّرٌ في هذه الآية: **«لو كانَ فيهما الِهةٌ إلاّ اللّه لَفَسَدتا»** لم أقدرْ على الإتيان بمثلها.

فقـال ابن المقفع: يا قوم إنَّ هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وانا منذُ فارقتكم مفكّرٌ في هذه الآية: **«وقيل يا أرضُ أبلَعي ماءَكِ ويـا سماء أقلِعِيْ وغِيضَ الماء، وقُضيَ الأمرُ، واستـوَتْ على الجُـوديِّ وقيـلَ بُعداً للقَومِ الظّالمين»** لم أبلغْ غاية المعرفة بها، ولم أقدرْ

على الإتيان بمثلها.

قال هشـام فبينما هم في ذلك إذْ مرَّ بهم جعفرُ بن محمد الصادق (ع) فقال: «**قلْ لئن اجتمعَتِ الإنسُ والجن على أن يأتُوا بمثل هذا القُرآن لا يأتونَ بمثلهِ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهَيراً**».

فنظر القومُ بعضهم إلى بعض وقالوا: لئنْ كان للإسـلام حقيقـةٌ لما انتهى أمـرُ وصيّة محمد إلّا إلى جعفر بن محمّد، واللّه ما رأيناه قطّ إلّا هبناه واقشعـرَّتْ جلودُنا لهَيبته، ثم تَفرّقوا مقرّين بالعَجْز[٥٤].

هذا وقد تصدى الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب لدحض شبهات الزنادقة حول القـرآن الكريم في أحاديث متعددة ومفصّلة ورائعة لايسعنا ذكرها هنا، ولكننا نلفت نظر القـارئ الكريم إليها بذكر العنوان. (بحار الأنـوار الجـزء ٩٣ من الصفحـة ٩٨ إلى الصفحة ١٤٢، باب ردّ التناقض في القرآن).

ونكتفي هنا بذكر حديث عن موقف حفيده الإمـام العسكـري عليه السلام من قضية مماثلة، واليك نص الحديث:

كتب ابو القاسم الكوفي في كتاب التبديل أن اسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمـانه أخذ في تأليف تناقض القرآن، وشَغَلَ نفسَـه بذلك، وتفرّدَ به في منزله، وإن بعض تلامـذتـه دخـل يومـاً على الإمـام الحسن العسكـري عليه السلام فقال له أبو محمّد العسكري عليه السلام: أما فيكم رجلٌ رشيد يردعُ أُستـاذكم (الكِنديّ) عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟

فقال التلميذ: نحنُ من تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟

فقال أبو محمد عليه السلام: أتؤدّي إليه ما أُلقيه إليك؟ قال: نعم.

قال: فصِرْ إليـه، وتـلطَّفْ في مؤانـستـه ومعونته على ما هو بسبيله، فاذا وقعت الأُنْسَةُ في ذلك، فقلْ: قد حَضَرتْني مسألة أسألكَ عنها فانه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاكَ هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مرادُه بمـا تكلَّم به منه غير المعاني التي قد ظننتَها أنكَ ذهبتَ إليها؟ فانه سيقول إنَّهُ من الجائز لأنه رجلٌ يفهمُ اذا سمعَ، فاذا أوجب ذلكَ فقلْ له: فما يُدريك لعلَّهُ قدْ أرادَ غير الذي ذهبتَ انتَ إليه، فتكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجلُ إلى (الكِنْدي) وتلطَّفَ إلى أن ألقى عليه هذه المسألة.

فقال له: أعدْ عليَّ! فأعاد عليه؛ فتفكَّر في نفسه، ورأى ذلك محتَملاً في اللغة، وسائغاً في النظر.

وجـاء في المنـاقب لابن شهر آشوب: أن الكنـديّ لما سمع من تلميذه ما علّمه الإمام العسكري فقال: أقسمت عليكَ إلّا أخبرتني من أينَ لكَ؟

فقال: إنّه شيء عَرَضَ بقلبي فأوردتُه عليك فقال: كلّا، ما مثلك مَن أهتدى إلى هذا ولا مَن بلغَ هذه المنزلة فعرّفْني من أينَ لَكَ هذا؟

فقـال: أمَـرَني به أبـو محمد (وهو يعني الإمام الحسن العسكري).

فقال الآن جئتَ به (أي الآن جئتَ بالحق) وما كانَ ليَخرُجَ مثل هذا إلّا من ذلكَ البيت (يعني بيت

الرّسالة والنّبوّة وأهله، أهل البيت عليهم السلام).

ثم إنه (اي الكندي) دعا بالنّار، وأحرق جميع ما كان ألّفه[55].

وفي قضية ما يسمّى بمحنة (خلق القرآن) التي استغلّتها السلطات العباسيّة لإشغال المسلمين، وصرفهم عن الجانب العمليّ للقرآن بطرح القضايا الجانبية التي لا ترتبط بما هو المهمّ من هدف القرآن الكريم وقف أهل البيت من هذه القضية الاستهلاكية موقفاً رائعاً ومعقولاً، فقد كتب الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الرسالة التالية:

«بسم اللّه الرحمن الرحيم عَصَمنا اللّهُ وأياك من الفتنة، فانْ يفعلْ فقد أعظم بها من نعمة، وإن لا يفعلْ فهي الهلكة. نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة، اشترك فيها السائلُ والمَجيبُ، فيتعاطى السائلُ ما ليس له، ويتكلفُ المجيبُ ما ليس عليه، وليس الخالقُ إلّا اللّهُ، وما سواه مخلوقٌ، والقرآنُ كلامُ اللّه لا تجعلْ له إسماً من عندك فتكونَ من الضالّين. جعلنا اللّهُ واياكَ منَ الذين يخشون ربَّهمْ بالغيب وهم من الساعة مُشْفقُون»[56].

هكذا تصدّى أئمةُ اهل البيت صلوات اللّه عليهم بحكم واجبهم الديني العام كمسلمين واعين وبحكم مسؤوليتهم الخاصة المناطة اليهم كورثة لكتاب اللّه وكهوف لوحيه (كما قال الإمام علي في الخطبة رقم ٢ من نهج البلاغة).

أقول هكذا تصدّى أئمة أهل البيت وبوعيٍ كاملٍ، لكل الاتجاهات المنحرفة في مجال التعامل مع القرآن الكريم، وتفسيره.

٥ـ مواقف متميزة من القرآن الكريم

وامتاز أهلُ البيت عليهم السلام في هذا المجال بعد كل هذا وذاك بمواقف متميزّة من القرآن أشدّ تميزاً مما سبق ونشير إلى ابرز هذه المواقف.

١ـ الحثّ عى تقديم القرآنِ على الهَوى لا العكس

لقد حثّ أهل البيت صلوات اللّه عليهم، المسلمين في أكثر من موضع، على تقديم القرآن على الهوى، في عهود ساد فيها عطف الحق على الهوى، وحمل الكتاب على الرأي الشخصّي، وجعل القرآن مَقُوداً وتابعاً، بعد إذ كان قائداً ومتبوعاً !

ففي الخطبة رقم (٨٧) من نهج البلاغة يقول الامام علي، وهو يصف المؤمنين، كما يصف بعد ذلك الفسّاق، ويعدّد صفاتهم:

«قد أمْكَنَ الكتابَ (اي القرآن) من زمامه فهو قائده وإمامُه، يحلُّ حيثُ حلّ ثَقَلُه وينزل حيث كان منزلُه.
وآخر قد تسمى عالِماً وليسَ به.. قد حَمَلَ الكتابَ (القرآن) على آرائه، وعطف الحق على اهوائه».

وقال عليه السلام في الخطبة رقم ١٣٨ وهو يصف سياسة الإمام المهدي الذي تحدثت

احـــاديث الرســـول الكـريم[٥٧] عن ظهـوره وإصلاحه لما فسد من أحوال العالم البشري:

«يعطفُ الهَوى عَلى الهُدى إذا
عَطَفُـوا الهُـدى على الهَـوى،
ويعطفُ الرأيَ على القرآنِ إذا
عَطَفُوا القرآن على الرأي».

يقـول الإمـام محمّـد عبـده شارح نهج البلاغة في شرح هذا الكلام العَلَوّي: (يعطف) خبـر عن قائم ينادي بالقرآن ويطالب الناس باتبـاعـه وردّ كلّ رأي إليه، ومعنى (يعطف الهـوى) يقهـره ويميل به عن جانب الإيثار فيجعل الهُدى ظاهراً على الهوى، وكذلك قوله (ويعـطف الرأي على القرآن) أي يَقهرُ حكم الرأي والقياس ، ويجعلُ الغلبة للقرآن عليه، ويحملُ الناس على العمل به دونه[٥٨].

٢ـ التأكيد على دَور العترة في القرآن

لقـد رسمَ رسـولُ اللّه (ص) الخطَّ الذي يجب أن يسير عليه المسلمون من بعده عندما قال: «**إنّـي تاركٌ فيـكـمُ الثَّقَلين: كتـابَ اللّهِ وعتـرتي اهـلَ بيتي، ما إن تمسَّكْتُمْ بهما لن تَضلُّوا أبداً، وانَّهما لن يفترقا حتى يرِدا عَليَّ الحوضَ**»[٥٩].

وبذلكَ يتوجَّب على المسلمين إذا أرادوا ان يبقوا ضمن الإطار الإسلامي ان يرجعوا إلى هذين المصدرين بعد رسول اللّه (ص): القـرآن الكريم وأهل البيت، والاستغناء عن أيّ واحدٍ منهما يعني عدمَ الأخذ بما أتى به الرسولُ وأوصى به.

من هذا المنـطلَق بقي أهلُ البيت يحثُّون المسلمين على الدَّوام على فهم القرآن في ضوء تفســيرات أهـلِ البيت وتوضيحاتهم، وعدم الإستقلال بالفهم الشخصي فعدل القرآن (اي العترة) هو المرجعِ الشرعي النهائي الوحيد ـ بموجب حديث الثَّقلين ـ الذي يحقّ له تفسير الكتاب وبيان مقاصده ومراميه.

وها نحن نشير إلى نموذج من الموضوع.

دخل قتادة (الفقيهُ المشهور) على الإمام محمَّد بن علي الباقر عليه السلام فقال له الإمام:

ـ انت فقيه أهل البصرة؟

فقال: نعم هكذا يزعمون.

قال الإمام: ـ بلغني أنك تفسّر القرآن؟

قال: ـ نعم.

فانكر عليه الإمامُ ذلك قائلاً:

«يـا قتادة إن كنت قد فَسّرت القـرآنَ من تلقاء نفسك فقد هَلكت وأهْلكتَ ، وان كنتَ قد فَسَّرتَه من الرّجال فقد هلكتَ وأهلكتَ، يا قتادة ويحك إنّما يعرف القرآن من خوطِبَ به»[٦٠].

والمـراد هو معـرفة القرآن حق المعرفة لا معرفة لغاتها ومفاهيمها العرفية. أجل إن أهل البيت عليهم صلوات اللّه هم الذين يعرفون المحكم من المتشـابه، والناسخ من المنسوخ وليس عند غيرهم هذا العلم وقد أُثِرَ عن الأئمة عليه السسلام القول:

«انه ليس شيء أبعد من عقول الرجـال من تفسـير القـرآن،

الآيـة يكـون أولهـا في شيء وآخـرهـا في شيء وهـو كلام متّصل ينصرف إلى وجوه»[٦١].

وقد أعطى أهل البيت نماذج من التفسير الصحيح للقرآن الذي خفي عن الآخرين وكانوا بذلك خير معلّمٍ للمسلمين لكيفية فهم القرآن.

ونحن نكتفي هنا بذكر نموذجين من هذا الأمر:

فعن صفوان بن يحيى قال: سألني ابو قرّة المحدّث أن أدخلَه على أبي الحسن الإمام الرضا عليه السلام، فاستأذنتُه في ذلك فاذنَ لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام حتى بلغ سؤالُه إلى التوحيد فقال ابو قرّة: إنا روينا أن اللّه قسّم الرؤية والكلام، الكلام لموسى، ولمحمد الرؤية، فقال ابو الحسن عليه السلام: فمن المبلّغ عن اللّه إلى الثقلين من الجن والإنس: «لاتدركه الابصار. ولا يحيطون به علماً. وليس كمثله شيء» اليس محمد صلّى اللّه عليه وآله؟ قال ابو قرة: بلى.

فقال الإمام عليه السلام: كيف يجيء رجلٌ إلى الخَلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند اللّه وانه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه فيقول: «**لاتدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثله شيء**» ثم يقول: انا رايتُه بعيني، واحطت به علماً وهو على صورة البشر»؟!.

قال أبو قرة: فانه يقول: «ولقد رآه نزلةً أُخرى».

فقال الإمامُ ابو الحسن: «إنَّ بَعدَ هذه الآية ما يدلُ على ما رأى حيث قال: «**ما كَذَبُ الفؤادُ ما راى**» يقول: «ما كَذَبَ فؤادُ محمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما راى فقال: «**لقد راى من آياته الكبرى**» فآياتُ اللّه غيُر اللّه، وقد قال اللّه: «**ولا يُحيطونَ به علماً**» فاذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلمُ ووقعت المعرفة.

فقال ابو قرة: فتكذّبُ بالروايات؟

فقال ابو الحسن عليه السلام:

«إذا كانت الرواياتُ مخالفةً للقرآن كذّبتُها، وما اجمع المسلمون عليه [هو] أنّه لا يُحاط به علماً ولا تدركُه الأبصار وليسَ كمثله شيء»[٦٢].

هذا نموذج مما أعطاه الأئمة من إرشاد كلّي وجزئيٍّ وتفسيرٍ صحيحٍ للقرآن خَفِيَ على الآخرين في مجال العقيدة.

وأمّا ماأعطاه الأئمة في مجال التشريع والفقه فنأتي بنموذج او نموذجين فيه:

عن عبد الأعلى آل سام قال قلت لأبي عبد اللّه الصادق عليه السلام: عَثَرتُ فانقطع ظفري فجعلتُ على أصبعي مرارةً فكيف أصنعُ بالوضوء؟

قال عليه السلام:

«يُعرف هذا وأشباهُه من كتاب اللّه عز وجل. قال اللّه تعالى: ما جَعَل عليكم في الدين من حرج، إمسَحْ عَلَيه»[٦٣].

وعن زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام: ألا تخبرني من اين علمتَ، وقلت: إنَّ المسح ببعض الرأس وبعض الرجلين؟

فضحك فقال: يا زرارة قاله رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله، ونزلَ به الكتاب من اللّه عز وجلّ لأنّ اللّهَ عز وجلّ يقول: فاغسلوا وجوهكم، فعرفنا أنّ الوجهَ كلَّه ينبغي أن يُغسَلَ، ثم قال: «وأيديَكم إلى المرافِق» فوَصَلَ اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا انه ينبغي لهما أن يُغسَلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلام فقال: «وامسحوا برؤوسكم» فعرفنا حين قال: «برؤوسكم» أنّ المسح ببعض الرأس لمكان الباء، ثم وصل الرجلين بالرأس كما وَصَلَ اليدين بالوجه، فقال: «وارجلكم إلى الكعبين» فعرفنا حين وَصَلَهما (وصلها) بالرأس أن المَسح على بعضهما (بعضها) ثم فَسَّر ذلك رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وآله فضيّعوهُ[٦٤].

٣- الردع عن المتاجرة بكتاب اللّه بكل انواعها

وكان مما وقف منه أهلُ البيت عليهم السلام موقفاً حازملا ومتميّزاً هو عملية المتاجرة بالقرآن الكريم بجميع اقسامها، والدعوة إلى تعلم قراءة القرآن، وقراءته، وحفظه، والتدبُّر فيه بما انّه كتاب اللّه المنزَّل لهداية البشرية، وصوناً للقرآن من أن يصير إلى ما صارت اليه الكتبُ السماويةُ السالفةُ ويقع الملمون فيما وقع فيه اهل الكتاب من ممالأة الجبابرة والطواغيت على حساب كتبهم، وبواسطة القرآن، وكذا المتاجرة بتلك الكتب، من خلال تحريفها، وتبديلها لقاء دراهم ودنانير وامتيازات ماديّة او ما شابه ذلك.

ونسوق هنا نموذجاً واحداً من عشرات النماذج في هذا المجال تاركين التفصيل الى فرصة آخرى قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«مَنْ دَخَلَ عَلى إمامٍ جائِرٍ فقَرَأَ عليه القرآنَ يريدُ بذلك عَرَضاً من عَرَض الدُّنيا لُعِنَ القارئ بكلِّ حَرْفٍ عَشْرُ لَعَناتٍ، ولُعِنَ المُسْتَمِعُ بكلِّ حَرْفٍ لَعْنَةٌ»[٦٥].

هذه هي مكانة القرآن الكريم عند أهل البيت عليهم السلام وهذا هو موقفهم من هذا الكتاب الآلهي وتعاملهم معه، وما أدرجناهُ هنا من أحاديث وأخبار لا تعدو نماذج وامثلة، وبعبارة أُخرى: غيض من فيض ليس غير.

على ان ما ذكر في هذا المقال ليس سوى إلمامات سريعة تحتاج إلى أبحاث مفصلّة.

الهوامش:

١- نهج البلاغة، الخطبة رقم ٨٦.
٢-نهج البلاغة الخطبة رقم ١٥٦.
٣- الكافي للكليني/ ج٢/ ص ٤٤٠.
٤- حديث مشهور، راجع مسند احمد وصحيح مسلم والنسائي وغيرها.
٥- سورة الأحزاب، الآية٣٣.
٦- سورة الشورى، الآية٢٣.
٧- نهج البلاغة، الخطبة رقم ١١٠.

٨، ٩ـ الكافي/ ج٢/ ص ٤٤٤.
١٠ـ تفسير الإمام العسكري ص ٢٢.
١١ـ ثواب الأعمال للصدوق ص ٢١ و ١٦.
١٢ـ صفات الشيعة للصدوق ج٢ ص ١٦٧.
١٣ـ وسائل الشيعة للحرالعاملي ج٢ ص ٨٤٢.
١٤ ـ ١٦ـ الكافي ج٢ ص ٤٤٦، ٤٤٩، ٤٤٢.
١٧ـ مرآة العقول للمجلسي ج١٢ ص ٤٨٨.
(١٨) ـ (١٩) جامع الأخبار، كما في مستدرك الوسائل ج١ ص ٢٩٠ نهج البلاغة
٢٠ ـ ٢٢ـ الكافي ج ٢ ص ٤٤٣، ٤٥٠، ٤٥١.
٢٣ـ مرآة العقول ج٢ ص ٥٠٣.
٢٤، ٢٦ـ الكافي/ ج٢/ ص ٤٥١، ٤٤١.
٢٧ـ ثواب الاعمال ص ٩٣.
٢٨ـ المحاسن للبرقي ص ٦٩.
٢٩ـ مستدرك الوسائل للنوري ج١ ص ٢٩٤.
٣٠ـ الكافي/ ج٢/ ص ٤٨٨.
٣١ـ تفسير العياشي ج٢ ص ٤٤.
٣٢ـ الخصال للصدوق ج٢ ص ١٠.
٣٣ـ الخصال ج١ ص ٣٣٧.
٣٤ـ أمالي الصدوق ص ١٠٨ وتاريخ ابن كثير ج٨ ص ٣٧.
٣٥ـ المناقب لابن شهر آشوب ص ٦٦.
٣٦ـ أنساب الأشراف للسمعاني ق١ ص ٢١٩.
٣٧ـ الكافي ج٤ ص ٣١٦.
٣٨ـ الكافي/ ج٢/ ص ٤٥٠.
٣٩ـ تهذيب التهذيب لابن حجر ج٢ ص ١٠٤ والتوسل والوسيلة لابن تيمية ص ٥٢٠.
٤٠ـ دعوات الراوندي ص ٣، والكافي ج٢ ص ٦٠٦.
٤١ـ المناقب/ ج٣/ ص ٤٣٢.
٤٢ إعلام الورى للطبرسي ص ٣٢٧.
٤٣ـ مروج الذهب ج٤ ص ٩٣.
٤٤ـ الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق٢ ص ١٠١ والاستيعاب بهامش الإصابة ج٢ ص ٢٥٣ والإتقان للسيوطي ج١ ص ٧١ والتسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص ٤ وفهرست ابن النديم ص ٤٧ ـ ٤٨.
٤٥ـ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للصّدر ص ٣١٦.
٤٦ـ تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ص ٣٢٧.
٤٧ـ الإرشاد للمفيد ص ٢٤١.
٤٨ـ مطالب السؤول ج٢ ص ٥٥.
٤٩ـ الاتحاف للشبراوي ص ٥٢.
٥٠ـ الإرشاد حياة الإمام الجواد ص ٢٢٠ ـ ٢٢١، وتحف العقول، في كلماته.
٥١ـ عيون اخبار الرضا (ع) للصدوق ج٢ ص ١٤٢.
٥٢ـ إثبات الوصيّة للمسعودي/ ص ٢٢٢ـ٢٢٣.
٥٣ـ بحار الأنوار ج١ ص ٢٨.
٥٤ـ الاحتجاج للطبرسي ص ٢٧٧.
٥٥ـ المناقب ج٤ ص ٤٢٤.
٥٦ـ التوحيد للصدوق/ ص ٢٢٤.
٥٧ـ كنز العمال ج١٤ ص ٢٦٠ ـ ٢٧٦.
٥٨ـ نهج البلاغة بشرح الإمام عبده.
٥٩ـ مسند الامام أحمد، صحيح مسلم، سنن الترمذي مستدرك الحاكم، والمراجعات.
٦٠ـ الكافي ج٨ ص ٣١١.
٦١ـ تفسير العيّاشي ج١ ص ٧١ ولامحاسن للبرقي ص ٣٠٠.
٦٢ـ الكافي ج١ ص ٧٤.
٦٣ـ وسائل الشيعة ج١ ص ٣٢٧.
٦٤ـ وسائل الشيعة ج١ ص ٢٩٠ـ٢٩١
٦٥ مستدرك وسائل الشيعة ج١ ص ٢٩١.

نحو دائرة معارف قرآنية

الشيخ محمد باقر الناصري.

«إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات أنّ لهم أجراً كبيراً» (الإسراء/٨).

«ألر * كتاب أنزلناه إليك لتخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور...» (إبراهيم/١).

وقال رسول اللّه (ص): (فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع، وشاهد مصدّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنّة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النّار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، من قال به صدق، ومن عمل به وفّق، ومن حكم به عدل، ومن أخذ به أجر)[1].

ومن كلام لمولانا أميرالمؤمنين علي (ع):

(القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لاتفنى عجائبه، ولاتنقضي غرائبه، ولاتكشف الظّلمات إلّا به)[2].

وقال (ع) في موضع آخر من نهج البلاغة:

(واعلموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الّذي لايغشّ، والهادي الذي لايضلّ، والمحدّث الّذي لايكذب، وما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة في هدى، ونقصان من عمى).

وروي عن رسول اللّه (ص) قوله:

(إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ماإن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً)[3].

وفيما رواه علي(ع) انّه قال:

(قال رسول اللّه ـ ص ـ : ستكون فتن.

قلت: وما المخرج منها؟.

قال: كتاب اللّه، كتاب اللّه، فيه نبأ ماقبلكم، وخبر مابعدكم وحكم مابينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي ما تركه من جبّار إلّا قصمه اللّه، ومن ابتغى الهدى في غيره اضلّه اللّه، فهو حبل اللّه المتين، وهو الذكر

الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرّد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم ينته الجنّ إذ سمعته أن قالوا: «**إنّا سمعنا قرآنا عجبا**» هو الذي من قال به صدق ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراطٍ مستقيم)[٤].

ولكي يمارس المفكّرون الإسلاميّون مهمتهم الفكرية والحضارية وليستوعبوا كل جديد في الحياة من جهة، وليحافظوا على أصالتهم، وخصوبة وعيهم من جهة أخرى، لابدّ من أن يتعاملوا مع القرآن الكريم وفق الأسس والقواعد المنهجيّة التي تيسّر لهم المهمّة العلميّة والرساليّة التي حملها القرآن.

وإذا شئنا أن نمارس مثل هذه المهمّة العلميّة والرساليّة لدراسة القرآن، واستخراج مفاهيمه وأفكاره، فمن الضّروري لنا أن نتقيّد بالشّروط المنهجيّة الموضوعيّة.

فالإحاطة بكل أدوات ووسائل الفهم العلمي التي تمكّن الباحث من فهم القرآن وتجلية مضامينه وكشف محتواه من لغة وعلوم وتاريخ وسنّة[٥]، وكلّها تقودنا إلى حاجة الأمّة الإسلامية والجامعة البشريّة إلى موسوعة قرآنية، أو دائرة معارف قرآنيّة تستوعب هذه الوسائل وتلبّي هذه الحاجات.

وتتأكّد الحاجة لذلك يوماً بعد يوم، وجيلاً بعد جيل، وما نشر وطبع لحد الآن رغم كثرته وإعتزازنا وتقديرنا للجهود الخيّرة التي بذلت في سبيله، فإنّها لازالت دون المستوى المطلوب بكثير، ولايمكن أن تنهض أو تناهز المطلوب خطوات فرديّة وأفكار متناثرة.

وأنّى لها أن تحيط بدائرة القرآن، وهو الذي يقول فيه تلميذ القرآن وعدله علي (ع): (لاتفنى عجائبه، ولاتنقضي غرائبه، ولاتكشف الظلمات إلّا به...).

وخير ما يمكن إهداؤه على أعتاب كتاب اللّه العظيم، هو تأليف دائرة وموسوعة للمعارف القرآنيّة، تجمع شتات هذه المؤلّفات والبحوث والتفاسير القرآنيّة وتنسّقها في تبويب حديث مستعينة بأحدث وسائل العلم والحداثة في هذا المجال من كمبيوترات وغيرها.

لتسليط الأضواء على مكامن كنوز كتاب اللّه العظيم ولتسهيل الطريق للرّواد والعلماء والمفكّرين، ولا يمكن لشخص أو لجنة أن تنفرد بتحمّل أعباء هذه الموسوعة القرآنيّة، فإنّه عمل كبير وطريقه طويل وشائك، فهو طريق صنع الأمّة من جديد، وإعادتها الى مركزها القرآني الذي انحرفت عنه، إنّه طريق بناء الإنسانيّة كلّها ـ على أسس قرآنيّة ـ في قوالب السماء، ولكن الشوك وإن أدمى الأيدي التي تحاول اقتلاعه، إلّا أنّه يرضخ في النهاية للإرادة القويّة والتصميم الثابت)[٦].

ومن هنا فلا بُدّ بعد الاتّكال على اللّه والاستعانة به ـ جلّت قدرته ـ من تظافر الجهود الخيّرة والمخلصة من علماء العالم الإسلامي ومفكّريه وجامعاته ومؤسسّاته والافادة من الوسائل الحديثة، والأساليب العلميّة العمليّة، وإنّنا ومنذ أكثر من ثلاثين

عاماً وخلال أسفارنا الإسلاميّة العالميّة، نلمس هذه الحاجة الملحّة، ونسمع صيحات الاستغاثات المخلصة، من مختلف الأوساط الإسلاميّة، وفي شتّى بلدان العالم الإسلامي.

وضرورة وجود دائرة معارف للقرآن الكريم تهدي للبشريّة في عصر الصّحوة الإسلاميّة، وتلبية للدّعوة الكريمة التي حملتها (دار علوم القرآن الكريم) التي أسسّت في قم عاصمة العلم والدين، وبأمر وإشراف من قبل آية اللّه العظمى السيّد الكلبايكاني دام وجوده، وبمساعي ثلّة مؤمنة واعية من العلماء والكتّاب والمؤلّفين، لي شرف عضويتها منذ عام تقريباً.

فقد تمّ الاتّفاق على باكورة أعمال مشروع (دائرة المعارف القرآنيّة) هو إصدار مجلّة تعنى بالتبليغ والإعداد لهذا المشروع المبارك.

تطرح من خلالها أفكار المشروع وخطواته على العالم الإسلامي وتستنهض فيه همم العلماء والمفكّرين للتعاون بسد هذا النقص الكبير، وتحقيق هذا الأمل الذي طال انتظار المسلمين له، نسأل اللّه أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً.

وأن يأخذ بيدالعاملين لما يحقّق الهدف ويخدم القرآن والقرآنيين والعلم والعلماء وناشدي الحقيقة في كل مكان.

ولعلمنا أنّ هناك من العلماء بكتاب اللّه، ومن الكتب والمشاريع القرآنيّة، والمؤسسّات والجامعات والدّراسات التي تعمل وتهتم بالقرآن الكريم وبما يسهّل الوصول إليه، مالو تظافرت الجهود وتعاونت الأيدي والعقول والقلوب على جمع هذه الفهارس والمواضيع والأفكار والمشاريع، لحقّقت الهدف المنشود بعون اللّه ولأهدت للأجيال خير موسوعة قرآنيّة.

لهذا فإنّنا إذ نبارك لهذه المؤسّسة القرآنيّة الناشئة طموحها الكبير، ندعو جميع المخلصين أن يستجيبوا لهذه الدعوة الكريمة، وأن يرفدوها بالاقتراحات العلميّة البنّاءة، وبالنتاج القرآني.

ونأمل أن تكون هذه المجلّة منبراً قرآنياً يعكس اهتمام المسلمين بكتاب اللّه العظيم، ويعرّف بالمشاريع والأفكار القرآنيّة، ويربط حلقات هذه الأعمال بعضها ببعض.

كما نأمل من الإخوة المشرفين أن يكونوا عند حسن الأمّة بهم بتوسعة دائرة الاتّصال والخروج عن دائرة الفهم الخاص إلى الدائرة العالميّة، وبكلّ ماللعالميّة من أبعاد، ومازلنا في بدايات هذا العمل المبارك.

فلا بدّ من إعانة الكتّاب والمؤلّفين بقائمة المواضيع المهمّة ليتحرّكوا عليها بحثاً وكتابةً ومناقشةً.

١ـ دراسات ومشاريع عمل قرآنيّة.

١ـ تعريف وتبسيط لمعنى دائرة المعارف بصورة عامة، والقرآنيّة بصورة خاصة.

٣ـ تعريف بالمشاريع والاطروحات المثيلة في العالم الإسلامي إن وجدت، وماهي الخطوات التي تمّت من أعمالها، مع عناوينها

ونماذج من أعمالها إن وجدت.

٤ـ كيف نحوّل القرآن والدراسات القرآنيّة إلى مناهج دراسيّة تدخل على الطلّاب في مختلف مراحل دراساتهم:

أـ الابتدائية.

ب ـ الثانوية.

ج ـ الكلّيات والمعاهد العالية.

د ـ الدّراسات العُليا.

هـ ـ الحوزات العلميّة.

و ـ الدراسات الحوزويّة العُليا (الاجتهاد).

٥ـ القرآن قانون اللّه الكامل الخالد الذي لايبلى ولا يبيد:

«ومن لم يحكم بما انزل اللّه فاولئك هم الظالمون».

«ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الفاسقون».

«ومن لم يحكم بما انزل اللّه فاولئك هم الكافرون».

وهذا ممّا يجمع عليه كلّ المسلمين نظرياً.

فكيف نحوّل القرآن إلى قانون ودستور عمليّ للناس في الحكم، والإدارة، والتربية والأخلاق، والفنون، والأسرة، والمجتمع، والعلائق، والصّناعات، والعمل، كما هو في العبادات، والمعاملات، وغير ذلك.

٦ـ كيف نحوّل المسلمين إلى قرآنيّين، حقيقة فيما يكتبون ويؤلّفون، وينظّمون.

٧ـ القرآن في مواجهة تحدّيات الكتابيين ودسائسهم وكيدهم للقرآن وللقرآنيّين.

٨ـ القرآن كتاب إلهي عام لكلّ زمان ومكان، وهو لا يستغني عن التفسير وبيان الحقائق العلميّة واللغويّة والفقهيّة والتأريخية التي يشير لها إشارات عابرة.

فكيف نكتب التفسير، وماهي الضّوابط التي يعتمدها المفسّرون؟.

٩ـ الفهرسة والفهارس والمعاجم أصبحت اليوم من أهم الوسائل للمعرفة والعمل، ولا يمكن الاستغناء عنها، فكيف نعدّ الفهارس القرآنيّة الموضوعيّة والهجائيّة والتسلسليّة وغيرها؟.

١٠ـ مع وضوح أهميّة دائرة المعارف القرآنيّة والتسليم بأنّها يجب أن تشمل كافة أوجه القرآن وعلومه، فمن أين نبدأ؟ وماهي الأولويّات؟، وهل هناك ضرورة للتسلسل في المواضيع والعمل؟، أم نتّجه إلى جميع المفردات، ثمّ بعد ذلك ننسّق ونبوّب.

١١ـ مع القطع بوجوب التعاون بين المؤسّسات القرآنيّة لتحقيق الهدف الأسمى، لأنّ المشروع أكبر من أن تنفرد به جهة، فما هو نوع التعاون؟، وماهي طريقة التّنسيق؟، لتلافي التّكرار والهدر في أعمال المؤسّسات والمؤلّفين.

١٢ـ القران منذ ان انزله اللّه تعالى على رسوله الكريم (ص) هو الثّقافة الإسلامية العامّة.

واليوم نرى قصوراً في الثّقافة الشّعبية تجاه القرآن، وتقصيراً كبيراً في الأداء والمضمون، فكيف نعيد القرآن كثقافة شعبية عامّة تجرى على السنة عامّة الناس حفظاً

وقراءةً وتفسيراً،... ، كما كان بالأمس، وكما هو اليوم في أجزاء إسلامية بقيت بعيدة عن الثّقافة الغربية والعلمانيّة الثّقافية.

هذه وغـيرها عناوين تدور في فلك دائرة المعـارف القرآنيّة، لانشكّ أنّها مورد اهتمام العلماء والمفكّرين الإسلاميين.

فالأمل وطيد أن يتحرّك الجميع للتّعاون الجـادّ والمثمـر في سبيل هذا الهدف الكريم مستعينين باللّه الذي حثّ على التّعاون.

الهوامش :

(١) اعلام الدّين للدّيلمي/ ص ١٠٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) صحيح الترمذي/ أبواب فضائل القرآن. كما رواه أحمد في مسنده/ ج٣،٤،٥، ورواه الحاكم في المستدرك/ ج٣.

(٤) سنن الدّارمي/ ج٢/ ص ٤٣٥/ كتاب فضائل القرآن.

(٥) نظرة في كتاب اللّه لمؤسسة البلاغ ـ طهران/ ص ٤١.

(٦) الشّهيد محمّد باقر الصّدر (قدس)/ دراسات قرآنية/ ص ٧.

أطروحات جامعية

تفسير القرآن بالقرآن عند العلّامة الطّباطبائي

* اطروحة دكتوراه للأستاذ خضير جعفر

* عرض و تقديم: حسن السعيد

تحت هذا العنوان تقدم مؤخراً الأستاذ خضير جعفر برسالته لنيل درجة الدكتوراه وقد سبق للدكتور خضير أن تصدى لدراسة قرآنية في مجال التفسير ايضاً، أذ كانت اطروحته في الماجستير عن (الطوسي مفسراً) باعتباره صاحب اول محاولة تفسيرية كاملة عند الشيعة الأمامية، فيما يمثل العلامة الطباطبائي آخر محاولة تفسيرية ناضجة عند الشيعة من خلال تربّعه على سلّم النضج في هذا الميدان، على حد تعبير كاتب الأطروحة.

أما بواعث إختيار هذا البحث دون سواه، فقد اوضحها صاحب البحث في مقدمة الأطروحة بالأسباب التالية:

١ـ كون تفسير الميزان أحدث محاولة تفسيرية وما يعني توفرها على اسباب النضج المستفادة من محاولات تفسيرية سابقة.

٢ـ كون منهج تفسير القرآن بالقرآن اكمل واصدق منهج يمكن ان يُفَسَّر على ضوئه كتاب اللّه العزيز.

٣ـ كون العلامة الطباطبائي فقيهاً مجتهداً يمتلك الأدوات العلمية في التفاعل مع النصوص القرآنية بما توفرت له ملكة إستنباط تؤهّله لاكتشاف المعاني والمفاهيم والأحكام.

٤ـ إمتلاك المفسّر لثقافة إسلامية شاملة تجعله قادراً على فهم روح الكتاب وأبعاد معانيه.

٥ـ منهجه العلمي في الحوار مع منْ يختلف معهم، وتمتعه بالروح الموضوعية التي لاتتجاوز أطر البحث العلمي السليم.

٦ـ ذكره للآراء والمذاهب المختلفة، وبما يجعل الميزان دائرة معارف غنية من شأنها أن تضع القارئ امام تراث اسلامي ضخم، وفي اكثر من مجال، مع ملاحظة ذكره للآراء الصحيحة وتأييدها ورفضه لما سواها من

افكار ونظريات لا تنسجم والفكر الأسلامي.

*** منهجيّة الأطروحة**:

هنا جاءت المنهجية وفق الطريقة المعمول بها في الأبحاث الأكاديمية.

وعلى ضوء ذلك، جاءت الرسالة في ثلاثة ابواب. شمل الباب الأول منها فصلين، كان اولهما حول حياة العلامة الطباطبائي ومكانته العلمية وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ونسبه واخلاقه، بينما تضمن الفصل الثاني بياناً للتطور التاريخي للتفسير ومناهجه.

اما الباب الثاني فقد كرسه الباحث للحديث حول منهج تفسير القرآن بالقرآن والذي شمل اربعة فصول كانت على التوالي:

الفصل الأول: نشأة تفسير القرآن بالقرآن. وقد ذهب الباحث الى أن منهج تفسير القرآن بالقرآن هو اول منهج تفسيري ظهر في دنيا الآسلام، اذ فسر اللّه سبحانه الآيات بالآيات قبل ان يفسر القرآن احد من المخلوقين، بمن فيهم رسول اللّه (ص)، وهو رأي الباحث ـ يتفق والمستشرق (جولدزيهر) الذي يقول في هذا الصدد : (من الممكن القول بأن المرحلة الأولى لتفسير القرآن والنواة التي بدأ بها تتركز في القرآن نفسه وفي نصوصه نفسها) (انظر كتابه المذاهب الأسلامية في تفسير القرآن ـ ج١ ص ١).

الفصل الثاني: التفسير الموضوعي عند العلامة الطباطبائي، والمقصود به جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد، مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول ـ كلما أمكن ذلك ـ ثم تناولها بالشرح والتفصيل وبيان حكمة الشارع في شرعه وقوانينه مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن الكريم (انظر دراسات التفسير الموضوعي للقرآن الكريم للدكتور زاهر الألمعي ص ٧).

صحيح أننا لانستطيع تحديد فترة زمنية لولادة هذا اللون من التفسير، لو أردنا أن نؤرخ، لبدايات ظهوره، إلّا اننا لا نعدم وجود أصل لهذا الآتجاه التفسيري في ما الفه الأقدمون من امثال: (مقاتل بن سليمان البلخي (ت ١٥٠هـ) صاحب كتاب الأشباه والنظائر، ومثله كتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) الموسوم بـ«نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر»... وغيرهما).

وقد وجد السيد الطباطبائي نفسه امام تجربة ثرّة غنية، في مجال التفسير والدراسات التفسيرية، لذا لم يفته هذا اللون من الأبداع، خاصة وأن إهتمامات مفسرنا كانت منصبة باتجاه صياغة تفسير القرآن معتمداً اساساً على آيات القرآن نفسها لذلك وجد في التفسير الموضوعي ارضاً خصبة لتتفتق بها عبقريته التفسيرية وبما ينسجم مع اتجاهه التفسيري، لذلك أدلى دلوه في هذا الميدان وابدع فيه ايمّا ابداع، اذ التفسير الواقعي

عنده: هو التفسير الذي ينبع من التدبر في الآيات الكريمة، وضم بعضها الى بعض (تراجع الأطروحة ص ٩٩).

الفصل الثالث: مبدأ السياق عند المفسر، ويعتبر السياق احد اهم القرائن الحالية في فهم الكلام، والقرآن الكريم، باعتباره كلاماً، فإن الأحاطة بسياق آياته وسوره تضع المفسر في جو النص القرآني، وتعينه على فهم المراد منه، والوقوف على معاني الآيات فيه.

وقد أجمع المعنيون بعلوم القرآن على التأكيد على أهمية مراعاة السياق لمعرفة النص القرآني.. ولهذا اهتم السيد الطباطبائي بالسياق اهتماماً بالغاً حيث اعتمده مبدأ مهماً في فهم النصوص القرآنية وبيان مداليلها وبشكل واسع، والى الحد الذي جعله يصفه بأنه ادل دليل لبيان المعنى وفهم المراد.

واما الفصل الرابع: فكان منصباً حول تفسير الآية بالآية وضم الآيات لبعضها، واعتماد المفسر على الآيات في حواره مع المفسرين، وفي قبول الروايات او رفضها.

وفي هذا الباب يقول صاحب الأطروحة: (يمكننا القول بأن العلامة الطباطبائي قد تفرد من بين المفسرين بأن خصص بعض آيات القرآن واسماها (غرر الآيات) اي خصها بميزة كونها مفتاحاً للدخول الى بوابات المعرفة والمعاني التي تضمنتها الآيات الأُخر، وكان غرر الآيات أصل لأخواتها الاخريات وسبيل لمعرفة مضامينها، اذ اليها تعود باقي الآيات، وبها ترتبط، وعلى اساسها تتوضح، وهي عنده آيات نموذجية واساسية في كتاب الله، وبذلك يكون مفسرنا قد أضاف لأدوات التفسير اداة جديدة، من شأنها حل العقد والاشكالات التي بدونها قد يقع المفسر في الخلط والتّناقض (الأطروحة ص ١٦٨).

اما الباب الثالث فقد شمل فصلين:

اولهما تضمن الحديث تطبيقات المنهج على علوم القرآن.

بينما كان الفصل الثاني مبيّناً لآراء العلامة الطباطبائي بعقائد الأمامية ودفاعه عنها، وبما تعطيه الآيات القرآنية من أدلة وشواهد اثبات وتأييد.

واختتم الباحث اطروحته بالحديث عن الخصائص التفسيرية عند العلامة الطباطبائي.

وأخيراً.. اذا كان لابد من كلمة تُقال في الأطروحة، فان هناك جهداً واضحاً، قد بذله الباحث، والحق يُقال، يتضح من خلال:

أ ـ تكامل منهجية البحث.

ب ـ التعمق في الموضع والاحاطة به.

ج ـ رشاقة اسلوب الباحث، وجزالة لفظه، وعذوبة بيانه (وللعلم فان الباحث أديب وشاعر معروف لدى عشّاق الأدب).

ثمة اشارات ينبغي التنويه اليها،

بخصوص هذه الأطروحة واهمها:

حاز صاحبها على الدكتوراه وبدرجة إمتياز.

تقع في ٣٩٥ صفحة من القطع الكبير وقد طبعت اصولها على الآلة الكاتبة.

تبنت مؤسسة دار القرآن الكريم طبعها وعلى نفقتها الخاصة.

وباختصار شديد، كانت الأطروحة جهداً مشكوراً، وعملاً مأجوراً.. نسأله تعالى أن ينفع بها..

وأملنا كبير في باحثينا ومثقفينا الرساليين الذين ننتظر منهم مزيداً من الخوض في عالم القرآن الرحيب..

ببليوغرافيا : دليل إعراب القرآن

اعداد الشيخ فرقاني.

*** ارجوزة في الهمزات التي اتت ساكنة في فاء الفعل في القرآن الكريم .**

تأليف:؟

اوّلها:

الحمـد لله الذي هدانـا

لدينه وفضله اتـانـا

آخرها:

بحمد الله منتهى الابيات

والختم بالرضى على السـادت

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٢٨ و ٣١٤

*** إستيعاب البيان في معرفة مشكل إعراب القرآن**

للشيخ ابن عبدالله محمد بن ابي الصافية المقري النحوي ;

ورد ذكره في فهرست ابن ابي بكر محمد بن خير الاموي الاشبـي ص ٦٩

معجم مصنفات القرآن الكريم / ج١/١٩٢

*** اسـد فكر و اسد مشية في اعراب اشدّ ذكراً واشدّ خشية**

لمحمّـد بن عبـد الرسـول بن عبـد السيد بن عبد الرّسول بن قلندر البرزنجي الشهرزوري المدني (؟ ـ ١١٠٣)

اوّله:

اللهم ارزقنـا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك و....

آخره:

وقـد احـزت بقراءة الدّعاء المذكور بحق روايتنا عن هؤلاء المذكورين

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٢٣

*** اعراب ام الكتاب**

لولي الدّين الدّيباجي العثماني المنفلوطي (؟ـ ٧٧١)

اوّله:

الحمد للّه وكفى. وسلام على عباده الذين اصطفى....

آخره:

آمين: اسم فعل وينوب عن فعله وهو بمعنى إستجب.

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٣٧

*** اعراب تبارك اللّه احسن الخالقين**

للشيخ سليمان بن عبداللّه بن علي بن الحسن الحسراوي البحراني الماحوزي (؟ ـ ١١٢١)

معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

*** إعراب التعوّذ والفاتحة**

تأليف: ؟

اوّله:

الحمد لله رب العالمين... قال الشيخ العلّامة ولي الدين تغمده اللّه تعالى...

آخره:

آمين: اسم فعل الى إستجب، وفيها لغات اربع: آمين ـ اَمَيْن ـ إِميّن ـ أَمين.

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٩٣

*** اعراب ثلاثين سورة من القرآن**

لابن عبداللّه بن احمد بن الكريم خالويه (؟ ـ ٣٧٠)

من منشورات «دائرة المعارف العثمانية ـ هند» ط. ١٣٦٠هـ/ ٢٤٨ ص. موجود في دار القرآن الكريم ـ قم

*** اعراب سور من القرآن**

تأليف: ؟

اوّله:

الحمد للّه ربّ العالمين..... إعراب الإستعاذة: اعوذ فعل مضارع...

آخره:

من الجنة ومجرور متعلق ايضاً بيوسوس والناس معطوف على الجنّة والمعطوف على المجرور مجرور وجرّه بالكسرة

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٤٠

*** اعراب سورة آل عمران**

لعلي حيدر (معاصر) من منشورات «دار الحكمة ـ دمشق» ط ١٣٩٢هـ.

معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٣

*** اعراب سورة الفاتحة**

للشيخ محمد علي المدرّس (معاصر) من منشورات «دار الهجرة» ط في ٣٦ ص. موجود في دار القرآن الكريم بقم

*** الاعراب في القرآن الكريم**

لسميح عاطف الزّين (معاصر) من منشورات «دار الكتاب اللبناني ـ بيروت) ط١/ ١٤٠٥هـ/ ٨٣٥ ص / القطع كبير.

*** اعراب القرآن**

لمحمّد بن المستنير بن أحمد المعروف بقطرب

(؟ ـ ٢٠٦)
ايضاح المكنون/ ج٤/ ٣١٨ و ٣٤٦

* اعراب القرآن
لمعمّر بن المثنى بالولاء البصري النحوي (١١٠ ـ ٢٠٩)
الاعلام/ ج٨/ ١٩١

* اعراب القرآن
للشيخ ابن العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الأزدي البصري الملقب بالمبرد (؟ ٢٨٥)
معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

* اعراب القرآن
لابن العباس احمد بن يحيى بن سيّار المعروف بثعلب (٢٠٠ـ٢٩١)
الاعلام / ج١ / ٢٥٢

* اعراب القرآن
لابي اسحاق ابراهيم بن السري بن سهل الزجّاج (؟ ـ ٣١١)
من منشورات «المؤسسة المصرية العامّة ـ القاهرة» ط ١٩٦٣م في مجلدين: ٧٧٦ ص

* اعراب القرآن
لشيخ النحاة ابن جعفر بن الحسن بن ابي سارة الرواسي الكوفي
معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

* اعراب القرآن
لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي المشهور بابن للنحاس (؟ ـ ٣٣٨)
مطبوع.

* اعراب القرآن
لاحمد بن فارس اللغوي (؟ ـ ٣٦٩)
معجم الادباء/ ج١/ ٨٤

* اعراب القرآن
للشيخ ابن علي الحسن بن علي بن احمد النحوي الفارسي الفسوي (؟ ـ ٣٧٧)
معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

* اعراب القرآن
لحسن بن قاسم بن عبدالله المرادي المصري المعروف بابن امّ القاسم (؟ ـ ٧٤٩)
الاعلام/ ج٢/ ٢٢٨

* اعراب القرآن (فارسي)
لمحمّد بن عبدالوهاب بيدكلي الكاشاني. كتبه بطلب من بعض الاصدقاء ولتلميذه الحاج ملّا محمد جعفر الاسترآبادي
اوّله:
الحمد للّه على نواله... اما بعد بس مى كويد...
معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

* **اعراب القرآن**
لإسماعيل بن خلف المقري الانصاري الاندلسي
في تسع مجلدات مستخرج من كتاب البرهان لعلي بن ابراهيم الحوفي المتوفى سنة ٤٣٠ هـ
مخطوط منه نسخة محفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٤٩٧٨
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٦

* **اعراب القرآن**
للحاج بابا الطوسي
معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

* **اعراب القرآن**
لعبد الكريم محمد الصالح الحمروني
مخطوط منه نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٤٩٩٠
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٧

* **اعراب القرآن**
لعلّه للشيخ زكريّا الانصاري السبكي المصري
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٥

* **اعراب القرآن**
تأليف؟
كبير، قطعة منه عند المحدث الشيخ عباس القمي مكتوب في آخره انه تمّ الجزء الخامس ويتلوه في السادس قوله تعالى:
(وما نرسل المرسلين الّا مبشرين ومنذرين)
وفرغ المصنّف من هذا الجزء في سنة ٤٤٦ هـ
معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

* **اعراب القرآن**
تأليف: ؟
الجزء الثاني من نسخته كتبت في القرن التاسع يبتدئ من اوّل سورة الانعام وينتهي بآخر سورة الاسراء
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٥

* **اعراب القرآن**
تأليف: ؟
مخطوط، منه نسخة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم ٤٤٠٣
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٧

* **اعراب القرآن الكريم**
لابن حيّان
مخطوط منه نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود برقم ٢/٤٧٥ ف
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٦

* **اعراب القرآن الكريم وبيانه**
لمحيي الدين الدرويش (معاصر) من منشورات «دار ابن كثير ـ بيروت»
ط في ١٦٨٩ ص

* **اعراب قرآن و شأن نزول (رساله...)**
لحسن بن محمد بن نصر الكرميني.

منه نسخة في مدرسة حجيّات بالموصل تحت رقم ١/ ٤٨
منزوى/ ج١/ ٦٠١

*** إعراب القراءات**
لابن خالوية
منه نسخة مصوّرة في جامعة محمد بن سعود الاسلامية. الرياض ف ٨٧٩
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٦

*** اعراب القراءات الشواذ**
لابي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (؟ ـ ٦١٦)
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٤

*** اعراب مواضع من القرآن**
لابي محمد بن عبدالله جمال الدين بن يوسف بن احمد بن عبدالله بن هشام الانصاري (؟ ـ ٧٦١)
طبع في الرياض ١٤٠٣هـ
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٩

*** اعراب وتفسير ستّ سور من القرآن**
للحاج ميرزا زين العابدين الشهشهاني (؟ ـ ١٣١٨)
اوّله: سجله... وبعد فيقول الفقير الى الله الغني اضعف المضعفين...
آخره: ولم يفارقه القرآن حتى ينزل به من الكرامة افضل ما يتمنّى

معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

*** الاغفال**
لحسن بن احمد بن عبدالواحد الفارسي النحوي (؟ ـ ٣٧٧)
مطبوع، حققه محمد محمد اسماعيل
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٧٩

*** املاء ما منّ به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات**
لابي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (٥٣٨ ـ ٦١٦)
ط في جزئين ٢ ـ ١. من منشورات «مكتبة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر» و «دار العلم للملايين»

*** البيان في اعراب القرآن**
لابي عمر احمد بن محمد بن عبدالله ابن عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي (٣٤٠ ـ ٤٢٩)
الاعلام/ ج١/ ٢٠٦

*** البيان في غريب اعراب القرآن**
لأبي البركات بن الأنباري، مراجعة مصطفى السقا
تحقيق وتعليق: الدكتور طه عبدالحميد طه، طبع في مجلدين

*** التبيان في اعراب القرآن**

راجع: املاء ما منّ الرحمن....

*** تحفة الاخوان في اعراب بعض آي القرآن**

للشيخ عبدالرحمان بن محمد الجزائري المعروف بالثعالبي (؟ ـ ٨٧٥)

ايضاح المكنون/ ج٣/ ٢٣٩

*** تركيب القرآن**

لعزيز الجزائري

منه نسخة في الرضوية ومكتبة مدرسة النواب ـ مشهد. معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

*** تركيب القرآن**

تأليف: ؟

اوّله: نحمدك اللّهم يا من الهمنا ما هو ذريعة الى معرفته

معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

*** تركيب و تفسير آيه شهادت**

لزين العابدين بن محمد هاشم الحسيني الاسترآبادي.. الفه سنة ١١١٠ هـ

اوّله: الحمد لله الذي اخرجنا من الظلمات الى النور...

معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

*** تسهيل اعراب القرآن العظيم**

تأليف: ؟

اوّله: انّه يلزم ان يكون الاسم والمسمّى واحداً...

آخره:

فلابدّ ان تعبر عن المعاني الغيبيّة بعبارات **الامثلة من عالم الشهادة**

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٧٨

*** تناوب حروف الجرّ في لغة القرآن**

لمحمّد حسن عوّاد (معاصر) من منشورات «دار الفرقان ـ عمان»

ط ١٩٨٢م

معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٨٢

*** الجدل في اعراب القرآن**

لمحمود الصافي (معاصر) من منشورات «مؤسسة الايمان ـ بيروت»

ط ١/١٩٨٦م

*** جزء من اعراب القرآن**

تأليف: ؟

منه نسخة بمكتبة الحرمين بمكة تحت رقم ٢٩٢

معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٨٣

*** الجمع والتثنية في القرآن**

لابي زكريّا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي المعروف بالفرّاء (١٤٤ ـ ٢٠٧)

الاعلام/ ج٩/ ١٧٨

*** الحكم والأناة في إعراب قوله تعالى: غير ناظرين اناه**
لتقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي (؟ ـ ٧٥٦)
كشف الظنون/ ٦٧٥

*** الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون**
لاحمد بن يوسف بن عبدالدايم الحلبي المعروف بالسمين
مخطوط وهو مجلّدان فخمان
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٨٥

*** دراسات لاسلوب القرآن الكريم**
لمحمّد عبدالخالق عضيمة (معاصر)
وهي دراسات في الحروف والجانب الصرفي في القرآن
طبع في القاهرة سنة ١٩٨١م
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٨٥

*** الدّرر في اعراب اوائل السور**
لاحمد بن احمد بن محمد الشجاعي البدراوي الازهري (؟ ـ ١١٩٧)
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٨٥

*** رسالة على عبارة البيضاوي في إعراب باء البسملة**
لعبد الغني بن اسماعيل النابلسي (؟ ـ ١١٤٣)
اوّلها:
بسمله... فيقول الفقير الى مولاه القدير... هذه رسالة عملتها في بيان عبارة...
آخرها:
فاعلم ان الباء... متعلقة بمحذوف جوازاً خاص ذلك المحذوف و هو اقرأ بلا واسطة
دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ١٥٦

*** سراج الهدى في القرآن و مشكله واعرابه**
لابي اليسر ابراهيم بن احمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي
ايضاح المكنون/ ج٤/ ٩

*** ضمائر القرآن**
لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني (٧١٧ ـ ٧٨٦)
الاعلام/ ج٨/ ٢٧

*** ظاهرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم**
لاحمد سليمان ياقوت (معاصر) من منشورات «جامعة الملك سعود ـ الرياض» ط ١٤٠١هـ
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٨٨

*** غريب اعراب القرآن**
لاحمد بن فارس بن زكريّا القزويني الرازي (؟ ـ ٣٩٥)
معجم مصنّفات الشيعة حول القرآن

*** الفائدة في معنى و اعراب آية المائدة**

لابن عزوز محمد مكّي التونسي
في جوابه عن سؤال
ايضاح المكنون/ ج٤/ ١٥٤

*** فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة**
لتاج الدين محمد بن محمد بن أحمد المعروف بالفاضل الاسفرائيني (؟ ـ ٦٨٤)
اوّله: الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين إلخ في مجلّد
ايضاح المكنون/ ج٤/ ١٥٣

*** فتح الكريم في اعراب بسم اللّه الرّحمن الرحيم**
لعبد اللّه بن درويش الركابي الشيباني الحسيني القادري الشهير بابن السكري (؟ ـ ١٣٢٩)
اوّله: الحمد للّه الاوّل الذي لا ابتداء له... فيقول راجي عفو ربه العلي...
آخره: وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهور سنة ألف ومائتين وثمان وسبعين
دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٢١٩

*** الفريد في اعراب القرآن المجيد**
للمنتجب بن ابي العزّ بن رشيد الهمداني (؟ ـ ٦٤٣)
الاعلام/ ج٨/ ٢٢٢

*** القطع و الائتناف**
لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (؟ ـ ٣٣٨)
طبع في بغداد، مطبعة العاني سنة ١٣٩٨هـ
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٩١

*** كتاب في اعراب القرآن**
تأليف: ؟
منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الوطنيّة بتونس تحت رقم ٤٨٨٠
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٩١

*** المجيد في اعراب القرآن المجيد**
لبرهان الدين ابي اسحاق ابراهيم بن محمّد بن ابراهيم السفاقسي
اوّله:
الحمد للّه الذي شرفنا بحفظ كتابه... وبعد فلما كان اللسان العربي...
آخره:
تمّ بحمد اللّه وعونه وكان الفراغ من كتابته....
دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٢٧٦ و ٢٧٧

*** مختصر اعراب القرآن (للسفاقسي)**
لمحمّد بن عبداللّه الصرفدي (؟ ـ ٧٩٢)
منه نسخة في الظاهرية بدمشق (تعليقات عبيد)
معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٩٤

*** مختصر في اعراب بعض سور القرآن**
تأليف: ؟

اوّله:

الحمد للّه رب العالمين... امّا بعد فهذا مختصر في اعراب بعض سور القرآن...

آخره:

ينبذنّ: فعل مستقبل مجهول مبني على الفتح لأُجل ملاصقة النون له في الحطمة

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٢٧٢

*** مختصر في إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**

تأليف: ؟

اوّله:

الحمد للّه رب العالمين... امّا بعد فهذا مختصر فيه ذكر ثلاثين سورة...

آخره:

هذا ما تيسر من اعراب السور التي **قصدنا اعرابها**

دار الكتب الظاهرية/ ج٢/ ٢٨٠

*** المرقاة في اعراب لا اله الاّ اللّه**

لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن على الحنفي الزمرّدي، ابن الصائغ (٧٠٨ ـ ٧٦٧)

الاعلام/ ج٧/ ٦٦

*** مشكل اعراب القرآن**

لابي محمد مكّي بن ابيطالب القيسي (٣٥٥ ـ ٤٣٧)

تحقيق و تعليق: ياسين محمّد السوّاس. ط في مجلدين/ ١٠١٤ ص موجود في دار القرآن الكريم بقم

*** مشكل اعراب القرآن**

لابي بكر بن فورك

ورد ذكره في فهرست أبي بكر محمد بن خير الاموي الاشبي ص ٦٩

معجم مصنفات القرآن الكريم/ ج١/ ١٩٢

*** الملخّص في اعراب القرآن**

لابي زكريّا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي (؟ ـ ٥٠٢)

الاعلام/ ج٩/ ١١٧

*** منهج الاخفش في اعراب القرآن**

لأحمد محمّد الخرّاط (معاصر) من منشورات منشورات «دار القلم» ـ بيروت.

ط ١٩٨٧/ ٥٥ص.

من نشاطات دار القرآن

* تأسست دار القرآن الكريم عام ١٣٩٤هـ بأمر من آية الله العظمى السيد الكلبايكاني، وانطلقت الى العمل في خمسة محاور:

أ ـ طبع القرآن الكريم اعتماداً على نسخة معتبرة.

ب ـ تصحيح الاخطاء الموجودة في بعض الطبعات وارسال قائمة بتلك الاخطاء الى من يهمه الامر.

ج ـ ايجاد دروس لتعليم القرآن في جميع انحاء البلاد وتوفير الامكانيات اللازمة.

د ـ تجميع نسخ القران المخطوطة والمطبوعة في البلاد الاسلامية وغيرها.

هـ ـ تجميع الكتب المؤلفة عن القرآن الكريم وانشاء مكتبة قرآنية متخصصة.

وبعد انتصار الثورة الاسلامية بقيادة مفجرها الفذ الامام الخميني واتساع تدريس القرآن وتعليمه على كافة الاصعدة والمستويات عاودت دار القرآن استئناف نشاطها ـ بعد توقف قصير ـ فاقتصرنا على البحوث والدراسات التحقيقية حول القرآن الكريم.

*** مشروع علمي مهم**

منذ بدايات تدوين العلوم الاسلامية والى يوم الناس هذا لم تدون ـ في اي بلد من بلدان المسلمين ـ مجموعة كاملة تحتوي على مفاهيم القرآن وعلومه وتعاليمه. ومن هنا ادركت الهيئة العلمية لدار القرآن الكريم ضرورة الاقدام على تدوين ونشر دائرة «معارف القرآن الكريم» وإرتأت اولاً ان تعدّ الاطروحة الاولية للمشروع. وتم طبع (٧٠٠) نسخة من الاطروحة والخطوط العامة للمشروع ووزعت على المتخصصين في هذا الفن لاستطلاع آرائهم. وبعد استلام الردود باشرنا اولاً بكتابة «الكشّاف الموضوعي لآيات القرآن الكريم» كمحاولة للتعرّف على الطاقات العلمية

المتخصصة وجذبها واستثمارها مستفيدين من المهارة والتجربة اللازمة لإنجاز المشروع الكبير. لذا وجهنا اهتمامنا الى المشروع الثاني وانصرفنا ـ مؤقتاً ـ عن المشروع الأول.

ومن بين المواضيع الكثيرة في القرآن اخترنا ابتداءً موضوع «الإنسان في القرآن» وانتهينا ـ فعلاً ـ من العناوين التالية:

١ـ الانسان والمجتمع.
٢ـ الانسان والحكومة.
٣ـ الانسان والسنن الالهية.
٤ـ الانسان والاخلاق.
٥ـ الانسان والعبودية.
٦ـ الانسان والنعم الالهية.

وهناك موضوعات من قبيل:

الانسان والطبيعة.
الانسان وخلقه.
الانسان والمصير.
الانسان وحاجاته.
الإنسان وخصائصه.
الانسان والقيامة.

وستنشر هذه البحوث بعد اتمام المراجعات والتحقيقات الاولية من قبل الاساتذة والمتخصّصين وتنسيقها وترتيبها إن شاء الله.

*** اعمال انجزتها دار القرآن الكريم:**

تم بحمد الله انجاز العديد من الأعمال التي تصب في خدمة كتاب الله العزيز.. وفيما يلي أهمّها:

١ـ اعداد وتدوين (معجم مخطوطات الشيعة حول القرآن).

٢ـ اعداد وتدوين (معجم مصنفات الشيعة حول القرآن).

٣ـ انشاء مكتبة قرآنية متخصصة ليستفيد منها كل العلماء والمحققين.

٤ـ انشاء متحف قرآني يضم انواع النسخ القرآنية المخطوطة والمطبوعة والمترجمة إلى اللّغات المختلفة

٥ـ عقد مؤتمر سنوي بمناسبة المبعث النبوي الشريف والمصادف في السابع والعشرين من رجب المرجب للبحث في شؤون القرآن ومفاهيمه وعلومه.

٦ـ احياء تراث الشيعة حول القرآن.

وفي هذا المجال شرعنا في تصحيح ومقابلة وتحقيق نسخ «التفسير الوجيز» لعلي بن الحسين بن ابي جامع العاملي.

٧ـ طبع ونشر الكتب القرآنية.

٨ـ دراسة بعض الترجمات الفارسية للقرآن الكريم وتحقيقها وتجديد الاشتباهات الحاصلة فيها ونقصد من وراء ذلك غرضين:ـ

أ ـ اعلام المترجم والناشر لتصحيحها وتلافيها في الطبعات المقبلة.

ب ـ اعداد ترجمة تفسيرية صحيحة لنشرها.

٩ـ بحث ودراسة عشر ترجمات من التراجم الانجليزية المشهورة والمعتبرة وتشخيص الاشتباهات الواردة فيها واعداد ترجمة كاملة باللغة الانجليزية بحيث تكون معياراً للمتخصصين ومرجعاً لهم في ترجمة القرآن الى اللغات الاخرى.

هذا وتنوي الدّار اعداد واصدار ترجمة فرنسية للقرآن الكريم وذلك بعد التفرغ من الترجمة الانكليزية.

١٠ـ تشجيع الفضلاء والراغبين على التحقيق والتأليف في مجال مفاهيم القرآن وعلومه وتعاليمه.

١١ـ ايجاد مجمع للتنسيق بين المراكز القرآنية لاستدعاء كل المؤسسات والمراكزالعاملة في مجال القرآن الكريم (تأليفاً، تحقيقاً، بحثاً، طبعاً ونشراً، تعليماً وتدريساً.. الخ) لإرساء التبادل الفكري والتعاون العلمي وتبادل المعلومات بينها وعلى اسس سليمة لاجتناب التنافس غير الصحيح والتكرار والتداخل في الاعمال وصولاً إلى إنجاز المشاريع والبرامج الاكثر نفعاً للمسلمين وللعالم الإسلامي بأحسن شكل.

١٢ـ منح راتب شهري ـ مدى الحياة ـ لحفاظ القرآن الكريم الذين يحفظون القرآن كاملاً.

١٣ـ واخيراً وفقنا اللّه لاصدار هذه المجلة الفصلية بشؤون القرآن الكريم.

نسأله تعالى أن يأخذ بأيدينا الى مافيه مرضاته، ويسدد الخطى لخدمة القرآن ورسالته العظيمة. إنه حسبنا ونعم الوكيل.

«المؤتمر الثاني للأبحاث والدراسات القرآنية»

تيمناً بذكرى المبعث النبوي الشريف انعقد المؤتمر الثاني للابحاث والدراسات القرآنية لدار القرآن الكريم يومي الخميس والجمعة المصادفين للسادس والسابع والعشرين من رجب عام ١٤١٠ هـ. في «مدرسة آية اللّه العظمى الكلبايكاني».

وكان المدعوون نخبة من علماء الحوزة العلمية ومحققيها، ولفيفاً من الاساتذة الجامعيين من كل انحاء البلاد. ودارت ابحاث المؤتمر حول «الوحي ووجوه الاعجاز» وقد توزعت اعمال المؤتمر بالشكل التالي:

اليوم الاول: الجلسة العمومية:

إفتتح المؤتمرر بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم، ثم تلا «حجة الاسلام والمسلمين السيّد جواد الكلبايكاني» كلمة آية اللّه العظمى السيد الكلبايكاني والتي سنستعرض اهم ما جاء فيها بعد هده التغطية.

ثم تحدث «الشيخ محمد تقي المصباح» ـ وهو من اساتذة الحوزة العلمية في قم ـ عن تحدي القرآن، وفي نهاية حديثه اجاب على اسئلة الحاضرين.

المتحدث الثاني: «الدكتور ابو تراب النفيسي» ـ وهو من الاطباء المتخصصين

واستاذ في جامعة اصفهان ـ حيث قدم دراسة عن الوحي على ضوء القرآن والسنة وعلم الطب، وعرض في نهاية بحثه عدة رسوم توضيحية (السلايد) عن المخ واشار إلى اهميته في إدراك المفاهيم واستيعاب الأشياء.

وبعد انتهاء الجلسة العمومية توزع المؤتمرون إلى خمس لجان حسب تخصصاتهم، على النحو التالي:

١ـ الوحي: امكان حصول الوحي ـ مهبط الوحي ـ آثار الوحي ـ العلامات التي كانت تظهر على النبيّ (ص) عند نزول الوحي.

٢ـ الاعجاز البياني: الفصاحة ـ البلاغة ـ الاسلوب ـ التركيب والايقاع.

٣ـ اعجاز القرآن في المضمون والمحتوى، كالاحكام، والعقائد، والاخلاق وغيرها.

٤ـ الاعجاز العلمي.

٥ـ الاعجاز الغيبي (الاخبار عن الماضي والمستقبل).

* * *

وقد استلمت اللجنة التحضيرية ٣٤ مقالاً عن (الوحي والاعجاز) من المدعويين، قبل انعقاد المؤتمر، ووفقت لطبع ١٦ منها، ووزعت على المشتركين في اللجان المذكورة.

اليوم الثاني: (الجمعة ٢٧ رجب).

إبتدأت الجلسة العمومية بكلمة «الشيخ جوادي الآملي» ـ احد الاساتذة البارزين في الحوزة العلمية ـ تحدث فيها مفصلاً عن وجوه الاعجاز، من زاوية نظر الفلاسفة والحكماء والعرفانيين.

ثم قدم «الدكتور السيد عبدالوهاب الطالقاني» ـ المشرف على دار القرآن والأمين العام للمؤتمر ـ تقريراً عن نشاطات دار القرآن والجهود العلمية للمؤتمر.

ثم القى الفيلسوف المعروف «الشيخ محمد تقي الجعفري» محاضرة عن عظمة القرآن ورسالته، وقيمه الانسانية السامية.

ثم توزع المشاركون على اللجان المذكورة آنفاً.

وفي الساعة الخامسة عصراً توجه المشتركون إلى بيت «آية اللّه العظمى الكلبايكاني» لزيارته وتقديم التهاني بمناسبة المبعث النبوي الشريف. وكان اجتماعاً مهيباً، افتتح بتلاوة عطرة من الكتاب الكريم، ثم قدم «الشيخ جعفر سبحاني» (رئيس هيئة رئابسة المؤتمر) تقريراً مفصلاً عن سير المؤتمر في الجلسات العمومية، واللجان التخصصية، والنتائج التي تمخض عنها المؤتمر.

بعد ذلك القى سماحة «الشيخ محمد باقر الناصري» ـ أحد المدعووين البارزين كلمة قصيرة باللغة العربية الا انها هزت الحاضرين باسلوبها، وعمقها، ومحتواها ودعا فيها جميع الحوزات والجامعات الى مزيد من الاهتمام بدراسة القرآن، والسعي من اجل دراسته، والتعريف برسالته القيمة.

وفي ختام هذا الاجتماع القى سماحة آية اللّه العظمى الكلبايكاني كلمة عن عظمة القرآن، واهمية العمل به وتلاوته، والوصول إلى سعادة الحياة في ظلاله، والالتزام

بتعاليمه.

وبعد استماع الحاضرين إلى توجيهات سماحته في هذا المجال، عاد الضيوف إلى محل انعقاد المؤتمر، وبعد اداء فريضتي المغرب والعشاء اجتمع المشاركون في صالة الجلسات العمومية، وقدمت اللجان تقاريرها عن النتائج التي توصلت اليها، وتُلي البيان الختامي وصوّت عليه المشتركون بالاجماع.

جدير بالأشارة أن كل المناقشات التي دارت في اللجان التخصصية قد تم تسجيلها على ورق المقررين واشرطة التسجيل،- وسيتم طبعها في مجموعة نفيسة إن شاء اللّه تعالى.

وفيما يلي النص الكامل للبيان الختامي:

البيان الختامي:

١- يعلن المؤتمر مرة أخرى عن تأييده الكامل للفتوى التاريخية لقائد الثورة الاسلامية الكبير الامام الخميني رضوان اللّه عليه بحق المرتد «سلمان رشدي» وكذلك يعلن عن تأييده لكل المسلمين في العالم الذين تظاهروا واعلنوا استنكارهم للكتاب، وتحملوا المصائب والآلام الجسيمة من اجل الدفاع عن الاسلام على مدى سنة من انتشار كتاب الآيات الشيطانية. كما ونستنكر المعاملة غير الانسانية للحكام والقوى الكبرى مع المسلمين.

٢- يعلن المؤتمر عن وقوفه إلى جانب مسلمي آذربيجان وطاجكستان وكشمير وفلسطين و... في ما تحملوه من آلام ومصائب في طريق احقاق حقوقهم، والدفاع عن العقائد الاسلامية، والعودة إلى القرآن الكريم. ونعلن عن مواساتنا ومشاركتنا لهم في ما أصابهم في هذا الطريق، ونستنكر المعاملة الظالمة لحكام هذه الدول مع المسلمين، ونوصيهم ان يسلكوا سبيل السلام، ويحسنوا معاملتهم مع هؤلاء المسلمين.

٣- نطالب كافة الحوزات والهيئات العلمية، في جميع البلدان الاسلامية، بمزيد من الاهتمام بالقرآن، وبث مفاهيم هذا الكتاب المقدس وعلومه، وفق برامج دقيقة ومدروسة، وبشكل أوسع، بين الشعوب الاسلامية، وخصوصاً المضطهدة منها.

٤- نطالب (مجمع التنسيق بين المراكز العلمية) بمزيد من العمل والتنسيق، لجلب العلماء والمحققين، والسعي لطبع نتاجاتهم القيمة.

٥- القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، ومشعل الهداية الخالد، واعجازه ليس منحصراً في جهة دون أخرى من جهات الاعجاز، وقد بقي مصوناً من كل تحريف، بفضل اللّه وبركة النبي والائمة المعصومين، وما بذله علماء الدين، وما قدمته الامة الاسلامية من تضحيات وجهود رغم كل الفتن والشرور والمطبات السياسية والاجتماعية على طول مسار التاريخ.

والقرآن الموجود حالياً بأيدي المسلمين هو الكتاب السماوي النازل على قلب النبي (ص)، لهداية الانسانية وانقاذها، ونحن

نستنكر بشدة كل التخرصات والمكايد، والوساوس الشيطانية لاعداء الاسلام في هذا الحقل.

٦ـ نطالب المسؤولين في الجمهورية الاسلامية ان يخططوا، في سبيل ايصال العلوم والمفاهيم القرآنية لكل افراد هذا الشعب، ويعملوا بأوامره وتعليماته، في كل ابعاد الحياة، لأنّ القرآن كتاب هداية وتشريع الهي خالد.

٧ـ على كل المراكز القرآنية انّ تأخذ بنظر الاعتبار أقوال الأئمة المعصومين من اهل البيت (ع)، في كل نشاطاتهم، لأن رسول اللّه (ص) قال: ان اهل البيت هم عدل القرآن، وهم المفسرون الحقيقيون له والمطلعون على كنوزه ومعارفه.

كلمة آية اللّه العظمى السيّد الكلبايكاني التي القاها نجله السيد جواد الكلبايكاني في المؤتمر الثاني لدار القرآن الكريم

بسم اللّه الرحمن الرحيم

بعد حمد اللّه، والثناء عليه، والصلاة والسلام على النّبي الاعظم محمد (ص) وآله الطاهرين قدم سماحته التهاني والتبريكات، بمناسبة حلول عيد المبعث الشريف والترحيب بالضيوف والمشتركين الكرام من العلماء والاساتذة والمحققين.

ثم تطرق لإعجاز القرآن وقال: من حسن الحظ ان تطرح هذه السنة مسالة الاعجاز والوحي للدراسة، في هذا المؤتمر. وهي من المسائل المهمة جداً، وفي نفس الوقت هي من النوع السهل الممتنع، وبالرغم من أن الوصول إلى كل اعماق القرآن وبطونه لا يتيسر الا لعدلاء القرآن (العترة الطاهرة المعصومة) ولكن يمكن ـ وبالاستعانة والاقتباس من المراجع والمنابع المعصومة ـ الوصول إلى مستويات من المعارف بشكل نسبي...

واستفادة الناس من القرآن تختلف باختلافهم، كل حسب مداركه وخلفياته، ومع هذا فالكل يجهلونه، واستشهد بقوله تعالى: «**وفوق كل ذي علم عليم**» وقوله (ص) في وصف القرآن الكريم: «ظاهره أنيق وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم، لاتُحصى عجائبه ولا تُبلى غرائبه».

وأضاف سماحته (يمكن ان نعتبر هذه الصفة من وجوه الاعجاز، وان لم يتحدَّ القرآن في هذا المجال، ولكن يمكن الاستفادة من الآية المباركة «**قل لئن اجتمعت الأنس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**».

لأنها لم تحدّد مورداً معيناً للتحدي، وهذه الجهة من الاعجاز من موارد التحدي، حيث بقي القرآن على مر العصور والدهور حيّاً ومعيناً معنوياً لاينضب.

ولايخفى على السادة الكرام ان المؤتمر الثاني ينعقد في ظروف تستعد فيها الدنيا يوماً بعد يوم، لسماع نداء القرآن الكريم، وتتفتح

الاجواء لتبليغ الاسلام، حيث تعود المجتمعات البشرية إلى الحياة المعنوية والايمان بعالم الغيب، وتنفر من المادية مما ادى إلى انهيار قلاع الكفر والالحاد واعلان الماركسية والشيوعية عن افلاسها وعجزها وكذلك ادعاءاتها.

ثم تطرق للشعوب الاسلامية التي بدأت تتنفس الحرية بعد أن تجرعت المصائب، وتستقبل الشهادة بحرارة واشتياق للعودة إلى احضان الاسلام ودعا الانظمة الاستبدادية إلى مزيد من التعقل، واعطاء الحرية في مجال العقائد، وحذّرهم من مغبة التورط في دماء المسلمين الأعزاء ثم ذكر قوله تعالى: **«قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين» «افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر اللّه عليهم وللكافرين امثالها»**.

وأكد أن الصحوة الاسلامية وتحرك المسلمين لاسترجاع حقوقهم وتحكيم الاسلام في اتساع دائم.. ففي فلسطين تستمر الانتفاضة، رغم كل التبعات والخسائر، وتترسخ العزائم، وتتصلب الارادات للقضاء على الصهيونية، وبعد مرور عام على الفتوى التاريخية لقائد الثورة الاسلامية الراحل الامام الخميني (رض) التي عبّأت المسلمين ضد الكفر العالمي لازالت الانظمة المتآمرة على الاسلام والمسلمين تدافع بوقاحة عن مؤلف كتاب الآيات الشيطانية، ولم يثمر كيدهم الا نفرة المسلمين والاصرار.

ولاشك ان التحرك الاسلامي العالمي لايمكن ان يقمع، وظلم الانظمة العميلة تقرّب النصر وتيسره على المسلمين، وبشكل عام فان الوضع العالمي وآثار الثورة الاسلامية في العالم تبعث الامل في قلوب المؤمنين باللّه واليوم الآخر.

بعدها وجه سماحته خطابه للعلماء ،لاعلام واساتذة الحوزات والجامعات المحترمين قائلاً: (تتعاظم مسؤوليتنا يوماً بعد يوم وانتم تعلمون ان الانبياء والاوصياء (ع) تحملوا الصعاب والمصائب، واستشهد الكثير منهم في هذا الطريق المقدس، وتعلمون كم تحمل العلماء الربانيون وفقهاء الشيعة العظماء ـ وانتم ورثتهم ـ لحفظ وبيان آثار آل

محمد (ص) وأدّوا وظائفهم بأحسن وجه، حتى تحت سياط الجلادين، وزنزانات المعتقلات.

وقال سماحته: كان المتوقع ان يكون السعي اكبر، في سبيل توفير امكانيات اكثر للتبليغ، بعد مرور عشر سنوات على انتصار الثورة الاسلامية العظيمة.

وهنا دعا المشاركين الى مزيد من الجد والاجتهاد، في سبيل نشر القرآن وتعاليمه، وخصوصاً في الاوساط الاسلامية المضطهدة وباحسن الطرق، واحدث الوسائل وقال:

من الطبيعي ان لايتوقع ان المجتمع مع قلة الامكانات والحدود الزمانية يستطيع ان يطوي مسافات الف سنة أو مائة سنة في ليلة واحدة، ولكن بامكانكم ـ انتم السادة

المحترمون ـ ان تحركوا الركود الحاصل في الساحة القرآنية اكثر.

واختتم سماحته البيان بالشكر مرة اخرى للاشتراك في المؤتمر والاستجابة لدعوة دار القرآن الكريم ودعا المسلمين في العالم إلى مزيد من الاتحاد والوحدة لئلا تشملهم الآية المباركة: «**فتفشلوا وتذهب ريحكم**» نتيجة الاختلاف والتنازع.

وجدير بالذكر:

ان المؤتمر الأول لدار القرآن الكريم قد عُقد بنفس التاريخ من العام الماضي وقد انقسم فيه المؤتمرون ـ وهم مجموعة من علماء الحوزة والأساتذة الجامعيين ـ إلى سبع لجان وكالتالي:ـ

١ـ رسالة القرآن.

٢ـ المشكل في ترجمان القرآن إلى اللغات الأخرى.

٣ـ المناهج التفسيرية.

٤ـ الحكومة في القرآن.

٥ـ اسباب نجاح الانبياء (عوامل موفقية الانبياء).

٦ـ السنن التاريخية في القرآن.

٧ـ قيمة الانسان في القرآن.

وقد طبعت مجموعة المقالات والبحوث التي طرحت في ٥٦٧ صفحة وقدمت كهدية للمؤتمرين هذا العام مع لوحة كُتب عليها الآية المباركة «**قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**» وثلاثة كتب اخرى هي:

(صيانة القرآن من التحريف للاستاذ محمد هادي معرفة في ٢٤٤ ص).

(التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف للاستاذ السيد محمد علي الميلاني في ٣٧٢ ص).

(مجلة «كيهان انديشه» عدد خاص بالقرآن الكريم يضم ١٦ مقالة في ٢٤٠ ص).

نداءٌ مِنَ المشرفِ العَام

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي علم القرآن، وجعله بياناً للناس وتبياناً لكل شيء وأزكى الصلاة والسلام على صفوة الأنام الذي مَنّ اللّه ببعثه على المؤمنين

«لقد منّ اللّه على المؤمنين إذْ بعث فيهم رسولاً من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين».

.. والصلاة والسلام على آله امناء الرحمن، وصحبه المنتجبين:

ايها المسلمون

يا ابناء القرآن.. ويا علماء الإسلام

يا اصحاب العلم والفضيلة

ايها المفكرون.. يا حملة القرآن

تعالوا.. نهتدِ بهدي القرآن..ونستضيء بنور القرآن

لقد منّ اللّه تبارك وتعالى على البشرية جمعاء، بإنزال هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. كتاب الحياة الخالد، كتاب المعرفة، والتوحيد، والوحدة، والإنسانية الكاملة.. كتاب اخرج الناس من الظلمات الى النور، ومن ذل عبادة الطواغيت الظالمين الى عز عبادة اللّه رب العالمين..

نعم. هذا هو القرآن. كتاب تذكرة، ووعي، واعتبار: **«كلاّ إنه تذكرة فمن شاء ذكره»** وكتاب تعقل وتدبر: **«افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها»**.

القرآن كتاب علم.. ونور.. وبصيرة.. **«يرفع اللّه الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات»**.

القرآن كتاب دهري.. لا عصري ولا فصلي

«**تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**» وعن الإمام الرضا عن أبيه سلام اللّه عليهما أن رجلاً سأل أبا عبداللّه (ع): ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلّا غضاضة؟ فقال: إنّ اللّه تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل زمان جديد، وعند كل قوم غض الى يوم القيامة (البحار ٢/٠٨٢).

وما اروع وصف الإمام الرضا للقرآن حينما قال: هو حبل اللّه المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدي الى الجنة، والمنجي من النار، لا يخلق على الأزمنة، ولا يغث على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان بل حبل اللّه والحجة على كل انسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ايها المسلمون:

ما احوجنا أليوم الى الرجوع للقرآن، ألم يقل قدوتنا الحبيب محمد (ص): «اذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»!؟

فأي زمان أشد على المسلمين من زماننا هذا!؟

ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر اللّه.. وأن يرجع الركب التائه الى كتاب اللّه ويعمل حسب اوامره ويتخلق بأخلاقه..؟!

.. ولكن كيف نتداوى بالقرآن؟

للقرآن رسالتان، رسالة للمؤمنين والمتقين وتتمثل في هدايتهم ودعوتهم الى العمل الصالح والاعتصام بحبل اللّه ومجانبة الهوى «**إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم**».. **ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتّقين**»

ورسالة لغير المسلمين يدعوهم الى الحق وسبيل الرشاد «**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**».

اما رسالة القرآن لنا ـ نحن المسلمين ـ فهي أن نحمل دعوته ونعمل كما أُمرنا.. فما بالنا اتخذنا القرآن الكريم مهجوراً، وأدرنا له ظهورنا، ونسينا اللّه فنسينا «**ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً. قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى**».

لقد ملأنا الدنيا ضجيجاً في التافه من الأمور، واندفعنا الى حمل قشور الأفكار.. وتنازعنا حول سقط المتاع ففشلنا وذهبت ريحنا وقد حذرنا القرآن الكريم من مغبّة ذلك: «**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**» حتى طمع فينا الطامعون، وتهالك على نهب ثرواتنا المتهالكون، فأصبحنا في ذلّ لانُحسد عليه وقد ارادنا اللّه اعزة «**وللّه العزة ولرسوله وللمؤمنين**».

إننا لايمكن أن ننتصر على عدونا الخارجي ما لم ننتصر اولاً على انفسنا، ومتى ارتقينا الى تلك الدّرجة فمن حقّنا أن نتطلّع إلى الأعالي «**ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**» وحينئذ ندلف الى المنحى الحضاري الذي ينتظر اتباع محمد (ص) لنتبوأ مقعدنا تحت الشمس ونأخذ بدورنا الرّيادي «**ونريد**

أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض **ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين**»

إن وعد الله بالنصر لن يتحقق بالأمنيات، بل يتحقق حينما نؤوب الى كتاب الله ونحكمه في حياتنا اليومية، وحينما نعمل بسّنة رسوله.. ومتى ما تمسكنا بهما وضعنا اقدامنا في الطريق السوي ولن نضل أبداً.

إنّ خروجنا من شرنقة التخلّف الحضاري منوط باتخاذنا القرآن منهج حياة. وهذا بالطّبع لايتأتّى من خلال تلاوة عابرة لبعض آيات من القرآن ولا عبر الاكتفاء بطبعه ونشره وإنّما سيتحقّق كلّ ذلك بالعودة إليه، والعود أحمد - وتطبيقه في كل مناحي الحياة، ففيه شفاؤنا وبه وحده يمكن علاجنا «**وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**».

فإلى القرآن.. يا اتباع محمد.

والى العز بدلاً من الذل.

والى النشاط عوضاً عن الكسل.

والى حرية التفكير والعمل بعيداً عن الجمود والقعود.

والى العمل الصالح يا إخوة الأيمان والعقيدة «**من عمل صالحاً من ذكراً أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة**».

والى التمسك بالعروة الوثقى «**من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فقد إستمسك بالعروة الوثقى**».

ايها المفكرون!

ايها القرآنيون!

دعوة مفتوحة نوجهها لكم عبر صفحات (رسالة القرآن) بالمساهمة في التعريف بالقرآن وعلومه ومفاهيمه. وهذه مسؤوليتكم جميعاً. وقد نذرت (رسالة القرآن) نفسها لذلك.. ولهذا فإنها ترحب بكل مسعى جاد ومخلص لخدمة القرآن الكريم.

ونحن في الانتظار.

ألا هل بلغنا.. **اللّهم فاشهد!**

الدكتور عبدالوهاب الطالقاني.

دَعوة مَفتوحَة

«وننزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين».

نظراً للمكانة العظيمة التي يحتلها القرآن الكريم في حياة الأُمة الإسلامية، وترويجاً لمبادئ القرآن المجيد في عالمنا الاسلامي.. إرتأت مؤسسة «دار القرآن الكريم» سعياً منها في هذا المضمار، إصدار هذه المجلة التي بين يديك عددها الأول، وهي فصلية تعنى بشؤون القرآن ودراساتهوإفكاره ومفاهيمه ومبادئه.

وننتهز هذه الفرصة لدعوة جميع العلماء والمفكرين والأساتذة للمساهمة في ابواب هذه المجلة.. سائلين المولى جل وعلا ان يوفق الجميع لأداء المهمة الرسالية الملقاة على عاتق الجميع.

● الأبــــواب

١ ـ علوم القـرآن:

ويتناول: (تاريخ القرآن وعلومه، اسباب النزول، الناسخ والمنسوخ، الاعجاز والمعجزة، الوحي، المحكم والمتشابه، المكي والمدني، القراءات... الخ).

٢ ـ التفسير والمفسّرون:

ويتناول: (مناهج التفسير، حركة التفسير والاهتمام به قديماً وحديثاً، التعريف بأحد التفاسير المعروفة او المغمورة، المطبوعة او المخطوطة، حياة احد المفسرين بشكل يناسب مقامه...).

٣ـ مفاهيم قرآنية:

ويتناول: (العدالة الاجتماعية، الأمن، الآداب الاجتماعية، فلسفة الجهاد والشهادة، الحكم والحاكمية، اساليب دعوة الأنبياء،... الخ).

٤ـ فقه القرآن:

ويتناول: (دراسات حول آيات الأحكام، او حول جانب واحد من الأحكام ـ فقه الصيام، فقه الحج، فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... الخ).

٥ـ السّنن الاجتماعية:

ويتناول: (السنن الإلهية في رقي الأمم أو هلاكها، دراسات في علم الاجتماع الإسلامي، نظرية التغيير الاجتماعي، نحو مجتمع إسلامي منشود، الجماعة والسلطة... الخ).

٦ـ الأدب القرآني:

ويتناول: (بلاغة القرآن وفصاحته، دراسات قرآنية في النقد الأدبي، علم الرسم القرآني، اثر القرآن الكريم في تغيير النفوس، مفردات القرآن ومصطلحاته، القرآن في نهج البلاغة، قصيدة هادفة... الخ).

٧ـ دراسات عامّة:

ويتناول: (كل الدراسات العامة التي تكون خارج نطاق الأبواب السابقة، كمحاولات المستشرقين والمبشرين في تشويه القرآن، أو العبث في ترجمته، أبحاث عن المشركين والزنادقة وخصوم القرآن ومحاولاتهم للإتيان بمثله، ورغبتهم في تحريفه قديماً، الحقائق العلمية في القرآن... الخ).

٨ـ منتدى الرّسالة:

ويتناول: التعريف بأطروحة جامعية حول القران، أو استعراض لكتاب صادر عن القرآن، خدمات مكتبية ـ ببليوغرافيّة، تحقيقية، استعراضية... ...، من نشاطات دار القرآن الكريم، لقاءات مع مفسّر أو فقيه أو محقّق ممّن يهتمون بشؤون القرآن الكريم، أو لقاء مع خطّاطين أو مترجمين او حفاظ...، تغطية لأهم الأخبار والنشاطات المتعلقة بكتاب الله العزيز، حوار حول مسألة ما، ...الخ.

وأخيراً:

هذه دعوة مفتوحة لكل أصحاب الأقلام...

ونحن في الأنتظار..

التحرير.

● ملاحظة:

يمكنكم كتابة بحوثكم باللغة التي تشاؤون وستقوم المجلة بترجمتها إلى اللغة العربية.



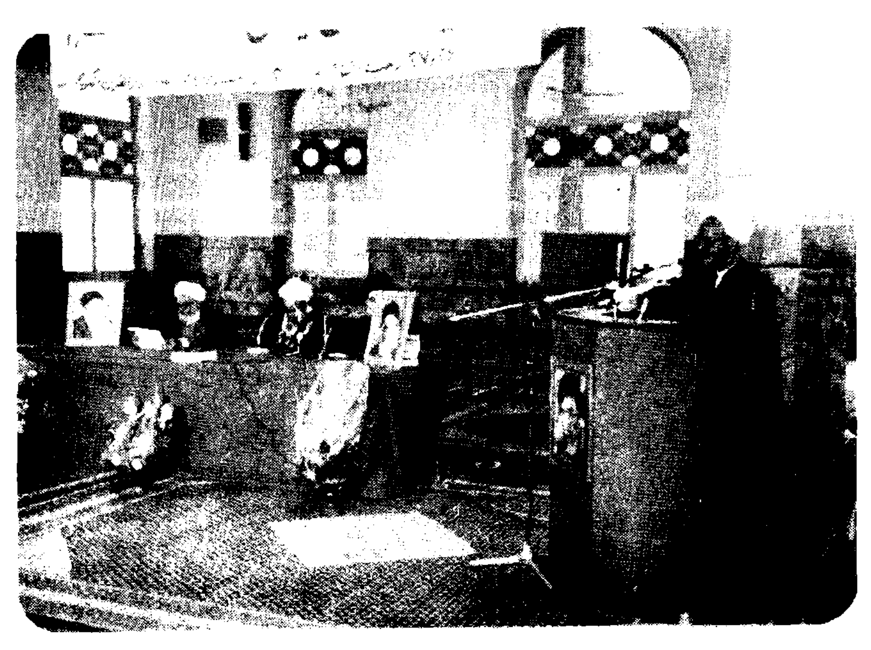
حانب من المؤتمرين في اثناء زيارتهم لآية اللّه العظمىٰ السيد الكلبايكاني



حجـة الاسلام والمسلمين السيد جواد الكلبايكاني يلقي كلمة الافتتاحية نيابة عن آية الله العظمىٰ السيد الكلبايكاني.



آية الله الشيخ جراد ي آملي



الاستاذ الشيخ مصباح يزدي



الدكتور نفيسي



جانب من المؤتمر